الباب الرابع : جهود الشيخ ـ رحمه الله ـ في الرد على أهل البدع ، وموقفه من المذاهب المعاصرة.

الفصل الأول : جهود الشيخ ـ رحمه الله ـ في الرد على أهل البدع .

الفصل الثاني : موقف الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ من المذاهب المعاصرة.

الفصل الأول : جهود الشيخ ـ رحمه الله ـ في الرد على أهل البدع .

تمهيد.

المبحث الأول البدعة وأنواعها.

- المطلب الأول : تعريف البدعة لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثاني : أنواع البدع.

المبحث الثاني : منهج الشيخ ـ رحمه الله ـ في الرد على أهل البدع

المبحث الثالث : البدع التي تكلم عليها الشيخ ـ رحمه الله ـ.

المبحث الرابع : جهود الشيخ ـ رحمه الله ـ في الرد على الصوفية.

تمهيد.

- المطلب الأول : تعريف الصوفية لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثاني : نشأة الصوفية.
- المطلب الثالث : أقوال الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في الرد على الصوفية.
- المطلب الرابع : أقوال الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في الرد على التيجانية.

المبحث الخامس : جهود الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في الرد على القبورية.

- المطلب الأول : تعريف القبورية لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثاني : نشأة القبورية.
- المطلب الثالث : أقوال الشيخ ـ رحمه الله ـ في الرد على القبورية.

المبحث السادس : جهود الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في الرد على القاديانية.

المبحث السابع : جهود الشيخ في الرد على بعض الجماعات المعاصرة .

المبحث الأول البدعة وأنواعها.

المطلب الأول : تعريف البدعة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني : أنواع البدع.

المبحث الأول:

البدعة وأنواعها.

تمهيد

لقد أرسل الله ـ ﷻ ـ الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ للناس مبشرين ، ومنذرين، وموضحين لهم الطريق المستقيم؛ قال ﷻ M N O P Q R S T U V W X Z [\ ] L[1].

واختص الله ـ ﷻ ـ بالرسالة لهذه الأمة النبي الكريم محمدًا ـ ﷺ ـ ، وجعل رسالته للناس عامة؛ قال ﷻ: M u v w x y z { | } ~ لَا يَعْلَمُونَ L[2].

وختم برسالته الرسالات كلها، وجعله خاتم النبيين ـ ﷺ ـ ، قال ﷻ : M مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا L[3] ،

وبين الله ﷻ أن محبته لا تكون إلا باتباع نبيه ﷺ، وذلك في قوله ﷻ: M< ? @ A B C D E F G H J K L L[4].

وجعل الله ـ ﷻ ـ هذا الدين كاملاً لا نقص فيه؛ قال ﷻ: M K L M N O P Q R S T U L[5]؛ فهذا الدين لا يحتاج إلى الزيادة بعد الكمال، بل يحتاج إلى تعلمه، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه ـ كما أمرنا بذلك ـ، فمن أهمله، وقصر فيه، فهو مفرِّط، ومن زاد عليه، فهو غال ومفرِط، ومعترض على شريعة الله ـ ﷻ ـ ، وغير راض بها.

فينبغي أن نحذر من الإفراط والتفريط في هذا الدين الحنيف الذي ارتضاه الله لنا، وأن نسلك الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله ـ ﷻ ـ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

---

(١) سورة النساء (آية : ١٦٥).

(٢) سورة سبأ (آية : ٢٨).

(٣) سورة الأحزاب (آية: ٤٠).

(٤) سورة آل عمران (آية : ٣١).

(٥) سورة المائدة (من آية : ٣).

إن المسلمين في الماضي ـ لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من العزة والقوة، والنصرة والتمكين، إلا لأنهم عملوا بالكتاب والسنة أمراً ونهياً.

وبهذا المنهج كان يوصي العلامة عبد الله بن حميد ـ ~ ـ الأمة الإسلامية في قوله: "إن مسؤولية الشعوب الإسلامية نحو إسلامها، نحو مستقبلها، أمر ليس بالهين، هو موضوع حساس؛ لأن المسلمين لو تمسكوا بدينهم ـ أمراً ونهياً ـ لكانوا أعز الأمم، وأسعد الناس، فقد كان سلفنا الصالح ﷺ مع الله، فكان الله ـ ﷻ ـ معهم، وكانوا ينصرون هذا الدين، ويعملون وفق كتاب الله ـ ﷻ ـ وسنة نبيه ﷺ، فحق لهم الأجر في الدنيا، والثواب في الآخرة؛ لأنهم أخضعوا أنفسهم لأوامر القرآن ونواهيه، وكان نتيجة ذلك أنهم أخضعوا الأمم العاتية لأوامر القرآن وتعاليم الإسلام، وبلغت ممالك الإسلام ـ شرقاً وغرباً ـ ما لم تبلغه أمة من قبل في مدة وجيزة يسيرة؛ فقد بلغ ملك الأمة الإسلامية غرباً إلى المحيط الأطلنطي، وشرقاً إلى الصين، وصارت الأمة الإسلامية أمة واحدة، يحمل أفرادها جوازاً واحداً، مع اختلاف لغاتهم وتباين بلادهم، جوازهم هو شهادة لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله"[1].

وقال ـ ~ ـ مبيناً سبب ضياع المسلمين اليوم، فقال: "... لكن ما لبثت هذه الأمة أن انحرفت، وأن ضيعت، فضاعت، لقد أصبحت غثاء كغثاء السيل، لا خير فيها؛ البعض منا افتتن بعبادة القبور، والبعض الآخر افتتن بالأولياء، وألَّف البعض المؤلفات العديدة، وتعلقوا بالخرافات والأوهام؛ فحلَّ بهم ما نرى من الذل، وما ذلك إلا لبعدهم عن الله ـ ﷻ ـ ..."[2] إلى أن قال ـ ~ ـ: "وهكذا تعلقت الأمة الإسلامية بالخرافات والأوهام

---

(١) ندوات وزارة الحج والأوقاف لموسم حج عام ١٣٩٩هـ، ص: (١٠٦).

(٢) المرجع السابق: (ص ١٠٨).

والبدع، وانتشرت الطوائف؛ كالقاديانية، والتيجانية، والنقشبندية، والبهائية[١]، وصارت الأمة الإسلامية إلى ما هي عليه بسبب عزوفها عن كتاب الله ـ ﷻ ـ وسنة رسوله ﷺ، وبعدها عن أوامر الله ﷻ" [٢].

وبين ـ ~ ـ أن هذه الطوائف الضالة لم تقم، ولم تنتشر إلا بالدعوة إلى ما هي عليه من الضلال، وبذل الغالي والنفيس من أجل انتشارها بين الناس.

ثم بين ـ ~ ـ أننا لو قمنا بالدعوة لهذا الدين الحنيف؛ بتبيين فضائله وسماحته ويسره، وحذرنا مما يخالفه من الشرك والبدع والمعاصي، لحصل لنا الخير العظيم[٣].

ثم بين السبيل إلى النصر والتمكين، فقال ـ ~ ـ : (وأعتقد أن الحاكمين والمحكومين لو تضافروا، وساهموا، وساعدوا على القيام بما يجب عليهم نحو دينهم ـ والله ﷻ ـ لن يضرهم أي شيء؛ فإنّ من كان مع الله كان الله معه، قال ﷻ: M - . /

A @ ? > = < ; : 9 7 6 5 4 3 2 1 0

Q P O M L K J H G F E D C B

L R [٤]. هذا وعد، ولن يخلف الله وعده [٥].

وقد سُئِل الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ سؤالاً نصه: يُقتطع من راتبي شهرياً ٥٪ لصالح الفدائيين في فلسطين، فهل يجوز أن أعتبر هذا المبلغ زكاة عن الأموال؟

---

(١) معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، دكتور/ محمد عمارة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، (ص ٢١٧)، لمزيد من التفصيل، انظر: د. عبدالرحمن بدوي (مذاهب الإسلاميين) طبعة بيروت، سنة ١٩٧٣م، ود.محمد عمارة (الإسلام والثورة)، طبعة القاهرة، سنة ١٩٨٨م ..

(٢) ندوات وزارة الحج والأوقاف لموسم حج عام ١٣٩٩هـ، (ص ١٠٩).

(٣)شرح كتاب التوحيد، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ، باب الدعاء إلى شهادة ألا إله إلا الله، وقول الله ﷻ : "قل هذه سبيلي".

(٤) ندوات وزارة الحج والأوقاف، لموسم حج عام ١٣٩٩هـ، (ص: ١٠٩).

(٥) سورة الحج (آية : ٤٠).

فأجاب ـ ~ ـ قائلاً : " أولاً : اعرف أن الزكاة لا يجوز دفعها إلا للمسلم ؛ فلو دفعتها لغير المسلم ما صح ، ولا برئت ذمتك. بل شرط صحتها أن تدفع للمسلمين ، فإذا كان ليس بمسلم كنصراني من الفدائيين ، فلا يجوز دفع الزكاة إليهم ، أو يهود ، أو من طرق شتى كالقاديانيين مثلاً ، أو نصيريين ، أو ما أشبه ذلك ، كل هؤلاء لا يجوز دفع الزكاة إليهم ، أو أنهم يعبدون القبور ، ويذبحون لها ، ويطلبون منها المدد ، فهؤلاء لا يجوز دفع الزكاة إليهم ، أو أن عندهم اعتقاداً مخالفاً لاعتقاد أهل السنة والجماعة ، مما أجمع أهل العلم على تكفيرهم به ، فكذلك لا يجوز دفع الزكاة إليهم ، فإذا لم يكونوا شيئاً من ذلك ، وهم مسلمون ، واقتطعت من راتبك ، ونويت أنه من الزكاة ، هذا يجيزه شيخ الإسلام"[1].

المبحث الأول البدعة وأنواعها.

المطلب الأول : تعريف البدعة لغةً وشرعاً :

هي مأخوذة من مادة (بدع)، ولها إطلاقان :

الإطلاق الأول : أنها تطلق على الشيء المخترع على غير مثال سابق ، ومن ذلك قوله ﷻ : M X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d f g h i j k l m n o p L[2] ، وقول عمر ﷺ : " نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ "[3]، وقول الشافعي ـ ~ ـ :

"**البدعة بدعتان : بدعة محمودة ، وبدعة مذمومة ؛ فما وافق السنة ، فهو محمود ، وما خالف السنة ، فهو مذموم**"[4].

قال ابن رجب ـ ~ ـ : (وأما ما وقع في كلام السلف ـ ﷺ ـ من استحسان بعض البدع ، فإنما ذلك في البدع اللغوية ، لا الشرعية ، فمن ذلك قول عمر ﷺ لما جمع

(١) فتاوى ابن حميد في الزكاة (ص : ٥٠٣ ـ ٥٠٤).

(٢) سورة الأحقاف ، (آية : ٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢/٧٠٧ برقم ١٧٠٦).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/١١٣)، والأصبهاني في حلية الأولياء(٩/١١٣)، وأورده ابن حجر في فتح الباري(١٣/٢٥٣)، والبغدادي في جامع العلوم والحكم(١/٢٦٧) .

الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، وخرج، ورآهم يصلون كذلك فقال: **نعمت البدعة هذه**"[١].

فالمعنى الأول هو الاختراع، والإحداث على غير مثال سابق.

الإطلاق الثاني: التعب والكلال، ومنه قولهم: أبدعت الإبل، إذا بركت في الطريق من هزال، أو داء، أو كلال، ومنه قول الصحابي الذي قال للنبي ﷺ: **إِنِّي أُبْدِعَ بِي،** فَاحْمِلْنِي، فَقَالَ: «مَا عِنْدِي.» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، **أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»**[٢].

والإطلاق الثاني له علاقة بالإطلاق الأول؛ لأن معنى أبدعت الإبل: بدأ بها التعب والكلال؛ فانقطاع الدابة عن السير طارئ على عادتها، وأمر حادث لم يكن من قبل.

ومن هذا المعنى الثاني أخذت البدعة أيضاً؛ لأن فيها معنى الانقطاع؛ فالبدعة تقطع صاحبها عن السنة، وتسلك به طريق الضلال والتعب.

ولها إطلاقات أخرى، كلها داخلة تحت الإطلاق الأول[٣].

أما عن **تعريف البدعة شرعاً** فقد قال ابن تيمية - ~ -[٤]: (إن البدعة في الدين هي: ما لم يشرعه الله - ﷻ - ورسوله ﷺ، وهو: ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب)[٥].

وقال ابن رجب: (والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه، فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغة)[٦].

وقال ابن حجر - ~ - في شرحه لقول ابن مسعود ؓ: "**وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا**..."[١] حيث قال: (والمراد بقوله: "**وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**" ما أحدث، ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام)[٢].

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/١٢٩).

(٢) سبق تخريجه ص ١٣٠.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(١/١٠٦ - ١٠٧)، ومختار الصحاح (٤٣ - ٤٤)، والمصباح المنير (ص: ٣٨).

(٤) سبقت ترجمته(ص٨٩).

(٥) مجموع الفتاوى (٤/١٠٧ - ١٠٨).

(٦) جامع العلوم والحكم (٢/١٢٧).

ومن أجمع التعاريف تعريف الشاطبي ؛ حيث قال : (البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية) [٣].

وبهذا يتضح أن البدع تشمل البدع العقدية ، والبدع العملية ، وإن كانت في الأخص تطلق على البدع العملية ؛ لظهورها بين الناس ، واستساغتهم لها.

المطلب الثاني : أنواع البدع :

النوع الأول: البدعة العقدية.

العقيدة متعلقها : الإيمان بالله ـ سبحانه وتعالى ، وتوحيده في ربوبيته ، وألوهيته ، وأسمائه وصفاته ، وكذلك الإيمان بالرسل ، والكتب السماوية ، والإيمان بالغيبيات ؛ كالإيمان بالملائكة ، والجن ، والموت وما وراءه ، والقضاء والقدر[٤].

والبدعة تحدث في الاعتقاد كما تحدث في القول والعمل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ ~ ـ : (فالبدع الخبرية كالبدع المتعلقة بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته ، والنبيين ، واليوم الآخر ، لا بد أن يخبروا فيها بخلاف ما أخبر الله سبحانه وتعالى به ، والبدع الأمرية كمعصية الرسول المبعوث إليهم ، ونحو ذلك لا بد أن يأمروا فيها بخلاف ما أمر الله سبحانه وتعالى به)[٥].

وهناك أمثلة على هذه البدع :

(١)أخرجه البخاري (٦/٢٦٥٥برقم ٦٨٤٩) ، ومسلم (٥٩٢/٢ برقم ٨٦٧).

(٢) فتح الباري (٢٥٣/١٣ ـ ٢٥٤).

(٣) الاعتصام (٣٧/١).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٣٥/١١ ـ ٣٣٦) بتصرف.

(٥) درء التعارض (٢٢٠/١).

ما أحدثته الفرق والطوائف الإسلامية من اعتقادات تخالف ما كان عليه الرسول ـ ﷺ ـ وصحبه الكرام؛ كاعتقاد بعض الشيعة[1] في علي رضي الله عنه أنه لم يمت، وأنه سيرجع إلى الأرض، وسيملؤها عدلاً كما مُلِئت جوراً، وكذلك الاعتقاد بعصمة الأئمة، وأن الإمامة تنتقل بالنص.

وكاعتقاد الخوارج[2] في أن مرتكب الكبيرة كافر، ومخلد في النار.

وكاعتقاد المعطلة[3] وغيرها من الطوائف تعطيل الصفات عن الله سبحانه وتعالى.

النوع الثاني: البدعة العملية:

منها: أذكار الصوفية البدعية؛ كما سبق ذكر بعضها، مثل: (الله، الله)، أو (هو، هو).

وهذه لها أمثلة كثيرة:

منها: الطواف حول القبور، وصلاة الرغائب، وصلاة ليلة النصف من شعبان، وتقليد اليهود والنصارى في أعيادهم ومناسباتهم؛ مثل: عيد الأم، وعيد الميلاد، وغيرهما، وإحداث أعياد في الإسلام ما أنزل الله سبحانه وتعالى بها من سلطان؛ مثل: الأعياد الوطنية

---

(١) هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته، وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وهم ثلاث طوائف: الغالية، والروافض، والزيدية.

انظر: مقالات الإسلاميين (ص٥ وما بعدها)، والملل والنحل (ص١٤٦)، والتعريفات (ص١٧١).

(٢) سبق التعريف بهم، وفيهم قال النبي ﷺ: «يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِم وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِم يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ» ـ أخرجه البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص٥٤)، والملل والنحل (١/١١٤).

(٣) لفظ (المعطلة) اسم يشمل كل من عطل صفة أو صفات، قلَّت أو كثرت، فالجهمية معطلة، والمعتزلة معطلة، والماتريدية معطلة، والكلابية معطلة، والأشاعرة معطلة، وأهل الكلام معطلة، فإذا قيل: المعطلة، فيُعنى بها هؤلاء جميعاً، وإذا قيل: المشبهة، فيُعنى بها من مثل الله سبحانه وتعالى ببعض خلقه، فيستعمل لفظ (المعطلة) إذا أريد جهة تعطيل الله سبحانه وتعالى عن صفاته.. انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية، لِشَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ.

التي تقام في أنحاء العالم الإسلامي، ورأس السنة الهجرية، وأعياد الثورة، والاستقلال، والمولد النبوي، وغير ذلك من الكثير والكثير.

وهذه البدع منها ما هو كبيرة من كبائر الذنوب، ومنها الصغائر؛ قال الشاطبي - ~ -: (وأقرب وجه يلتمس لهذا المطلب ما تقرر في كتاب الموافقات: أن الكبائر منحصرة في الإخلال بالضروريات المعتبرة في كل ملة، وهي: الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال، وكل ما نص عليه راجع إليها، وما لم ينص عليه جرت في الاعتبار والنظر مجراها، وهو الذي يجمع شتات ما ذكره العلماء، وما لم يذكروه مما هو في معناه، فكذلك نقول في كبائر البدع: ما أخل منها بأصل من هذه الضروريات فهو كبيرة، وما لا فهي صغيرة)[1].

يقول الشيخ ابن حميد - ~ - في " فتاوى في العقيدة "حول ضابط البدعة.

السؤال (١٥): ما هي القاعدة العامة التي تعرف بها البدعة في الدين؟

الجواب: "معنى البدعة لغة: هو ما سبق على غير مثال، هذه البدع، فكل شيء لم يدل عليه كتاب ولا سنة، فهو بدعة؛ فإن النبي - ﷺ - يقول: " **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ** "[2]، مثل الاحتفال بالمولد، هذا بدعة، فلو طلبنا ممن يقيم الاحتفال حرفاً عن الرسول ﷺ في ذلك لا يستطيع، أو عن الخلفاء الأربعة هل هم يقيمون الاحتفال بمولد الرسول ﷺ، أو أحد من الصحابة، أو أحد من التابعينً، أو القرن الثاني، أو الثالث، إنما يقال أول من فعله كوكبوري. فهذه بدعة، لماذا صارت بدعة؟ لأنها لم تكن تحت أوامر الرسول ﷺ، وكانت مندرجة على قول النبي - ﷺ -: "**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**". فالبدعة ما لم يكن له أصل في الشرع، هذا ضابط البدعة" [3].

---

(١) الاعتصام (٢/٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٩٥٩ برقم ٢٥٥٠)، ومسلم (٣/١٣٤٣ برقم ١٧١٨).

(٣) شرح كتاب التوحيد، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد - ~ - (ص ١١٨ - ١١٩).

المبحث الثاني:

منهج الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ في الرد على أهل البدع:

المطلب الأول: منهج السلف ـ رحمهم الله ـ في الرد على المخالفين:

نلاحظ أن السلف ـ رحمهم الله ـ في منهجهم قد ساروا على قواعد متميزة أثناء ردودهم على المخالفين، وبهذه القواعد تميزوا عن غيرهم من الفرق، ومن هذه القواعد ما يلي:

أولاً: اعتمادهم على الكتاب والسنة في الرد على المخالفين.

ومن أمثلة ذلك ما قاله الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في اختلاف الناس في الإيمان، وزيادته ونقصانه بعد بيان قول كل فرقة، قال: "وإنا نظرنا في اختلاف الطائفتين، فوجدنا الكتاب والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت الإيمان بالنية والقول والعمل جميعًا، وينفيان ما قالت الأخرى.

والأصل الذي هو حجتنا في ذلك اتباع ما نطق به القرآن، فإن الله ـ جَلَّ ـ ذكره علواً كبيراً ـ قال ﷻ في محكم كتابه: M**فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ** â **وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا** L[1]، وإنا رددنا الأمر إلى ماابتعث الله ـ ﷻ ـ عليه رسوله ﷺ، وأنزل به كتابه، فوجدناه قد جعل بدء الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ" [2]

ثانياً: الاستدلال بالأدلة العقلية بعد الاستدلال بالأدلة النقلية إذا احتيج لذلك:

من منهج السلف الاستدلال بالأدلة العقلية، إما لزيادة التأكيد على ما سبق من الأدلة النقلية، أو أن يكون المخاطب ممن لا يقتنع إلا بالدليل العقلي.

---

(١) سورة النساء (آية: ٥٩).

(٢) كتاب الإيمان، للإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، حققه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ (ص١٠).

ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره الإمام ابن القيم من أدلة عقلية ونقلية في إثبات الجهة، ثم قال: "فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل" [(١)].

ثالثاً: كشف تناقض المخالفين واضطرابهم:

ومن الأمثلة على ذلك: بيان تناقض المعتزلة[(٢)] في جعل كلام الله ـ ﷻ ـ مخلوقا استدلالاً بقوله ﷻ: L y x w v u M[(٣)]، فقد أدخلوا صفات الخالق في عموم (X) وفي المقابل أخرجوا أفعال العباد من هذا العموم[(٤)].

رابعاً: بيان اللوازم الفاسدة في مذهب المخالفين:

ومن ذلك رد ابن القيم ـ ~ ـ على مؤولة الصفات بلازم قولهم، فقال: "فإذا تأول المتأول المحبة، والرحمة، والرضى، والغضب، والإرادة.قيل له: يلزمك في الإرادة ما لزمك في هذه الصفات... وإذا تأول الوجه بالذات، لزمه في الذات ما يلزمه في الوجه، ... وإذا تأول لفظ اليد بالقدرة، فالقدرة يوصف بها الخالق والمخلوق، وإذا تأول السمع والبصر بالعلم، لزمه ما فر منه في العلم، وإذا تأول الفوقية بفوقية القهر، لزمه فيها ما فر منه من فوقية الذات، فإن القاهر من اتصف بالقوة والغلبة، ولا يعقل هذا إلا جسماً، فإن أثبته العقل غير جسم لم يعجز عن إثبات فوقية الذات لغير جسم."[(٥)]

خامساً: تحديد الألفاظ المتنازع عليها وتعيين مدلولاتها:

من المعلوم أن الألفاظ نوعان: نوع جاء به الكتاب والسنة، فيجب على كل مؤمن أن يُقر بموجب ذلك، فيثبت ما أثبته الله ﷻ ورسوله ـ ﷺ ـ، وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة، ولا اتفق السلف على إثباتها ونفيها، فهذه ليس على أحد أن يوافق من

---

(١) الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية (١/ ٦٩، ٦٨)

(٢) سبق تعريفهم (ص ٣٢٣).

(٣) سورة الرعد، (آية : ١٦).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٧٨).

(٥) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، (ص٣٤)، دار زمزم، الرياض، ١٤١٤هـ

نفاها أو أثبتها، حتى يستفسر عن مراده، فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول ـ ﷺ ـ ، أقرَّ به، وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول، أنكره.[١]

سادساً: الرد على كل طائفة بما لدى الأخرى من الحق:

ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره ابن أبي العز [٢]في الكلام عن مذهبي الجبرية والقدرية [٣]في باب القدر؛ قال: "كل دليل صحيح يقيمه الجبري، فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة، ولا مريد، ولا مختار، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش، وهبوب الرياح، وحركات الأشجار. وكل دليل صحيح يقيمه القدري، فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مريد له مختار له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدر لله ـ ﷻ ـ وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته.

فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى، فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة: من عموم قدرة الله ﷻ ، ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم" [٤]. وهذا يظهر في حال وجود أكثر من مخالف.

سابعاً: التزامهم بالعدل والإنصاف مع مخالفيهم:

فأهل السنة يعترفون بما عند مخالفيهم من الحق، وينكرون الباطل الذي معهم، وهذا بخلاف منهج أهل الأهواء الذين يرمون كل من لم يقل بمقالتهم بشتى أنواع التهم،

(١) شرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن أبي العز، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، المقدمة ص(٢٨)، (٢٩). وانظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/١٤١، ١٤٠).

(٢) سبقت ترجمته ص ١٧٩.

(٣) سبق التعريف بهم ص ٣٨٣.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية(٢/٦٤٠، ٦٤١).

ويُحملون أقوال من يخالفهم أسوأ الاحتمالات، ولا يعترفون له بحق، أما أهل السنة فيلتزمون الإنصاف مع أنفسهم، ومع من يخالفهم؛ ولذلك فهم يقسمون من عاداهم إلى قسمين:

١. ـ أهل كفر وعناد، فهؤلاء يجاهدونهم، ويكشفون باطلهم.

٢. ـ أهل بدعة، فهؤلاء يحمدون لهم ما عندهم من إيمان، وجهاد، وخير، وخدمة للإسلام. ويردون ما هم عليه من بدعة، ويبينون ما فيها من ضلال ومخالفة لمذهب أهل السنة، ومن كان داعياً إلى بدعته، فالموقف منه يشتد حسب خطورة المقالة الضالة التي أتى بها، وحسب المصلحة التي تنجم عن كشف البدعة، وتفسيق صاحبها[١].

فالعدل من أعظم ما يتميز به أهل السنة والجماعة؛ امتثالاً لقوله ﷻ: M " # $ % & ' ( ) L [٢]، وقوله ﷻ: M 8 9 : ; < = > L [٣]

وقد اشتهروا بالعدل، حتى إن الطوائف إذا تنازعت، احتكمت إلى أهل السنة، وأكبر دليل على عدلهم ما سطروه في كتب الجرح والتعديل، كما أنهم لا يكفرون من كفرهم[٤].

ثامنا: الاحتجاج على المخالف بدليله:

ومن ذلك رد ابن أبي العز على المعتزلة في استدلالهم بقوله ﷻ: M**قَالَ لَن تَرَىٰنِى** L[٥]، فالاستدلال منها على ثبوت رؤيته من وجوه، منها قوله ﷻ: M**قَالَ لَن تَرَىٰنِى** L، وبقوله ﷻ: M 5 6 7 L[٦] على نفي الرؤية، حيث قال: " فالآيتان دليل

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود (١/٧١).

(٢) سورة النساء (آية: ١٣٥).

(٣) سورة الأنعام (آية: ١٥٢).

(٤) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ عبد العزيز بن باز، ص(٥٣).

(٥) سورة الأعراف (آية: ١٤٣).

(٦) سورة الأنعام (آية: ١٠٣).

عليهم : أما الآية الأولى ، فالاستدلال منها على ثبوت رؤيته من وجوه..." [١] ثم ذكر سبعة أوجه في ذلك. ثم قال: "وأما الآية الثانية، فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف..." [٢] الخ.

المطلب الثاني : منهج الشيخ ـ ~ ـ في الرد على أهل البدع :

لقد كان الشيخ تلميذ مدرسة الدعوة السلفية، وتلميذاً لعلماء الدعوة ، فحمل على عاتقه ما حمله أسلافه من العلماء بالدعوة إلى التوحيد، والاهتمام به، والتحذير من الشرك ووسائله، وتبصير الناس بما يخالف التوحيد، وينافي كماله [٣].

وكان يدرّس الطلبة كتب العقيدة كالواسطية ، والحموية ، ولمعة الاعتقاد ، والدرة المضية ، ومجموع الرسائل والمسائل، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب التوحيد وشروحه، وكشف الشبهات، والأصول الثلاثة، والرد على أهل الباطل، والصواعق المرسلة، وغيرها من كتب الأئمة ـ رحمهم الله ـ .

وكان حريصاً دائماً في محاضراته ودروسه ومواعظه، على التركيز على جوانب التوحيد والعقيدة، ولاسيما في المسجد الحرام.

وألَّف رسالة في بيان التوحيد، وهي رسالة قيِّمة . وكان ينكر على أهل البدع والخرافة، ويناظرهم، ويفند مزاعمهم الباطلة، وحججهم الداحضة، ومن ذلك قوله ـ ~ ـ : (وأما عشاء الجمعة كما هو مشاع في القصيم، فهذا لا أصل له، أما العشاء، فيصح في أي يوم كان، وتخصيص ليل جمعة من رمضان لم يرد عليه أي دليل لا من السُنة، ولا من غيرها) [٤] .

---

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، (ص٢١٣ ـ ٢١٤).

(٤) المرجع السابق (ص٢١٤).

(٣) هداية الناسك إلى أهم المناسك ، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد. ~ . ،اعتنى بنشره، وعلق عليه أحمد بن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن الطويان ، (ص ٢٨- ٢٩).

(٤) فتاوى ابن حميد (ص٢٠٢).

وقال في رسالة التوحيد (ومن أنواع الشرك الذي وقع فيه الكثير طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم.

فإن الميت انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فضلاً عمّن استغاث به، أو سأله أن يشفع له عند الله ﷻ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع، ولكن يا حسرة على العباد، يعملون على قبور المشايخ ومشاهدهم ما كان يعمله المشركون على مشاهد أوثانهم) [1]

وقد كان منهج الشيخ ـ ~ ـ في الرد على أهل البدع كما يلي:

أولاً: اقتصاره على الكتاب والسنة النبوية الصحيحة في الرد على أهل البدع :

فعقيدة الإسلام موقوفة على كتاب الله ﷻ، وما صح من سنة رسوله محمد ـ ﷺ ـ ، فليست محلاً للاجتهاد ؛ لأن مصادرها توقيفية ، لا تؤخذ من آراء البشر.[2]

وكذلك قال الدكتور محمد أحمد ملكاوي[3] : "فالعقيدة عند السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ توقيفية ، لا مجال لآراء البشر فيها، وكثير من نصوصها بكلمة (قل) التلقينية مثل قوله ﷻ: M ! " # $ & ') * + , . / 0 1 2 L[4]

وقوله ﷻ: M ! " # % & ' (* + , - . 0 1 2 3 4 6 7 8 9 : < = > ? L[5].

وقوله ﷻ: M 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q L[6].

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مَرَرْتُ بِأَخٍ لِي مِنْ قُرَيْظَةَ ، فَكَتَبَ لِي جَوَامِعَ مِنَ التَّوْرَاةِ ، أَلاَ أَعْرِضُهَا عَلَيْكَ؟ قَالَ

(١) رسالة التوحيد ، الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ ..

(٢) تسهيل العقيدة الإسلامية. أ.د. عبد الله عبد العزيز الجبرين. دار الصميعي. الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ، (ص١٨).

(٣) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ، (ص ٢٢).

(٤) سورة الإخلاص (آية : ١ – ٤).

(٥) سورة الكافرون (آية : ١ ـ ٦).

(٦) سورة البقرة (آية : ١٣٦).

فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ - يَعْنِى ابْنَ ثَابِتٍ - فَقُلْتُ لَهُ : أَلاَ تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ عُمَرُ : رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولاً. قَالَ فَسُرِّىَ عَنِ النَّبِي ﷺ وَقَالَ « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِنَ الأُمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ »[1].

ولعل في قول شيخ الإسلام ابن تيمية ما يدل على حرص السلف على الاقتصار في التلقي على الكتاب والسنة حيث قال : " وهذا لأن الناس لا يفصل بينهم إلا كتاب منزل من السماء..." ؛ فلهذا لا يجوز أن يجعل الحاكم بين الأمة في موارد النزاع إلا الكتاب والسنة، وبهذا ناظر الإمام أحمد الجهمية[2] لما دعوه إلى المحنة، وصار يطالبهم بدلالة الكتاب والسنة على قولهم.

يقول الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ مستدلاً بالكتاب والسنة في الرد على أهل البدع :

" هل يجد أن الرسول ﷺ تلفظ بالنية، فإنه لا يجد أبداً، لا في حديث صحيح، ولا ضعيف، ولا موضوع. وكذلك لا يمكن أن يجد من الصحابة ولا من التابعين أبداً. فبهذا نعرف أنه بدعة، في حين أن القرآن يبطل هذا، كيف يبطل هذا، ما هو الدليل على أن التلفظ بالنية بدعة؟ مثلاً يقال : بأنه لم ينقل عن الرسول ﷺ ولا عن أحد من أصحابه، لكن مع هذا كله نقول: نجد في القرآن ما يبطله، فما هو دلالة بطلانه من القرآن؟ قوله ﷻ : [k I Z[3] أولاً : هل الصلاة دين؟ قلنا : نعم، كيف أنه دين؟ أنكر عليك الرب قال ﷻ:] قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ´ µ Z تقول : نويت أن أصلي لله،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند(١٨/٣٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣١٤/١٠ برقم١٩٢١٣)، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٩٨)، والجزري في أسد الغابة (٣/ ١٨٨برقم ٢٨٣٢) .

(٢) سبق التعريف بهم ص ٣٠٤. انظر أيضاً : الملل والنحل للشهرستاني (٨٦/١)، والفرق بين الفرق (ص١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (١٥٩/٢)، والتعريفات للجرجاني (ص١٠٨)، وفتح الباري (٣٤٥/١٣)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٥٩٠).

(٣) سورة البقرة (آية : ٤٣) .

أتعلمه بهذا؟ فالله ﷻ يقول:] ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ´ µ ¶ ¸ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ Z[1] هذا معنى ما أمر به شرعاً من غير اطّراد عرفي"[2].

ثانياً: اتباع السلف الصالح من أهل القرون الثلاثة الممتدحة في تفسير نصوص الكتاب والسنة:

ووجوب اتباعهم ثابت في سنة رسول الله ﷺ كما جاء في حديث العرباض بن سارية حيث قال: " وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها الأعين، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا. قال: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ،فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» [3]

فأوصاهم رسول الله ﷺ " بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده.

كما أن النبي ـ ﷺ ـ " قد بيّن في حديث آخر فضل القرون الثلاثة، فعن عبد الله قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» [4].

فقد وصفهم رسول الله ﷺ بالخيرية، وهذه الخيرية تشمل خيرية العلم، والفهم، والفضل.

وإنما يؤخذ برأيهم، ويعتد به؛ لكونهم أبرّ قلوباً، وأعمق علماً، وأقل تكلفاً، وأقرب إلى التوفيق؛ لِما خصهم الله به من توقُّد الأذهان، وسعة العلم، وقوة الإدراك، وحسن القصد، وتقوى الله، وقرب العهد بنور النبوة.[1]

---

(١) سورة الحجرات (آية: ١٦).

(٢) شرح كتاب التوحيد باب قول الله ﷻ: [o qp r s t u w x y z Z.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٦/٤برقم ١٧١٨٢)، وابن ماجة (١٦/١برقم ٤٣)، صححه الألباني في صحيح ابن ماجة(٤١)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح بطرقه وشواهده ، وهذا إسناد حسن .

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٦٢/٥برقم ٦٠٦٤) ، ومسلم (١٩٦٣/٤ برقم ٢٥٣٣) .

وذكر ابن تيمية أن اتباع سبيل السابقين الأولين، هي طريقة أهل السنة والجماعة فقال: "ثم من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ [٢]، حيث قال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» [٣].

قال الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ:

"وقول النبي ﷺ: "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ" [٤]

... أما من كان هواه تابعاً لما جاء به الرسول ﷺ؛ تطلب الحق مهما كان: لك أو عليك، مالك من همٍّ ولا قصدٍ ولا غرض، ولا ميل ـ إلا معرفة ما جاء به الرسول ﷺ ـ؛ لتعمل به، ولتنتهي وتبتعد عما نهاك عنه، وهذا هو الإيمان الكامل المؤدي للواجبات، وأما ما كان بالعكس فلا".

ثم يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ: ... فبالله عليك أعطني ما جاء به الرسول ﷺ في هذه المسألة؛ حتى أتَّبعه، فإنه لا يستطيع أبداً أن يعطيك حرفاً عن الرسول ﷺ، ولا عن أصحابه شيئاً، ولا عن أحدٍ من التابعين، أنه كان يتلفظ بالنية، وإنما يأتيك بأقيسة وتعليلات، لا أقل ولا أكثر، فمن ثمَّ صار متبعاً لهواه في هذه المسألة؛ حيث لم يستند في ذلك على نص من كتاب الله ﷻ، ولا من سنة رسول الله ﷺ، وما هي إلا تعليلات وآراء لا سبيل إليها" [٥].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط (المقدمة ص ٢٠).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية. اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار، وأنور الباز(١٠٣/٢) ، دار الوفاء. الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.

(٣) أخرجه مسلم (٥٩٢/٢ برقم ٨٦٧).

(٤) سبق تخريجه في (ص١٠٠).

(٥) شرح كتاب التوحيد، باب : ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبل ...، تحت الطباعة، وقد سبق تخريج الحديث(ص١٠٣).

ثالثاً: تقديم النقل على العقل عند توهم التعارض:

لقد كان تقديم ما في كتاب الله ــ ﷻ ــ وسنة رسوله ـ ﷺ ـ على ما في غيرهما من معقول، أو غيره مما يعارضها ـ من مسلمات منهج السلف ـ رحمهم الله ـ ، مع العلم أنه لا يمكن أن يتعارض النقل الصحيح مع العقل الصريح: .[١]

ولعل في قول ابن تيمية ما يشهد بذلك حيث قال : "فوجب أن جميع ما يخبر به الرسول ﷺ عن الله ـ ﷻ ـ صدق وحق، لا يجوز أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي. فمتى علم المؤمن بالرسول ـ ﷺ ـ أنه أخبر بشيء من ذلك جزم جزما قاطعا أنه حق، وأنه لا يجوز أن يكون في الباطن بخلاف ما أخبر به، وأنه يمتنع أن يعارضه دليل قطعي، لا عقلي ، ولا سمعي، وأن كل ما ظن أنه عارضه من ذلك فإنما هو حُجج داحضة، وشبه من جنس شبه السفسطائية" .[٢]

وفي بيان عدم تعارض النقل الصحيح مع العقل الصريح قال ابن القيم: "إن ما عُلِم بصريح العقل ـ الذي لا يختلف فيه العقلاء ـ لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة، ومن تأمل ذلك فيما تنازع العقلاء فيه من المسائل الكبار، وجد ما خلف النصوص الصريحة الصحيحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها...، ونحن نعلم قطعا أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول، وإن أخبروا بمحارات العقول، فلا يخبرون بما يحيله العقل"[٣]

ولا يعني ذلك إهمال دور العقل في الإسلام، بل كرَّم الإسلام العقل أيما تكريم؛ حيث جعله مناط التكليف عند الإنسان، والذي به فضَّله على كثير ممن خلق تفضيلا، وكرمه حين وجهه إلى النظر والتفكر في النفس، والكون، والآفاق.[٤]

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة. عبد الرحمن بن صالح المحمود ، (١/ ٥٤)، مكتبة الرشد ، الرياض.

(٢) درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية. ضبطه وصححه عبد اللطيف عبد الرحمن، (١/ ٩٨) ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان. الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق سيد إبراهيم، (١/ ١١٤) ، دار زمزم، الرياض ، ١٤١٤هـ

(٤) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة. تأليف عثمان بن علي حسن (١/ ١٦٨) مكتبة الرشد. الرياض. الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.

ويرى السلف أن للعقل فهماً وإدراكاً، وهذا الفهم والإدراك إجمالي لا تفصيلي، وقدم الشرع على العقل لعصمته.[١]

يقول الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ:

"لا اقتضاء عقلي، لا نسمح للعقل في أن هذه عبادة، أو إنها ليست بعبادة، العقل معزول عن أن يقول: هذا عبادة، أو غير عبادة، العبادة تتلقى من الشارع ﷺ لا غير، وإيضاح ذلك: ما أمر به شرعاً من غير اقتضاء عرفي "[٢].

رابعاً: أن كلاً يُؤخذ من قوله ويُردّ إلا الرسول ـ ﷺ ـ:

وهذه قاعدة كبيرة من قواعد الشرع استخدمها الشيخ ـ ~ ـ في الرد على المخالفين، وكشف ما هم عليه من باطل.

فهم لا يتعصبون لقول رجل من رجالهم، ولا لطائفة؛ بل هم مع الحق الذي يوافق الكتاب والسنة أياً كان مصدره، وليس لهم إمام معظم يأخذون كلامه كله، ويدعون ما خالفه إلا الرسول ﷺ، أما غير الرسول ـ ﷺ ـ، فإنهم يعرضون كلامه على الكتاب والسنة، فما وافقها قبل، وما خالفها يرد، وأما غيرهم من الفرق الأخرى، فإنهم يأخذون كلام أئمتهم كله، حتى ولو خالف الدليل[٣].

وقد بوَّب الإمام الآجري في كتابه الشريعة: "باب التحذير من طوائف تعارض سنن النبي ـ ﷺ ـ بكتاب الله ﷻ وشدة الإنكار على هذه الطبقة"[٤] مما يؤكد على حرص السلف على اتباع سنة النبي ـ ﷺ ـ، وعدم معارضتها، بل التسليم والانقياد لكل ما صح منها.

يقول الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ:

---

(١) انظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، إبراهيم بن محمد البريكان. ص(٥٣) دار ابن القيم، ودار بن عفان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ

(٢) شرح كتاب التوحيد باب قول الله ﷻ: [o qp r s t u w x y z Z.

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ ~ ـ. (ص٤٥).

(٤) الشريعة للإمام أبي بكر محمد الحسين الآجري، تحقيق محمد حامد الفقي. (ص٥٦).

"تجدُ أكثر الناس الآن تنوعت آراؤهم، واختلفت طرقهم: هذا بعثي، هذا إلحادي، هذا شيوعي، هذا تيجاني، هذا نقشبندي. ألم نكتف بالقرآن والسنة عن هذا كله؟، ونسلك مسلك سلفنا الصالح، فما درج عليه أصحاب رسول الله ﷺ، فالله ﷻ يقول:] J K L M N Z[1]، وهذا مدلول القرآن والسنة،] P Q R Z أي: الشبه والشهوات] S T U V Z وهي طريقة فلان: شاذلية، تيجانية، إلحادية، شيوعية، بعثية، ماسونية، بهائية، إلى غير ذلك من هذه الطرق] I J K L M N O P Q R Z[2] بل هو طريق واحد، وهو الذي يوصل إلى الله ﷻ، وغيرها من هذه الطرق لا شيء، بل هي كلها شر وبلاء "[3].

---

(١) سورة الأنعام (الآية: ١٥٣).

(٢) سورة الأنعام (الآية: ١٥٩).

(٣) شرح كتاب التوحيد، باب: ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبل ....

المبحث الثالث :

البدع التي تكلم عليها الشيخ- ~ . .

تمهيد :

لقد حمى المصطفى ﷺ حمى التوحيد، وسدَّ طرق الشرك، وهو القائل للوفد الذين وفدوا عليه، وقالوا له: أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً.فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ (أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ) وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»[1].

ونهى وحذر ﷺ أمته قبل موته من إطرائه والغلو فيه فقال: «لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»[2].

ومن المستقر عند العلماء أن: "من الشرك أن يستغيث المرء بغير الله – ﷻ –، أو يدعو غيره، قال الله ﷻ: M ! " # % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 8 9 : ; < = L[3]

وقال ﷻ: M وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ! " # $ % & ' ( ) + , - . / 0 2 3 4 5 6 7 9 : ; L[4]

قال شيخ الإسلام- ~ - : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم، ويدعوهم ويسألهم، كفر إجماعاً. ونقله عنه غير واحد من أهل العلم مقرين له.

إن فساد المعتقد وانتشار البدع في مجتمعات المسلمين معوق من أهم معوقات النهوض ببلاد المسلمين، ولن يستكمل المسلمون أسباب النصر حتى تصفو عقائدهم، ويصدقوا في إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له. فتلك خلاصة دعوة الرسل - & - وما أوحى

(١) أخرجه البخاري (١/٨٣ برقم ٢١١).

(٢) أخرجه البخاري(٦ / ٥٨٣ برقم ٣٤٤٥) .

(٣) سورة الرعد (آية: ١٤).

(٤) سورة يونس (آية : ١٠٦ – ١٠٧).

الله ـ ﷻ ـ به إليهم، قال ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + , -
. / L[1].

ومن البدع التي تكلم عنها الشيخ ـ ~ ـ ما يلي :

أولاً: بدعة التلفظ بالنية: يقول سماحة الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ في درس شرح حديث« **اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ** » : "ومن البدع أيضاً القادحة في التوحيد التلفظ بالنية عند إرادة الصلاة، كأن تقول : نويت أن أصلي لله أربع ركعات، صلاة العشاء قضاء[2] خلف هذا الإمام، أو تقول: نويت أن أطوف لله سبعة أشواط طواف العمرة، أو تقول: نويت أن أسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط لله ـ ﷻ ـ ، كل هذا من البدع التي ما أنزل الله ـ ﷻ ـ بها من سلطان، فإن رسول الله ﷺ لم يُنقل عنه أنه كان يقول: (نويت)، فالذين نقلوا صفة صلاته ﷺ نقلوا لنا حتى اضطراب لحيته، قال له أبو هريرة ﷺ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ** ـ يعني: تكبيرة الإحرام ـ **مَا تَقُولُ ؟ قَالَ:** « **أَقُولُ : اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ**»[3]، فانظر إلى اجتهاد الصحابة، سألوه عن السكتة التي تكون بين تكبيرة الإحرام، وقبل أن يقرأ، وكذلك ينظرون إليه ولحيته تضطرب حينما يقرأ القرآن في الصلاة السرية، ولم ينقلوا أنه كان يقول: (نويت) أبداً، لا في حديث صحيح، ولا ضعيف، بل ولا موضوع، حتى إنه لا يوجد في كتب الموضوعات أن الرسول ﷺ ، أو أحداً من الصحابة كان يقول : (نويت أن أصلي لله أربع ركعات، أو ركعتين صلاة الفجر خلف الإمام فرضاً) ، أو ما أشبه ذلك، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : و الله لو بقي أحدهم عمر نوح ؑ يفتش هل الرسول ﷺ كان يقول: (نويتُ)، أو أحد من أصحابه، لا يجد، فإنه لم ينقل

---

(١) سورة الأنبياء (آية : ٢٥).

(٢) لعل المراد :أداءً أو فرضاً .

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٤١٩ برقم ٥٩٨).

عنه أنه كان يقول: (نويت) ؛ لأن النية محلها القلب ؛ فلا داعي إلى أن تتكلم بلسانك، وإن قال هذا القول بعض المتأخرين من اتباع الأئمة الأربعة ، كالحنابلة ، والمالكية، والشافعية، وبعض من الحنفية ، وإن كان المحققون منهم يمنعون من ذلك ؛ لأن النية محلها القلب ، ورسول الله ﷺ يقول : «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهْوَ رَدٌّ» [١] ، «مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» [٢]، وذكر بعض أهل العلم في الرد على التلفظ بالنية قائلاً: إن القرآن يرد ذلك ؛ وذلك لأن الصلاة دين ، فالله ـ ﷻ ـ عاب على من علَّم الله بدينه. قال ﷻ: M قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ´ µ L ، كأنك تريد أن تعلِّمه أنك ستصلي ، نويت أن أصلي لله ، كأنه لا يعلـم، قال ﷻ: M قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ´ µ ¶ ¸ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ L [٣] . فبهذا نعرف أن الذي درج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم ما كانوا يقولون: (نويت) أبداً، لا في الطواف، ولا في السعي، ولا في الصلاة ، وإنما النية محلها القلب ، فالتلفظ بها واعتقاد أنها سنة ، ذلك قادح في توحيد العبد".

ثانياً: ذكر خاصة الصوفية (الله الله)، وذكر خاصة الخاصة (هو هو)[٤].

لقد أجمعت كل طرق الصوفية على ضرورة الذكر، وهو عند النقشبندية لفظ الله مفرداً، وعند الشاذلية لا إله إلا الله، وعند غيرهم مثل ذلك مع الاستغفار، والصلاة على النبي ـ ﷺ ـ ، وبعضهم يقول عند اشتداد الذكر: هو . هو. بلفظ الضمير.

وفي ذلك يقول ابن تيمية ـ ~ ـ [٥] : (وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً، فلا أصل له ، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى

(١) سبق تخريجه (ص١٢٦) .

(٢) سبق تخريجه (ص٤١٩) .

(٣) سورة الحجرات ،(آية : ١٦).

(٤) شرح كتاب التوحيد ، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ وقول الله ﷻ M C D E F G H I L سورة الذاريات،(الآية : ٥٦).

(٥) مجموع الفتاوى (ص ٢٢٩).

أنواع من البدع والضلالات، وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد).

ويقول في (ص ٢٢٨) أيضاً: (من قال: يا هو يا هو، أو هو هو، ونحو ذلك، لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما يصوره القلب، والقلب قد يهتدي، وقد يضل). قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ ~ ـ : (فأما الاسم المفرد مظهراً مثل: (الله الله)، أو مضمراً مثل: (هو هو) فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين)[1].

ثم قال ـ ~ ـ : (وربما غلا بعضهم في ذلك حتى يجعلوا ذكر الاسم المفرد للخاصة، وذكر الكلمة التامة للعامة. وربما قال بعضهم : (لا إله إلا الله) للمؤمنين، و(الله) للعارفين، و(هو) للمحققين، وربما اقتصر أحدهم في خلوته أو في جماعته على (الله الله الله)، أو على (هو)، أو (يا هو)، أو (لا هو إلا هو))[2].

ثالثاً: الاحتفال بمولد النبي ـ ﷺ ـ .

قال شيخ الإسلام ـ ~ ـ : (وكذلك ما يحدثه بعض الناس؛ إما مضاهاةً للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له، والله ـ جل جلاله ـ قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد، لا على البدع من اتخاذ مولد النبي ـ ﷺ ـ عيداً ،مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف؛ مع قيام المقتضي له، وعدم المانع منه، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً، لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا؛ فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته، وطاعته، واتباع أمره، وإحياء سنته باطناً وظاهراً، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٦).

(٢) المرجع السابق (١٠/٥٥٧).

واللسان ؛ فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان)[١].

ويقول الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ في شرح حديث السبع الموبقات :

"وهناك بدع أيضاً لكنها لاتصل إلى الشرك ، بل هي قادحة في توحيد العبد ، فتحقيق التوحيد معناه : يقال فلان حقق توحيده ، تحقيق التوحيد هو تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك، والبدع، والمعاصي ؛ لأن الشرك ينافي التوحيد بالكلية ، والبدع تقدح في التوحيد ، والمعاصي تنقص ثواب التوحيد"[٢].

ويقول ـ ~ ـ "فمن البدع التي تقدح في توحيد العبد ، ولكنها لا تصل إلى الشرك الأكبر ، الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، فهذا من البدع التي لا أصل لها ، وما أنزل الله ـ ﷻ ـ بها من سلطان ، فهذا الاحتفال بالمولد يقولون : إنه عبارة عن إظهار الشكر بوجود خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، فيقيمون الاحتفال ، يقدمون الطعام ، ويجتمعون، ويقرؤون سيرة الرسول ﷺ، أو يأتون بأشياء لا أصل لها ، يزعمون أن النبي ـ ﷺ ـ حضر عندهم ، أنه يراهم، وما أشبه ذلك . مما لا أصل له في الشرع فنقول لهم : محبة الرسول ـ ﷺ ـ واجبة و متعينة وليست محبته في إقامة الاحتفال بمولده ، بل محبته الحقيقية في اتباع ما جاء به ، والائتمار بما أمر به ، والانتهاء عما نهى عنه ، ونشر دعوته صلوات الله عليه وسلامه عليه ، هذه هي محبته الحقيقية ،قال ﷻ : M > ? @ A B C D E F G H J K L L[٣]. ثم هذا الاحتفال بالمولد لو كان خيراً لسبقونا إليه ، فأفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ﷺ، هل تجد أنه احتفل بمولد رسول الله ﷺ ؟ لا ، والله لا تجد حرفاً واحداً صحيحاً، ولا ضعيفاً ولا موضوعاً ، وكذلك عمر، وعثمان، وعلي } وأرضاهم ، وبقية سادات الصحابة ، كالعشرة المشهود لهم بالجنة } ، وغيرهم من

(١) اقتضاء الصراط المستقيم(١/٢٩٤ ـ ٢٩٥).

(٢) درس في شرح حديث :(اجتنبوا السبع الموبقات) لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ـ ~ ـ .

(٣) سورة آل عمران (الآية : ٣١).

أصحاب رسول الله ﷺ من السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار } ، والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين، واللهِ ما كانوا يعرفون هذا الاحتفال بالمولد النبوي، مضى القرن الأول، ومضى القرن الثاني عصر التابعين ، فيهم ابن شهاب الزهري[١] ، وفيهم الإمام الأوزاعي[٢] ، وفيهم الإمام مالك[٣]، فيهم الإمام أبو حنيفة.

---

(١) هو : أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، ولد عام ٥١ هـ (٦٧٠ م) - أو عام ٥٦ هـ أو ٥٧ هـ أو ٨٥ هـ - وتوفي عام ١٢٤ هـ (٧٤٢ م)، وكان محدثا ومؤرخا، عارفا بالشعر، واشتهر في الحديث بأنه أول من أسند الحديث، وأول من دون الحديث، ووصفه الطبري بأنه كان مؤرخا ورائدا في علم المغازي وفي أخبار قريش، كما كان راوية لأخبار الرسول والصحابة، كما عرف مصطلح السيرة. انظر: حلية الأولياء (٣ / ٣٦٠ — ٣٦١)، صفة الصفوة لابن الجوزي(٢ / ٧٧ - ٧٨)، البداية والنهاية لابن كثير (٩ / ٣٤٠ — ٣٤٨)، غاية النهاية لابن الجزري(٢ / ٢٦٢)، الكامل لابن الأثير (٧ / ٢٨٩)، تاريخ الإسلام للذهبي (٥ / ١٣٦ — ١٥٢)، علم التاريخ للدوري (ص ٢٠ - ٣٢، ٧٦ - ١٠٢، ١٤٣ — ١٥١)، الأعلام للزركلي(٧ / ٣١٧)، معجم المؤلفين لكحالة (١٢ / ٢١)، فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول(٢ / ٧٤ - ٧٩) تذكرة الحفاظ (١٠٨/١).

(٢) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي. إمام فقيه محدث مفسر. نسبته إلى (الأوزاع) من قرى دمشق. وأصله من سبي السند. نشأ يتيماً، فرحل الي اليمامة والبصرة، وبرع. ثم نزل بيروت مرابطاً ،وتوفي بها.
انظر: البداية والنهاية(١١٥/١٠)، وتهذيب التهذيب (٢٣٨/٦).

(٣) هو: مالك بن أنس بن مالك الحميري الأصبحي المدني، أبو عبد الله . ولد سنة: ٩٣ هـ ، إمام دار الهجرة ، وعالم المدينة الذي ضُربت له آباط الإبل ، من كتبه : الموطأ ، وجمعت فتاويه في المدونة . توفي في سنة ١٧٩ هـ . انظر: السير (٤٨/٨)، صفوة الصفوة(١٧٧/٢)، طبقات الحفاظ (٩٦/١) .

وفيهم سفيان بن عيينة[١] ، وسفيان الثوري[٢] ، وأمثالهم خلق كثير ، والله لا يعرفون هذا الاحتفال بالمولد ، ومضى القرن الثالث فيه الإمام أحمد ، و الإمام البخاري ، و الإمام الشافعي ، والإمام مسلم ، وأبو داود ، وعمر بن مرزوق ، وشيوخ البخاري ، والإمام يزيد بن هارون[٣] ، وغيرهم ، أبداً واللهِ لا يعرفون هذا الاحتفال بالمولد بالكلية ، وإنما يتَّبعون ما جاء به الرسول ﷺ ويحبونه بائتمار أوامره ، والانتهاء عن نواهيه ، ونشر دعوته صلوات الله وسلامه عليه ، ومضى القرن الرابع أيضاً كذلك ، ومضى القرن الخامس أو السادس".

ثم يقول ـ ~ ـ "أول ما أحدث هذا الاحتفال بالمولد (أبو سعيد الكوكبري)[٤] ،

---

(١) هو: أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، مولى امرأة من بني هلال بن عامر رهط ميمونة زوج النبي ﷺ، وقيل: مولى بني هاشم. وقيل: مولى الضحاك بن مزاحم. وقيل: مولى مسعر بن كدام. وأصله من الكوفة، وقيل: ولد بالكوفة ونقله أبوه إلى مكة .ذكره ابن سعد في كتاب الطبقات وعده في الطبقة الخامسة من أهل مكة. كان إماما، عالما، ثبتا، حجة، زاهدا، ورعا، مجمعا على صحة حديثه وروايته، وحج سبعين حجة.

انظر: وفيات الأعيان (٣٩١/٢)، وتهذيب التهذيب (١٠٤/٤)، وتذكرة الحفاظ (٢٦٢/١)، والبداية والنهاية (١٧٨/١٠).

(٢) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق، الثوري . من بني ثور بن عبد مناة. أمير المؤمنين في الحديث. كان رأسا في التقوى، مات بالبصرة مستخفيا. من مصنفاته: (الجامع الكبير)، و (الجامع الصغير).

انظر: الأعلام للزركلي(١٥٨/٣)، والجواهر المضية (٢٥٠/١)، وتاريخ بغداد(١٥١/٩)، والتقريب(٢٤٤٥/٢٤٤)، والخلاصة للخزرجي(١٤٥).

(٣) هو: يزيد بن هارون بن زاذان ـ ويقال ابن زاذي بن ثابت، أخو خالد السلمي الواسطي، كان مولده سنة ثماني عشرة ومئة ومات بواسط يوم الثلاثاء غرة ربيع الآخر سنة ست ومئتين وكان من خيار علمائها ممن يحفظ حديثه، وله من الكتب كتاب الفرائض، انظر: صفة الصفوة (١٧/٣)، ورجال مسلم(٣٦٥/٢)، وميزان الاعتدال في نقد الرجال(١٢٥/٣)، وتقريب التهذيب (٦٠٦/١ برقم ٧٧٨٩).

(٤) هو: الملك أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي كوجك التركماني ، تولى الملك بعد أبيه سنة(٥٦٣هـ) اشتهر بعمل المولد والاحتفال الهائل به، توفي سنة(٦٣٠هـ) . انظر وفيات الأعيان(١١٣/٤- ١٢١) ، وشذرات الذهب(١٣٨/٥).

أمير إربل[١] لما رأى النصارى احتفلوا بمولد عيسى -عليه السلام- قال : "نحن أحق وأولى أن نحتفل بمولد النبي ـ ﷺ ـ " ، فنصب الخيام ، وذبح الأغنام ، فصار الناس يقلدونه، هذا أصله، فبهذا نعرف أن كل هذا من البدع التي لا أصل لها ، كما قال ابن مسعود ﷺ : " لما جاء أقوام يسبحون ويعُدُّون تسبيحهم ـ عندهم شيء من البدعة ـ قال : "**يا هؤلاء لقد جئتم ببدعة ظلماء ، أو أنكم فُقتم محمداً ﷺ وأصحابه علماً** " [٢] .

ثم يقول ـ ~ ـ " فنقول لهؤلاء الذين يحتفلون بمولد الرسول ﷺ ، كما قال ابن مسعود ﷺ : لقد جئتم ببدعة ظلماً ، أو أنكم فُقْتم محمداً وأصحابه علماً ، حيث لم يعرفوا شيئاً من ذلك ، ولم يقيموه ، فبهذا نعرف أن هذا لا أصل له بالكلية ، ثم لو فرضنا أن الاحتفال مشروع ما كان الاحتفال بالمولد ، فإن النعمة، والرحمة، والخير، والبركة، وما منّ الله ـ ﷻ ـ به على عباده هو ببعثة الرسول ﷺ وإرساله ، لا بولادته ، بنص قوله ﷻ : M ` a b c d L[٣]

لو كان الاحتفال مشروعاً لكُنَّا نحتفل برسالته ؛ لأن الله ﷻ يقول : M ` a b c d L[٤] ، وأيضاً قال ﷻ : M ´ µ ¶ ¸ **ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ** L[٥]

---

(١) إرْبل: بالكسر ، ثم السكون، قلعة حصينة، ومدينة كبيرة تعد من أعمال الموصل، وقد قام بعمارتها الأمير كوكبري، وأكثر أهلها من الأكراد، وتقع شمال العراق شرقي مدينة الموصل. انظر معجم البلدان(١/١٣٧).

(٢) درس في شرح حديث :(اجتنبوا السبع الموبقات) لسماحة الشيخ عبد اله بن محمد بن حميد ~ ـ ، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه(٥٤٠٩).

(٣) سورة الأنبياء (آية : ١٠٧).

(٤) سورة الأنبياء (آية : ١٠٧) .

(٥) سورة آل عمران (آية : ١٦٤) .

وقـــــال ﷻ : M ` v w x y z { | } ~ لَا يَعْلَمُونَ L[1] .

وقال ﷻ : M | } ~ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ © رَّحِيمٌ L[2] ، أي حريص على هدايتكم ، وإنقاذكم من النار [بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ] أي أن رحمته ، ورأفته خاصة بأهل الإيمان ، كما أن غلظته ، وشدته على أهل الكفر والنفاق ، فنعرف أن هذا شيء مبتدع لا أصل له في الدين ، ولهذا ذهب كثير من المحققين إلى أنه لا ينبغي الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، وأنه لا أصل له في الشريعة ، كيف وقد مضت القرون المفضلة؟! ، ولم يعرفوا شيئاً من ذلك ، ورسول الله ﷺ يقول : (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ**)[3] ، (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**)[4]، هذا ونسأل الله لنا ولكم الثبات على الإسلام والوفاة على الإيمان ، وأن يرزقنا اتباع محمد ﷺ وأصحابه ﷺ وأرضاهم ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

وكذلك يقول الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ في نفس البدعة : " اعتاد كثير من الناس في مثل هذا الشهر ـ شهر ربيع الأول ـ من كل سنة إقامة الحفلات الرائعة لذكرى مولد الرسول ﷺ ، وذلك ليلة الثاني عشر منه قائلين : إنه عبارة عن إظهار السرور بمثل اليوم الذي ولد فيه الرسول الكريم ﷺ ، وبما يكون فيه من الصدقات والأذكار ، فنقول[5] :

لا شك أنه سيد الخلق ، وأعظمهم ، وأفضل من طلعت عليه الشمس ، ولكن لماذا لم يقم بهذا الشكر أحد من الصحابة ، والتابعين ، ولا من الأئمة المجتهدين ، ولا أهل القرون الثلاثة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية ؟! مع أنهم أعظم محبةً له منا ، وهم على الخير أحرص ، وعلى اتباعه أشد ، بل كمال محبته ، وتعظيمه في متابعته ، وطاعته ، واتباع أمره

---

(١) سورة سبأ (آية : ٢٨).

(٢) سورة التوبة (آية : ١٢٨).

(٣) سبق تخريجه(ص١٢٦) .

(٤) سبق تخريجه(ص٤١٩).

(٥) الرسائل الحِسان في نصائح الإخوان ، مقالات صحفية ، اعتنى بنشرها عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم ، المولد النبوي الشريف ، (ص ٣٩- ٤٠)، (نُشرت في مجلة الحج في ربيع الأول سنة ١٣٧٦هـ).

واجتناب نهيه ، وإحياء سنته ظاهراً وباطناً ، ونشر ما بُعِث به ، والجهاد على ذلك بالقلب واليد و اللسان ، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان ، لا في إقامة تلك الحفلات المبتدَعة، التي هي من سنن النصارى ، فإنه إذا جاء الشتاء في أثناء " كانون الأول " لأربع وعشرين خلت منه ـ بزعمهم أنه ميلاد عيسى ـ عليه السلام أضاؤوا في ذلك الأنوار ، ووضعوا الطعام ، وصار يوم سرور وفرح عندهم ، وليس في الإسلام أصل لهذا ، بل الإسلام ينهي عن مشابهتهم ، ويأمر بمخالفتهم ، فقد قيل إن أول من احتفل بالمولد النبوي الشريف هو " كوكبوري أبو سعيد بن أبي الحسن علي بن بكتكين التركماني صاحب إربل " أحدث ذلك في أواخر القرن السادس، أو أوائل القرن السابع ، إنه يقيم ذلك الاحتفال الليلة التاسعة على ما اختاره المحدثون من ولادته ﷺ تلك الليلة ، وفارق ليلة الثاني عشر على ما قاله الجمهور ، فهل كان التركماني ومن تبعه أعلم وأهدى سبيلاً من خيار هذه الأمة وفضلائها من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومن بعدهم ؟ في حين أنه لو قيل : إن يوم البعثة أولى بهذا الشكر من يوم الولادة ، لكان أحرى ؛ لأن النعمة ، والرحمة ، و الخير ، والبركة إنما حصلت برسالته بنص قوله سبحانه وتعالى : M ` a b c d L [1].

ومعلوم أن كل بدعة تعبّد بها أصحابها ،أو تُجعل من شعائر الدين ، فهي محرمة ممنوعة ؛ لأن الله ـ جل جلاله ـ أَكملَ الدين ، وأجمعت الأمة على أن أهل الصدر الأول أكملُ الناسِ إيماناً وإسلاماً ، فالمقيمون لتلك الحفلات ، وإن قصدوا بها تعظيمه، فإنهم ابتدعوا في دينه بزيادة، أو نقص، أو تغيير، أو تبديل . وحسن النية، وصحة القصد ـ لا يبيحان الابتداع في الدين[2] ، فإنّ جُل ما أحدثه مَن كان قبلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية

(١) سورة الأنبياء (آية : ١٠٧).

(٢) رسالة التوحيد.

وقصد ، وما زالوا يزيدون وينقصون بقصد التعظيم ، وحسن النية ، حتى صارت أديانهم خلاف ما جاءتهم به رسلهم. والله أعلم .

ويقول أيضاً سماحة الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ في درس شرح حديث : (**اجتنبوا السبع الموبقات**) : "بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه الأمين ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان أجمعين إلى يوم الدين ، وبعد :

عن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول اللّه ﷺ قال : "**اجتنبوا السبع الموبقات قيل : يا رسول اللّه ، وما هنَّ؟ قال : "الشرك باللّه ، والسِّحر ، وقتل النفس التي حرم اللّه إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولِّي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**[1]" .

ويقول أيضاً ـ ~ ـ : "فقد تقدم بيان ما دلَّ عليه حديث أبي هريرة ﷺ ، أن رسول اللّه ﷺ قال : "اجتنبوا السبع الموبقات " أي المهلكات ، " قالوا : يا رسول اللّه ، وما هنَّ؟ قال : "الشرك باللّه" تقدم أن الشرك هو أعظم ذنب عُصِيَ الله ـ ﷻ ـ به ، وأن الله لا يغفره إلا بالتوبة منه ، وأن من مات على الشرك فمآله إلى النار ، والجنة محرمة عليه ، بنص قوله ﷻ : M J K L M N O P Q R S T V W X Y L[2]

وقوله ﷻ : M ! " # $ % ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 L[3]

ويقول أيضاً ـ ~ ـ : "وبيَّنا معنى الشرك الأكبر ، والأصغر ، وبيَّنا البدع التي تقدح في التوحيد ، كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، قلنا إنه بدعة ، وأن أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ الذين تعلموا العلم من رسول الله ـ ﷺ ـ ، والذين تعلموا القرآن من رسول الله ـ ﷺ ـ ، ما كانوا يعرفون هذا الاحتفال بالمولد النبوي ، لا هم ولا مَن بعدهم من التابعين ، ولا مَن

---

(١) أخرجه البخاري (٣/١٠١٧ برقم ٢٦١٥) ، ومسلم (١/٩٢ برقم ٨٩).

(٢) سورة المائدة (آية : ٧٢).

(٣) سورة الحج (آية : ٣١).

بعدهم من تابعي التابعين ، ولا مَن بعدهم ، ولا من بعدهم ، إلا في القرن الخامس أو السادس ، وأول من أقام الاحتفال بالمولد في الإسلام هو أبو سعيد كوكبوري ، على ما قاله بعض المؤرخين"[(١)].

يقول الشيخ صالح البليهي : " ومثل ذلك الاجتماع، والاحتفال بدعاء ليلة النصف من شعبان، وبليلة مولد النبي ـ ﷺ ـ فتعظيم الرسول ـ ﷺ ـ ومحبة الرسول ـ ﷺ ـ لا يحصل بالاحتفال بمولد الرسول ـ ﷺ ـ ، فصحابة الرسول ـ ﷺ ـ لم يحتفلوا بمولد الرسول ـ ﷺ ـ ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وإنما احترام الرسول ـ ﷺ ـ ومحبة الرسول ـ ﷺ ـ ، وتعظيم الرسول ـ ﷺ ـ هو بطاعة الرسول ـ ﷺ ـ ، وامتثال أمره واجتناب نهيه، والعمل بسنته، فالاحتفال بمولد الرسول بدعة منكرة"[(٢)] .

" ثم يقول الشيخ البليهي : " ومثل ما تقدم ما يفعله بعض الصوفية، يتعبدون لله بالغناء والأهازيج والرقص، والتصفيق، والخنوع، والتمايل، والشخير، والنخير مع اقتصارهم على قول: الله الله الله، أو هو، هو، هو" [(٣)].

رابعاً : بناء المساجد على القبور :

القبر : حفرة في الأرض يُوارَى فيها الميت، والقبر أصل صحيح ، يدل على غموص في شيء وتطامن ، فهو مدفن الإنسان ، وجمعه قبور. وموضعها : المقبرة: بفتح الباء وضمها[(٤)].

وللقبر في لغة العرب معان كثيرة، من أشهرها الضريح ، ومنها الرمس، ومنها الجدث.[(٥)]

---

(١) رسالة التوحيد.

(٢) عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، تأليف الشيخ: صالح بن إبراهيم البليهي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ص٥٣١.

(٣) المرجع السابق، ص٥٣١.

(٤) انظر: مادة قبر في مقاييس اللغة (٤٨/٥)، ولسان العرب(٦٨/٥) .

(٥) انظر: مادة رمس في مقاييس اللغة(٤٣٩/٢) .، ولسان العرب(١٠١/٦)، و مادة جدث في العين(٧٣/٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ ~ ـ [١]: "فأمَّا بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة علماء الطوائف بالنهي عنه، متابعة للأحاديث ، وصرح أصحابنا وغيرهم، من أصحاب مالك، والشافعي وغيرهما، بتحريمه ، ومن العلماء من أطلق فيه لفظ الكراهة، فما أدري عني به التحريم أو التنزيه؟ لا ريب في القطع بتحريمه لما روى مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله البجلي ﷺ قال: **سمعت النبي ـ ﷺ ـ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد. ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك"**[٢].

وقال النووي ـ ~ ـ[٣] : " قال العلماء : إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره، وقبر غيره مسجداً؛ خوفاً من المبالغة في تعظيمه، والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر، كما جرى لكثير من الأمم الخالية " [٤].

قال الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ معلقاً على قول النبي ـ ﷺ ـ : "**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**"[٥]: إذا كان النهي عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد فقبور غيرهم ممن هم دونهم بطريق الأولى.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة، الطبعة الثانية ، ١٣٦٩هـ، تحقيق : محمد حامد الفقي(ج١، ص٣٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٧٧ ، رقم ٥٣٢) .

(٣) هو: يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي، العالم محيي الدين أبو زكريا، النووي ثم الدمشقي، الشافعي العلامة، شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه، ولد بنوى سنة إحدى وثلاثين وست مئة، وتوفي سنة ست وسبعين وست مئة. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٣٩٥)، والعبر (٥/ ٣١٢)، وطبقات الحفاظ (ص٥١٣).

(٤) شرح مسلم للنووي(٥/ ١٧).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٣٧٦ برقم ٥٢٩) .

وفي هذا يتضح أن بناء المساجد على القبور لم يكن من شريعة رسول الله ﷺ، ولم يكن من الإسلام في شيء"[١].

وقد بين الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ خطورة بناء المساجد على القبور، أو القبور في المساجد ، وذكر مثالاً لذلك بقوله: (إنّ بناء المساجد على القبور ، أو دفن القبور في المساجد من المحادة لله ورسولهﷺ، ومما ينافي ما جاء به النبي ـ ﷺ ـ ، وما دعا الناس إليه من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ؛ ومن ذلك المسجد الحسيني ــ وهو في القاهرة ـ فيزعمون أن الحسين دُفِن فيه، ويطوفون به، ويصلُّون ؛ ظناً منهم أن لهذا المسجد مزية ومكانة ، ومزيد فضل ؛ بسبب أن الحسين دّفِن فيه، وهذا من الشرك)[٢].

ثم بين ـ ~ ـ كذب قولهم في أن الحسين ﷺ دُفِن فيه بقوله: "الحسين لم يدفن بهذا المسجد، بل الحسين لم يأت القاهرة، وإنما قُتل ﷺ في العراق كما هو معلوم من كتب السير، وكتب التاريخ؛ فقيل: إنه دفن في العراق، وحمل رأسه إلى يزيد بن معاوية في الشام فدفن في المدينة، وقيل: في الشام، وقيل: في عسقلان. إن المدفون في القاهرة رجل نصراني في هذا المكان . وقالت طائفة: المدفون في هذا المكان حيوان أصلا"[٣].

---

(١) شرح كتاب التوحيد ، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ تحت الطباعة (ص: ٣٦٠).

(٢) المرجع السابق، تحت الطباعة (ص: ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

(٣) شرح كتاب التوحيد ، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ تحت الطباعة (ص: ٣٦٠). قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ ~ ـ في مجموع الفتاوى (٢٧/٤٨٥ ، ٤٨٦): (حدثني طائفة من الثقات عن الشيخ أبى عبدالله محمد بن على الغنوي المعروف بابن دقيق العيد، وطائفة عن الشيخ أبى محمد عبدالمؤمن بن خلف الدمياطي، وطائفة عن الشيخ أبى محمد بن القسطلاني، وطائفة عن الشيخ أبى عبدالله محمد القرطبي صاحب التفسير وشرح أسماء الله الحسنى، وطائفة عن الشيخ عبدالعزيز الديرينى، كل من هؤلاء حدثني عنه من لا أتهمه، وحدثني عن بعضهم عدد كثير، كل يحدثني عمن حدثني من هؤلاء أنه كان ينكر أمر هذا المشهد، ويقول: إنه كذب، وإنه ليس فيه الحسين ولا غيره، والذين حدثوني عن ابن القسطلاني ذكروا عنه أنه قال: إن فيه نصرانياً، بل القرطبي والقسطلاني ذكرا بطلان أمر هذا المشهد في مصنفاتهما، وبيّنا فيها أنه كذب؛ كما ذكره أبو الخطاب بن دحية) ا.هـ.

ومن المعلوم عند المؤرخين أن رأس الحسين لم يُحمل إلى مصر ، وإنما حمل رأسه إلى الشام ، ومصر لم يصلها رأس الحسين[١] ، فجعل هناك قبر ومدفن ، فمن تعلق بذلك القبر تعلق بالحسين ، فصار مشركاً ، ولو لم يوافق اعتقاده الحقيقة ؛ لأنه تعلق قلبه بغير الله ـ جل وعلا ـ في هذه البقعة.

ومما ينبغي الحذر منه : إنفاذ وصية الميت بأن يُدفن في مسجده ، وهذا مما نبَّه عليه ابن حميد ـ ~ ـ بقوله : "... لو أوصى الميت بأن يُدفن في مؤخرة مسجده الذي بناه ، وأنفق عليه ، فوصيته باطلة لا تصح ، بل يُدفن مع المسلمين ؛ حسماً لمواد الشرك ، وقطعاً لذرائع الشرك ؛ خشية تدرج الشيطان إلى الغاية التي هي الشرك بالله ـ ﷻ ـ "[٢].

وقد ذكر ابن حميد ـ ~ ـ العلة من تحريم الصلاة في المقبرة بقوله : "... وليست العلة هي النجاسة ـ كما يقوله الحنابلة وغيرهم ـ فالحنابلة يقولون : إن النهي عن الصلاة في المقبرة بسبب النجاسة ، وفي كتب المتأخرين أن النهي تعبدي ، لا يعرف معناه.

فالذين يقولون : إن السبب في التحريم النجاسة قالوا : لا يضر القبر والقبران ؛ فلو صلى الإنسان عند قبر أو قبرين لا بأس في ذلك ، أما لو زاد على ذلك فلا يصح الصلاة عندها ؛ لأن أحاديث النهي جاءت ألفاظ القبر بصيغة الجمع فيها ، وأقل الجمع ثلاثة ، فإذا كانت أقل من ذلك فلا تسمى قبوراً.

والصحيح أن العلة هي نجاسة الشرك ، وذلك أن النبي ـ ﷺ ـ قال : "**لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**" والناس فهموا منه أنه يحذرهم من اتخاذ قبره ﷺ مسجداً ، وأيضاً هناك حديث أم حبيبة ـ < ـ ، وأم سلمة ـ < ـ ، لما قالتا للنبي ﷺ عما

---

(١) قال ابن الجوزي في المنتظم (٥/٣٤٤) ط. دار صادر : (وذكر ابن أبي الدنيا أنهم وجدوا في خزانة يزيد رأس الحسين ، فكفنوه ، ودفنوه بدمشق عند باب الفراديس).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٨/١٩٢) ط. مكتبة المعارف : (... وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين ، هل سيَّره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا ، على قولين ، الأظهر منهما أنه سيره إليه ، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة ، فالله أعلم).

(٢) شرح كتاب التوحيد ، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ ، تحت الطباعة.

رأتاه في أرض الحبشة، ومن الكنيسة وما فيها من الصور، فقال النبي ـ ﷺ ـ : "**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح ـ أو العبد الصالح ـ بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**"[(١)] هذا هو قبر واحد، ومع هذا أخبر بأنهم شرار الخلق عند الله ﷻ ؛ لأنهم بنوا على قبره مسجداً ؛ فلا فرق بين الواحد ، والاثنين ، والثلاثة ؛ خلافاً لما في الإقناع، والمنتهى، وغيرهما"[(٢)].

ويقول الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ في درس في معنى التوحيد [(٣)]عند تفسيره لقوله ﷻ : M w x y z { | } ~ **أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ** © **فِي ٱلۡأَرۡضِ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ** µ ¶ ¸ L [(٤)] يعني أن طلب المدد من غير الله ، وأن بناء الأبنية على القبور ، كأحمد البدوي، والسيدة زينب، أو الحسين، أو ما أشبه ذلك، أنه كله من الأمور الباطلة ، وأنها من علامات الشرك، فإن الله خلق العباد لعبادته، والعبادة هي التوحيد، فتوحده بأفعالك، لا تشرك فيها نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً، فضلاً عن مثل أحمد البدوي[(٥)]، أو عبد القادر الجيلاني، أو معروف الكرخي، أو الدسوقي، أو ما أشبه ذلك، هؤلاء لا يجوز لنا أن نبني على قبورهم، وأن نسألهم من دون الله، وكذلك ما يُزعم أو يُدعى أنه قبر علي في العراق يعبدونه ، وينذرون له، هذا ـ والله ـ الشرك بعينه، أو قبر الحسين المزعوم أنه في مصر في القاهرة، ويقولون: هذا قبر الحسين. مع أن الحسين لم

---

(١) أخرجه البخاري (١/١٦٧ برقم ٤٢٤)، ومسلم (١/٣٧٥ برقم ٥٢٨).

(٢) شرح كتاب التوحيد ، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ.

(٣) شرح كتاب التوحيد ، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ.

(٤) سورة آل عمران (آية : ١٢٨ ـ ١٢٩).

(٥) هو: **أحمد بن إبراهيم البدوي**، مؤسس الطريقة الأحمدية البدوية ، مغربي الأصل، ولد بمدينة فاس، سنة ٥٩٦ هـ ، ورحل إلى مكة ، ثم العراق، أقام بمدينة(طنطا) بمصر ، فنشر دعوته فيها ، وبث الدعاة في أرجاء مصر ، وتظاهر بالجنون ، وتستراً على نفسه، وتوفي بطنطا سنة ٦٧٥ هـ . انظر: الطبقات الكبرى ١/١٨٣ ، والإعلام ١/١٧٥ ، الموسوعة الصوفية ص ٤٣، ومناقب أحمد البدوي لعبد الصمد الأحمدي ، وأقطاب التصوف الثلاثة لصلاح عزام ص ٥١، واليد أحمد البدوي لعبد الحليم محمود ، والإرب في سيرة أحمد البدوي لسليمان بن حسن بن عبد الوهاب ، والسيد البدوي لأحمد صبحي منصور.

يأتِ القاهرة أبداً، ولم يصل إليها، وإنما قُتل في العراق في إربل، واختلفوا (أين) حُمل رأسه؟ قيل إلى الشام. وقيل إلى المدينة. وقيل غير ذلك، لكن لم يكن في مصر[(١)].

وقبر الحسين المعروف الآن في القاهرة ليس قبر الحسين بن علي بن أبي طالب، وإنما هو كذب مزعوم، حتى قال القسطلاني[(٢)] في (شرح البخاري): إن قبر الحسين في مصر ليس هو الحسين، إنما هو رجل نصراني يتسمَّى بالحسين فدُفِن هناك، فقالوا: هذا قبر الحسين. هذا قول القسطلاني في شرح البخاري. وشيخ الإسلام ابن تيمية ألَّف رسالة سماها (رأس الحسين) وكذلك غيره كلهم مجمعون على أنه لم يدفن في القاهرة، ثم لو دُفِن في القاهرة، أو في غيرها، فالله لم يأمرنا بأن نعبده، أو ننذر له، أو نطوف بقبره، أو نذبح له، أو نسأله من دون الله ﷻ، وإنما نسأل الله وحده، وننذر لله وحده، ونذبح لله وحده ﷻ، ونستعين بالله وحده، قال الله ﷻ: M 2 3 4 5 L[(٣)]، فتقديم المعمول على عامله يفيد الحصر، وقال ﷺ: "**إذا استعنت فاستعن بالله**"[(٤)]، وقال في الذبح: "**لعن الله من ذبح لغير الله**"[(٥)]، إلى غير ذلك مما يدل على أن هذه لا تصلح إلا لله وحده لا شريك له، ولكن يا للأسف، قلَّ بلاد إلا وتجد فيها من المقبورين: يعظمونهم، ويسألونهم، ويقولون إنهم وسائط بيننا وبين الله، الله لم يرض أن يكون بينك وبينه أي واسطة ما، قال ﷻ: M **وَإِذَا**

---

(١) انظر: سورة آل عمرانرأس الحسين، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) (آية: ١٢٨ ـ ١٢٩ج١، ص ١٨١- ٢١٥).

(٢) هو: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين: من علماء الحديث. مولده ووفاته في القاهرة. له "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ـ ط" عشرة أجزاء. و "المواهب اللدنية في المنح المحمدية ـ ط" في السيرة النبوية، و "لطائف الإشارات في علم القراءات ـ خ" و "الكنز" في التجويد، و "الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر" و"شرح البردة" سماه "مشارق الأنوار المضية. انظر: هدية العارفين(١/١٣٩)، والأعلام(١/٢٣٢)، ومعجم المؤلفين(٢/٨٥).

(٣) سورة الفاتحة (آية: ٥).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/٦٦٧ برقم ٢٥١٦) وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وابن حبان في صحيحه (١٥/١٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٧٩٥٧).

(٥) سبق تخريجه ص ٢٣١.

سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ L [(١)] وإذا سألك عبادي عني فإني جعلت بيني وبينهم وسائط، لم يقل هذا، بل قال ﷻ : **فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ، وقال ﷺ : "**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**"[(٢)]، فالله لم يرضَ أن يكون بينك وبينه أي واسطة، بل أمرك أن تدعوه، أمرك أن تستعين به، أمرك أن تتوكل عليه، إلى غير ذلك.

خامساً : عبادة الله في مسجد فيه قبر :

إذا كان في المسجد قبر، ولا يعتقد أن فيه فضلاً، وإنما يتعبد فيه لله فهذا من البدع، لكنه أخف؛ لأنه شابه المشركين؛ فالمشركون بنوا القباب على قبور أنبيائهم، أو صالحيهم ووضعوا عليها المساجد، وهذا مشابه لنهي النبي ـ ﷺ ـ عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها؛ لأن المشركين يسجدون لها، وأنت تصلي في هذا الوقت لله، لا للشمس ولا لشيء آخر، فمنعت من هذا؛ لما في ذلك من مشابهة المشركين، وقد علل النبي ـ ﷺ ـ بهذه العلة فقال: "حينئذ يسجد لها الكفار" في الظاهر، وإن اختلفت المقاصد[(٣)].

وقد ذهب جمع من علماء الدعوة ـ بل الأكثر منهم ومن غيرهم ـ إلى أنّ عباد القبور الذين لم يعرفوا التوحيد أصلاً، ونشؤوا على ضده، وشبوا عليه، وكانوا مشركين بالله جل وعلا، ولم يعرفوا الإسلام الصحيح، أنهم لم يدخلوا في الدين أصلاً[(٤)]، حتى يقال: إن أحكام المرتد تجري عليهم، بل هم كفار أصليون، ومعلوم أن الكافر الأصلي في أحكامه أخص من أحكام المرتد[(٥)]؛ لأن لهم في ذلك تفاصيل معلومة في بابها.

---

(١) سورة البقرة (آية : ١٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (١/٣٥٠ برقم ٤٨٢).

(٣) شرح كتاب التوحيد، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ، باب ما جاء من التغليظ فيمن عَبَد الله عند قبر رجل صالح، تحت الطباعة.

(٤) انظر: الدرر السنية (١٠/٣٣٥ـ٣٣٧).

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ ~ ـ في مجموع الفتاوى (٢٨/٤١٣): (وطائفة كانت مسلمة فارتدت عن الإسلام وانقلبت على عقبيها من العرب، والفرس، والروم، وغيرهم، وهؤلاء أعظم جرماً عند الله، وعند رسوله والمؤمنين، من الكافر الأصلي من وجوه كثيرة، فإن هؤلاء يجب قتلهم حتماً ما لم يرجعوا إلى ما خرجوا عنه، ولا يجوز أن يعقد لهم ذمة ولا هدنة ولا

يقول الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ في " فتاوى في العقيدة "[١] حول الصلاة في المساجد التي بها قبور، والرسول ﷺ دُفِن في حجرة عائشة ـ > ـ ، ولم يدفن في المسجد.

السؤال: إنني أعرف أن الصلاة في المساجد التي بها قبور حرام، وعندما كنا نناقش بعض الذين لا يرون ذلك، وندعوهم إلى عدم الصلاة في المساجد التي بها قبور، قالوا: إذاً كيف تصلون في المسجد النبوي وبه قبر رسول الله ﷺ ؟

الجواب: لا شك أن الصلاة في المقبرة لا تجوز، وجاء في صحيح مسلم: أن النبي ـ ﷺ ـ قال : "**لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها**"[٢]، فقوله" **لا تصلوا إلى القبور** " دل على أن الصلاة في المقبرة لا تصح ، وكل مسجد فيه قبر إن كان المسجد هو الأول فيجب نبش القبر، وإن كان القبر هو الأول، وبني عليه مسجد ، فلابد من هدم المسجد ، فالحكم للأسبق.

أما بالنسبة لقبر النبي ـ ﷺ ـ فهو ليس من هذا القبيل، هو لم يدفن في المسجد ، بل دُفِن في حجرته، فالمسجد لم يصل إليه في ذاك الوقت ، وإنما لما زيد في مسجد النبي ـ ﷺ ـ زاده عثمان أولاً، ثم زاده الوليد بن عبد الملك كما هو معلوم ،وأدخل الحجرة، ثم جعل عليها جدراناً لا يتمكن الإنسان من استقبال القبر ولا يستطيع، كما قال ابن القيم:

ولقد نهانا أن نصير قبره   عيداً حذار الشرك بالرحمن.

ودعا بأن لا يجعل القبر الذي   قد ضمه وثناً من الأوثان.

فأجاب رب العالمين دعاءه   وأحاطه بثلاثة الجدران.

أمان، ولا يطلق أسيرهم، ولا يفادى بمال ولا رجال، ولا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم، ولا يُسْتَرَقُّون مع بقائهم على الردة بالاتفاق، ويقتل من قاتل منهم، ومن لم يقاتل، كالشيخ الهرم، والأعمى، والزمن ، باتفاق العلماء، وكذا نساؤهم عند الجمهور. والكافر الأصلي يجوز أن يعقد له أمان وهدنة، ويجوز المن عليه والمفاداة به إذا كان أسيرا عند الجمهور، ويجوز إذا كان كتابيا أن يعقد له ذمة، ويؤكل طعامهم، وتنكح نساؤهم، ولا تقتل نساؤهم إلا أن يقاتلن بقول أو عمل باتفاق العلماء، وكذلك لا يقتل منهم إلا من كان من أهل القتال عند جمهور العلماء؛ كما دلت عليه السنة، فالكافر المرتد أسوأ حالاً في الدين والدنيا من الكافر المستمر على كفره) اهـ.

(١)شرح كتاب التوحيد ، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ ، باب ما جاء من التغليظ فيمن عَبَد الله عند قبر رجل صالح ، تحت الطباعة .

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٨ برقم ٩٧٢).

فلا يمكن أن يُتوصل إليه، ولا يُقال إنه دُفن في المسجد ،بل هو سابق للمسجد، دُفن في حجرته، ولكن بسبب هذه الزيادات دخلت الحجرة، وجعل عليها تلك الجُدُر المانعة من استقبال القبر.

الأدلة من السنة على تحريم اتخاذ القبور مساجد :ـ

وبعد أن ذكرنا بعضاً من أقوال العلامة ابن حميد ـ ~ ـ حول مسألة : حكم اتخاذ القبور مساجد، نذكر الأدلة التي يستدل بها على النهي عن اتخاذ القبور مساجد ومنها :-

١- عن عائشة ـ > ـ قالت : **قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : " لعن الله اليهود والنصاري ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " قالت : فلولا ذاك أبرِزَ قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً** "[١].

٢- عن أبي هريرة ـ ﷺ ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " **قاتل الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** "[٢].

٣- عن عائشة وابن عباس ـ } ـ قالا : **لما نزل برسول الله ﷺ طَفِقَ يطرحُ خميصة على وجهه، فإذا اغتم كشفها – فقال – وهو كذلك ـ : "لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" . يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً** "[٣].

٤- عن عائشة ـ > ـ أن أم سلمة ـ > ـ ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية، فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ : " **أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور .أولئك شرار الخلق عند الله** "[٤].

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٧٦ برقم ٥٢٩) .

(٢) أخرجه البخاري (١/١٦٨برقم ٤٢٦) . ومسلم (١/ ٣٧٦برقم ٥٣٠).

(٣) أخرجه مسلم (١/٣٧٦ برقم ٥٢٩) .

(٤) سبق تخريجه ص ٤٤٤ .

٥- عن جندب[(١)] ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يموت بخمس ، وهو يقول : **" ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك "**[(٢)].

٦- عن أسامة بن زيد[(٣)] ، أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه : **" أدخلوا علي أصحابي " . فدخلوا عليه وهو متقنع ببردة معافري ، فكشف القناع ، فقال : " لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "**[(٤)].

٧- عن أبي عبيدة بن الجراح[(٥)] : كان آخر ما تكلم به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **" أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "**[(٦)].

---

(١) هو : أبو ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ الصحابي المشهور اسمه جندب بن جنادة بن عبيد بن سفيان بن حرام بن غفار، هاجر إلى النبي ﷺ ، ومات بالربذة. مناقبه وفضائله كثيرة جداً . مات في زمن عثمان ـ رضي الله عنه ـ سنة اثنتين وثلاثين.
انظر: تقريب التهذيب (١ /٦٣٨) ، والتاريخ الكبير ، (٢ / ٢٢١). تهذيب التهذيب ،(٢ /٩٨) ، و ابن سعد في الطبقات (٤ / ٢٢٦).

(٢) سبق تخريجه ، ص : ٤٤٤.

(٣) هو : أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي ـ رضي الله عنه ـ ، أبو محمد المدني، مولى رسول الله ﷺ ، وابن مولاه ، وحبه، ابن حبه. له فضائل كثيرة، توفي رسول الله ﷺ وعمره تسع عشرة سنة ، كان ردف النبي ﷺ ، يعرفه ، صحح ابن عبد البر أنه مات سنه ٥٤ (البداية والنهاية ، (٨ / ٦٧)، وانظر معرفة أسامة ردف النبي ﷺ ليحيى في مسنده ،(١ /٤٦) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ، (١ /٤٩).

(٤) أخرجه البخاري(١ /١٦٨ برقم ٤٢٦) ومسلم (١ /٣٧٧ برقم ٥٣١) .

(٥) هو: عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي، صاحب رسول الله ﷺ ، مشهور بكنيته ونسبه إلى جده، أحد المبشرين بالجنة، هاجر الهجرتين وشهد بدراً وما بعدها ، وهو الذي انتزع الحلقتين من وجه رسول الله فسقطت ثنيتاه، وقال فيه الرسول ﷺ : "**لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح**" توفي سنة ثماني عشرة . انظر: تهذيب التهذيب (١٢ / ١٧٧)، تهذيب الكمال(٣٤ / ٥٤)، والإصابة (٣ /٥٨٦) .

(٦) أخرجه البخاري (١ /١٦٨ برقم ٤٢٦)، ومسلم(١ /٣٧٧ برقم ٥٣١) .

٨- عن زيد بن ثابت[١] أن رسول الله ﷺ قال : (**لعن الله (وفي رواية : قاتل الله) اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** "[٢] .

٩- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " **اللهم لا تجعل قبري وثناً ، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** "[٣] .

١٠- عن عبدالله بن مسعود قال : سمعت رسول لله ـ ﷺ ـ يقول : " **إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، ومن يتخذ القبور مساجد** " [٤] .

١١- عن أمهات المؤمنين أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : كيف نبني قبر رسول الله ﷺ أنجعله مسجداً؟ فقال أبو بكر الصديق ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**"[٥] .

قال الألباني ـ ~ ـ " وهي تدل دلالة قاطعة على أن اتخاذ القبور مساجد حرام ؛ لما فيها من لعن المتخذين "[٦] .

وقد سئل شيخ الإسلام - رَحِمَهُ اللهُ - عن حكم الصلاة في المسجد إذا كان فيه قبر فأجاب ـ ~ ـ : " اتفق الأئمة أنه لا يُبنى مسجد على قبر ؛ لأن النبي ـ ﷺ ـ قال : " **إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن**

---

(١) هو أبو سعيد ، زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري ، النجاري ، صحابي جليل كان يكتب الوحي لرسول الله ـ ﷺ ـ ، وأول مشاهده أحد، وقيل الخندق ، ومناقبه كثيرة ، مات سنة ٤٥هـ وقيل ٥١هـ ، انظر: تهذيب الكمال : (١٠/٢٤)، سيير أعلام النبلاء: (٤٢٦/٢) .

(٢) سبق تخريجه (ص٤٥٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢ /٢٤٦ ، برقم ٧٣٥٢) ،والحميدي في مسنده ، (٢/ ٤٤٥ برقم ١٠٢٥) .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١ /٤٠٥ برقم ٣٨٤٤) ،وابن خزيمة في صحيحه (٢/٦ برقم ٧٨٩)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠ /١٨٨ برقم١٠٤١٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/١٨٦ برقم ٢٧٢).صححه ابن خزيمة.

(٥) سبق تخريجه (ص٤٤٤).

(٦) أحكام الجنائز وبدعها ، (ص ٢٧٩).

ذلك "[١] وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد . فإن كان المسجد قبل الدفن غُير : إما بتسوية القبر ، وإما بنبشه إن كان جديداً . وإن كان المسجد بني بعد القبر ، فإما أن يزال المسجد ، وإما أن تزال صورة القبر ، فالمسجد الذي على القبر لا يصلى فيه فرض ، ولا نفل ، فإنه منهي عنه ""[٢]

قال النووي ـ ~ ـ : " واتفق نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر، سواء كان الميت مشهوراً بالصلاح أم غيره "[٣] .

وهكذا يتضح لنا من كل ما سبق شدة تحريم اتخاذ القبور مساجد.

سادساً : قول أسألك بجاه نبيك :

معنى التوسل لغةً. قال ابن منظور : " الوسيلة : القربة. ووسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملاً تقرب به إليه...، وتوسل إليه وسيلة : إذا تقرب إليه بعمل " [٤]

وقال الفيروز آبادي : ووسل إلى الله ﷻ توسيلاً : عمل عملاً تقرب به إليه كتوسل [٥] .

وقال ابن فارس : " يقال وسل إذا رغب. والواسل : الراغب إلى الله ـ ﷻ ـ . وهو في قول لُبيد " بلى كل ذي دين إلى الله وأسل" .

وقال الفيومي : وتوسل إلى ربه بوسيلة : تقرب إليه بعمل [٦] .

معنى التوسل اصطلاحاً:

التوسل في كلام الشرع ورد في آيتين من كتاب الله ـ ﷻ ـ :

---

(١) سبق تخريجه ، ص : ٤٤٤.

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية : (١١/ ١١٩).

(٣) مختصر المجموع شرح تهذيب للإمام النووي ، دار السوادي ، جدة ، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، (٥/ ٨٢).

(٤) لسان العرب بالدار المصرية للتأليف والنشر، (١٣ / ٢٥٠).

(٥) المعجم الوسيط (٢/ ١٠٣٢) ، ولسان العرب (١١/ ٧٢٤)، وتهذيب اللغة(١٣/ ٤٨)، ومعجم مقاييس اللغة(٦/ ١١٠).

(٦) المصباح المنير ، العلامة أحمد بن محمد الفيومي المقري، مكتبة لبنان، بيروت(ص ٢٥٣) مادة (وسل).

الآية الأولى في سورة المائدة في قوله ﷻ : M ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ ©سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ L [(١)]

والآية الثانية في قوله ﷻ: M ¶ ﴿يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ L [(٢)] .

فالتوسل له معنى عام، ومعنى خاص.

١- المعنى العام: " وهو التقرب إلى الله بطاعته، وهذا يدخل منه كل ما أمرنا الله به ورسوله " [(٣)]

قال ابن تيمية ـ ~ ـ : " ابتغاء الوسيلة العمل بطاعة الله ﷻ ، والتقرب إليه بالصالح من الأعمال " [(٤)]

٢- المعنى الخاص: " والتوسل في دعاء الله ﷻ أن يقرن الداعي بدعائه ما يكون سبباً في قبوله ودعائه " [(٥)]

قال السعدي ـ ~ ـ: " فإذا أتى العبد بالسبب والوسيلة، وهو الدعاء لله المقرون بالاستجابة له بالإيمان به، والانقياد لطاعته " [(٦)].

وقد أنكر الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ التوسل بجاه النبي ـ ﷺ ـ. يقول ـ ~ ـ في درس شرح حديث : (**اجتنبوا السبع الموبقات**): " ومن البدع أيضاً التي تقدح في توحيد العبد ، ما يفعله بعض الناس، وهو قول (أسألك بجاه نبيك) ، مثلاً ، تسأل الله بجاه الرسول ﷺ، فأنت لم تُؤمر بأن تسأل الله بجاه الرسول ـ ﷺ ـ ، بل أمرك الله بأن تسأله

---

(١) سورة المائدة (آية : ٣٥).

(٢) سورة الإسراء (آية : ٥٧).

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية : (١ / ٢٤٧).

(٤) فتاوى ابن عثيمين (٢ / ٣٤٠).

(٥) انظر: الرد على البكري: (٢٨٤)، اقتضاء الصراط المستقيم : (٧٨٧).

(٦) تيسير اللطيف المنان (ص ٧٦).

بأسمائـه وصـفاته ، قـال الله ﷻ : M C D E F G I J K L M O P Q R L [1].

فادعُ الله بأسمائه : أسـالك بأسمائك الحسـنى وصـفاتك العُلى أن تغفر لي . وكما فـي الدعاء الـمعروف : "أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي"... إلى آخر الدعاء المعروف . ومعنى (أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي) : معناه أن قلبك مشبه بالأرض، والقرآن مشبه بـالمطر ، فكمـا أن المطر إذا نـزل علـى الأرض أنبتـت الأرض ، وأعشبت ، واخضرت ، وصار لها منظراً جميلاً و بهاءً ، فكذلك القرآن إذا حـل بالقلب، وفهمه الإنسان ، أنـور القلـب إيمانـاً، وصـار القلـب مريعـاً ، أنبـت الزهور، وأنبـت الخضار النافعة بما نزل عليه من القرآن ، تشبيهاً للقـرآن منزلـة المطر ، وتـشبيهاً للقلـب منزلـة الأرض المنبتة أنواع النباتات النافعة بنزول المطر عليهـا فقولـك : أسـالك بجـاه نبيـك . هـذا لا يجوز ، بل اسأل الله بأسمائه ، اسأل الله بصفاته ، اسأل الله بما ورد عنه ـ ﷺ ـ من الـدعاء ، أما أنك تسأل بجاه الرسول ـ ﷺ ـ ، فهذا لا ينبغي ، لكننـا لا نقـول إنـه كفـر أو شـرك. لا بل أنت مسلم ولو قلت هذا، إلا أن هذا من البدع .

فإن قلتَ : جاء حديث (**إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي ، أو توسلوا إلى الله بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم**)[2] . يستدل بهذا من يقول بسؤال الله بجاه الرسول ﷺ .

---

(١) سورة الأعراف (آية : ١٨٠).

(٢) قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة (ص١٩٧- ١٩٨) ، ورُوي بعض الجهَّال عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : " **إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي ، أو توسلوا إلى الله بجاهي ، فإن جاهي عند الله عظيم** " وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث، مع أن جاهه ـ ﷺ ـ عند الله أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام .

يقول الشيخ الألباني رحمه الله : هذا باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث البتة وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة كما نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه في (القاعدة الجليلة) قال : مع أن جاهه ﷺ عند الله أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين ولكن جاه المخلوق عند الخالق ليس كجاه المخلوق عند المخلوق فإنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه فهـو شريك لـه في حصول المطلوب والله تعالى لا شريك له كما قال سبحانه : M قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ

نقول لك : من أين هذا الحديث ؟ أين وجدتَّه ؟ أبداً لو بقيت إلى الأبد، ما تجد لهذا الحديث أصلاً ، لا في الصحاح ، ولا في المسانيد ، ولا في السنن ، ولا في الموضوعات وحتى الموضوعات لا تجده ، إنما هو جرى على ألسنة العوام ، فهو لا أصل له ، كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره .يقول : لا أصل له .

ومن البدع أيضاً أن تسأل الله بجاه محمد ـ ﷺ ـ أو بغيره ، وإنما تسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، عملاً بقوله ﷻ : C M D E F G I J K L M O P Q R L[1]، وقال أيضا ﷻ: Z M [\ ] ^ _ a b c d e f h i j k l m n o p q L[2] والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . انتهى كلامه ـ ~ .

سابعاً " التمسح بقبر النبي ـ ﷺ ـ والأولياء والصالحين :

تعريف الولي لغةً واصطلاحاً :

الولي لغةً : الوَليُّ : كل من ولي أمراً أو قام به ، والولي النصير والمحب)[3] .

و(الوَلْيُ : القرب ، والدنو ، والمطر بعد المطر)[4] .

الولي اصطلاحاً : "سُمِّي الولي ولياً من موالاته للطاعــات "[1] ، والولي ضد العدو ، والولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والقرب "[2] ، والولي : خلاف العدو ، وهو

زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ! " # $ % & ' ( ) : L (سورة سبأ : ٢٢ و ٢٣). انظر : التوسل أنواعه وأحكامه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ، بيروت، الطبعة : الثالثة، تحقيق : آلف بينها ونسقها محمد عيد العباسي(ج١ ، ص١١٧).

(١) سورة الأعراف (آية : ١٨٠).

(٢) سورة الإسراء (آية : ١١٠).

(٣) المعجم الوسيط (١٠٥٨/٢) ، باب الواو .

(٤) القاموس المحيط (١٧٣٢)، باب (الياء)

مشتق من الولي ، وهو الدنو والتقرب ، فولي الله هو : من والى الله بموافقته في محبوباته ، والتقرب إليه بمرضاته " [٣] .

ولقد عرف الحكيم الترمذي[٤] الولي بقوله: " ولي الله رجل ثبت في مرتبته وافياً بالشروط، كما وفى بالصدق في سيره، وبالصبر في عمل الطاعة واضطراره، فأدى الفرائض، وحفظ الحدود، ولزم المرتبة "[٥].

والولي هو العارف بصفاته بحسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المحنث عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات[٦] .

والولي عند الكاشاني: " من تولى الحق أمره،وحفظه من العصيان، ولم يخله ونفسه بالخذلان حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال "[٧].

الولاية لغة واصطلاحاً :

الولاية لغة :مصدر ولي يليه ولاية " إذا أدناه منه وقربه، أو قام به وملك أمره،ونصره وأحبه"[٨].

قال الفيروز آبادي "الولي" القرب والدنو والمطر بعد المطر .

وليت الأرض بالضم. والولي الاسم،منه المحب،والصديق،والنصير .

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. لشيخ الإسلام ابن تيمية، راجعه وفهرسه وقدم له أحمد حمدي إمام ، جدة : دار المدني للنشر والتوزيع ، ١٩٨١م،(ص ٨).

(٢) قطر الولي على حديث الولي. للإمام الشوكاني ، تحقيق وتقديم د: إبراهيم إبراهيم هلال ، مكة المكرمة : توزيع دار الباز للنشر والتوزيع . ١٣٩٧هـ ، (ص ٢٣٧).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، (ص ٥٠٩) ، وانظر :(ص ٥٠٥).

(٤) أبو عبد الله،محمد بن علي بن الحسين الترمذي المتوفي في سنة ٣٢٠هـ،أول من تكلم في ختم الولاية،وقال إن للأنبياء خاتماً كما للأنبياء، قال عنه ابن تيمية :"تكلم طائفة من الصوفية في خاتم الأولياء، وعظموا أمره كالحكيم الترمذي." مجموع الفتاوى(١/٣٦٣).

(٥) ختم الأولياء للحكيم الترمذي، (ص٣٣١).

(٦) انظر: التعريفات للجرجاني،(ص٣٢٩).

(٧) اصطلاحات الصوفية، للكاشاني، (ص٧٩).

(٨) لسان العرب (١٥/ ٤٠٧).

وولي الشيء ويليه ولاية، وتولاه أي: اتخذه وليا، "ولاية" الإمارة والسلطان[١].

وقال ابن منظور: الولي هو الناصر، والولاية: النصرة[٢]، قال ﷻ: M ` a b c d e z L[٣].

وقال الرازي: الولي ضد العدو، والموالاة ضد المعاداة[٤].

وقال الشوكاني: " الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والتقرب، كما ذكره أهل اللغة، وأصل العداوة، البغض والبعد[٥].

الولاية اصطلاحاً:

قال الشوكاني ـ ~ ـ في تعريفه لأولياء الله " المراد بأولياء الله خلص المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته، واجتناب معصيته "[٦].

وقال ابن حجر ـ ~ ـ بأن المراد بالولي: " العالم بالله، المواظب على طاعته المخلص في عبادته"[٧].

وقال ابن تيمية ـ ~ ـ: "أن الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد"[٨].

وقال ـ ~ ـ: الولي: من الولي وهو القرب، كما أن العدو من العدو وهو البعد، فولي من والاه بالموافقة له في محبوباته، ومرضياته، وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته[٩].

---

(١) انظر: القاموس المحيط(٤/٤٠٤).

(٢) انظر: لسان العرب (١٥/٤٠٠، ٤٠١).

(٣) سورة الأنفال (من آية: ٧٢).

(٤) انظر: مختار الصحاح (ص٧٣٦).

(٥) قطر الولي على حديث الولي للشوكاني، تحقيق د. إبراهيم هلال، مصر: دار الكتب العلمية (ص٧٠).

(٦) فتح القدير (٢/٤٥٧).

(٧) فتح الباري(١١/٣٥٠).

(٨) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص٧).

(٩) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية – ١٤٠٢هـ (١/٥٠).

وعند الجرجاني الولاية من (الولي)، وهو القرب، فهي قرابة حكمية حاصلة من العشق أو من الموالاة .

وهي قيام العبد بالحق عند الغناء عن نفسه، وفي الشرع : تنفيذ القول على الغير، شاء الغير أو أبى .

وهكذا فإن الولاية في الاصطلاح عند أهل السنة والجماعة لا تختلف عنه في المعنى اللغوي، فهي تدور حول القرب والحب والنصرة .

ولكننا نجد لها تعريفات أخرى عند الصوفية .

فللولي عند القشيري معنيان :

أحدهما: فعيل بمعنى مفعول. وهو من يتولى الله سبحانه أمره .

والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله ﷻ وطاعته، فبعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان .

وقال ـ ~ ـ : " وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي ولياً ... فمن شروط الولي أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً "[(١)].

وفي هذين التعريفين، ما يفيد اشتراط العصمة للولي، وأن وجد الاختلاف في اللفظ ففي الأول، لا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولاه برعايته .

والثاني: توالي عبادته من غير أن يتخللها عصيان .

وفي هذا التعريف مساواة الولي بالنبي في العصمة، فالولي محفوظ،والنبي معصوم وكلا اللفظين واحد في المعنى .

إن عبادة الله من صلاة أو ذبح أو غير ذلك عند قبر رجل صالح من البدع الموصلة إلى الشرك[(٢)].

---

(١) الرسالة القشيرية، (ص٣٦٥).

(٢) شرح كتاب التوحيد ، باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح (ص ٣٥٣).

قال شيخ الإسلام - ~ - : (وأما التمسح بقبر النبي - ﷺ - وتقبيله، فكلهم كره ذلك، ونهى عنه ؛ وذلك لأنهم علموا ما قصده النبي - ﷺ - من حسم مادة الشرك، وتحقيق التوحيد، وإخلاص الدين لله رب العالمين)[١].

وقد كتب الشيخ ابن حميد - ~ - إلى محمد أبو اليسر- أحد علماء سوريا - بعدما أتته رسالة منه تدافع عن الوهابية: (وقولكم - محمد أبو اليسر - : لكن لا يخلو بعضهم من الإنكار على من يتمسح بآثار الأولياء والصالحين والأنبياء - & - إلخ.

ويقول الشيخ ابن حميد - ~ - في " فتاوى في العقيدة "[٢] حول التبرك بتراب قبور الأنبياء والصالحين حول سؤال : ما حكم من يتبرك بتراب قبور الأنبياء والصالحين؟

فأجاب - ~ - بأن : هذا بدعة وخطأ، وهو من وسائل الشرك وذرائعه، فهذا التراب ماذا ينفعك، وأي مصلحة في هذا التراب؟ أن تتبرك بتراب هذا القبر، قبر الرجل الصالح، والله أعلم هل هو صالح أو لا . أو تتقرب بتراب قبر هذا النبي - ﷺ - ، لا ينفعك شيئاً من هذا، وهذا من وسائل الشرك وذرائعه، بل تتبرك وتتقرب إلى الله، تقرب إليه بالأعمال الصالحة، إذا صليت ركعتين مخلصاً لله فيها سائلاً ربك ، فهذا أحسن وأولى من أن تأخذ تراباً تتبرك به، ماذا عند التراب ينفعك، ماذا عند الرجل الصالح فينفعك، بل الرجل الصالح، نحن الذين نشفع له، بدليل أنه إذا مات قمنا نصلي عليه، وندعو الله له بقولنا: اللهم اغفر له، وارحمه، وعافه، واعف عنه. فإن رسول الله - ﷺ - يقول : "**ما من مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفعهم الله فيه**"[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣٢).

(٢) شرح كتاب التوحيد ، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد - ~ - تحت الطباعة.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه(٣/ ٢٠٣ برقم ٣١٧٠)، وابن حبان في صحيحه(٧/ ٣٥١ برقم٣٠٨٢) ، ذكر الإمام أبو داود أن الأحاديث التي في كتابه هي أصح ما عرف في الباب، وقال ما كان في كتابي من حديث فيه وهن شديد فقد بينته، وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٥٧٧١).

فنحن الذين نشفع له بدعائنا، أما أنك تطلب منه الشفاعة، أو تأخذ تراب قبره، فهذا كله من الخرافات، ومن وسائل الشرك وذرائعه التي لا أصل لها، ونحن لا ننكر الشفاعة إذ لا شك أن الرسول ـ ﷺ ـ يشفع، والأنبياء ـ & ـ يشفعون، والأولياء والصالحون يشفعون، والأفراط يشفعون، والملائكة يشفعون، هذا كله حق، لكن لا نطلبهم الشفاعة، بل نطلبها من الله فنقول: اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك، اللهم شَفِّعْهُ فيَّ، هذا لا بأس به لأنك لم تسأل النبي ـ ﷺ ـ إنما تسأل الله أن يشفع فيك النبي ـ ﷺ ـ ، فإن الله ـ ﷻ ـ يقول: M**مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ** L [(١)].

فلا أحد يشفع عند الله لك إلا إذا أذن الله له، والله لا يأذن للشافع أن يشفع إلا إذا كان المشفوع له من أهل التوحيد، وممن رضي الله قوله وعمله، وأنت ترى أنا إذا قمنا نصلي على الفَرَط نقول: اللهم اجعله ذخراً لوالديه، وفرطاً، وأجراً، وشفيعاً مجاباً، نطلب من الله أن يكون هذا الفرط شفيعاً لوالديه، لا أن نطلب من الفرط نقول: اشفع لوالديك.

الحاصل أن أخذ التراب من القبور لأجل البركة من وسائل الشرك وذرائعه، ولا يوجد حرف واحد يدل على جواز مثل هذا، لا عن النبي ـ ﷺ ـ ، ولا عن أحد من الصحابة، ولا عن أحد من التابعين، وما هو إلا من ترهات عباد القبور الذين افتتنوا بها.

ويقول الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ في "فتاوى في العقيدة" حول فضائل أحمد البدوي الذي غلا فيه الناس[(٢)].

السؤال: ما هي فضائل السيد أحمد البدوي الذي غلا فيه بعض الناس؟

الجواب: أما بالنسبة لأحمد البدوي فهذا يقول الإمام السخاوي في ترجمته: بعض العلماء ذكر شيئاً من الفضائل، وأنه من الأولياء، وأنه رجل صالح، وأن له مؤلفات.

---

(١) سورة البقرة (آية : ٢٥٥).

(٢) شرح كتاب التوحيد، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ (ص١٠٩- ١١٠).

ولكن السخاوي يقول: ما عُرف عن أحمد البدوي إلا أنه دخل المسجد فبال فيه. هذا هو المعروف عن أحمد البدوي، والاعتقاد فيه هذا شرك بالله، وهضم للتوحيد، وصدم لما جاءت به الرسل: إذا كان الإنسان يذبح لأحمد البدوي، أو يطلب المدد من أحمد البدوي، أو يستغيث بأحمد البدوي بأن يقول : أغثني، أغثني يا أحمد البدوي، أنا في جوارك، أو في حسبك يا أحمد البدوي.

البدوي ماذا عنده!! مسكين ، ضعيف ، ميت، لا يدري عنك، والله ﷻ يقول : M V W X Y Z [\ ] L[1] وأي قدرة عند أحمد البدوي ينجيك من الضرر أو يجلب لك نفعاً ؟هو مسكين، بل هو محتاج إلى أنك تدعو له، لا أنك تدعوه، وتطلب منه المدد، بل اطلب من الله ﷻ، قال ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) + , - . / 0 2 3 4 5 6 7 9 : ; L[2]

ويقول الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ في " درس في معنى التوحيد: " نعم بيننا وبين الله واسطة في التبليغ، وبيان الشريعة، وهو رسول الله ﷺ ، هو واسطة بيننا وبين الله، يبلغنا أوامر الله، ويبلغنا نهي الله؛ حتى نأتمر بأوامره، وننتهي عن نواهيه. ومن جملة ما بلغنا به رسول الله ـ ﷺ ـ ألا ندعو إلا الله، وألا نجعل مع الله شريكاً، بل لما قيل له: أنت سيدنا وابن سيدنا ـ لا شك أنه سيدنا وسيد الخلق، ومع هذا قال: " **يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله. لا يستجرينكم الشيطان، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله** "[3]، وهي العبودية ، صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) سورة فاطر (آية : ١٣).

(٢) سورة يونس (آية : ١٠٧).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٣/٣ برقم ١٢٥٧٣)، والنسائي في (عمل اليوم والليلة) برقم (٢٤٨، ٢٤٩)، وعبد ابن حميد في مسنده (٣٩٧/١ برقم ١٣٣٧) وابن حبان برقم (٦٢٤٠). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٧٢).

ثم هو لما أنذر الناس عامةً خصَّ أقاربه بالنذارة الخاصة، فقال: "**يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً. يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا. ثم خصَّ بالنذارة ابنته التي هي بضعة منه فقال: يا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا**"[١]. يعني لا أنفعك ولا أضرك، بل لا ينفعك إلا الإيمان بالله، والعمل الصالح"[٢].

قال العلماء: فإذا كان سيد المرسلين صرح بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين ـ وهي فاطمة ـ ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم: تبين له التوحيد، وغربة الدين، فالدين غريب، والتوحيد غريب، والإسلام غريب كما قال ـ ﷺ ـ : "**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء**"[٣].

ثامناً: تفضيل الأولياء على الأنبياء:

نشأ هذا مع الاعتقاد الفاسد عند غلاة المتصوفة، وهو ما أسموه بختم الولاية، ويعنون بختم الولاية أنه كما أن للأنبياء نبياً خاتماً لهم، فكذلك للأولياء ولي خاتم لهم، وكما أن خاتم الأنبياء أفضل من جميع الأنبياء، فكذلك خاتم الأولياء هو أفضل من جميع الأولياء، وعقيدة ختم الولاية ذكرها الحكيم الترمذي في كتابٍ سماه "ختم الولاية"، قد طبعت منتخبات منه قديمًا، وأسس فيها القول بأن الأولياء يختمون، وأن الولي في باطنه قد يبلغ مقامًا يتلقّى فيه من الله ﷻ مباشرة، وأن الولي قد يكون أفضل من النبي، وهذه لم ينص عليها، ولكنها تفهم من فحوى كلامه. ولا شك أنه قد غلط في ذلك غلطًا فاحشًا، وإن كان هو من أهل العناية بالحديث رواية، ومن أهل الخير والصلاح كما وصفه بذلك ابن تيمية[٤]،

(١) أخرجه البخاري (١٠١٢/٣ برقم ٢٧٥٣)، ومسلم(١٩٢/١ برقم ٢٠٦).

(٢) شرح كتاب التوحيد ، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ (ص٥٦).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ١٣٠ برقم ١٤٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى(٢٢٢/٢)، ونص كلام شيخ الإسلام: وهوـ ~ ـ وإن كان فيه فضل ومعرفة، وله من الكلام الحسن المقبول، والحقائق النافعة، أشياء محمودة ففي كلامه من الخطأ ما يجب رده.

لكنه غلط في هذه البدعة الكبرى التي ابتدعها في الأمة، والشرور التي حدثت من القول بوحدة الوجود، وتفضيل الولي على النبي، والاستقاء من الله ﷻ مباشرة، إنما حدثت بعد هذا الكتاب، وهذه النظرية الباطلة التي تبطل شريعة محمد ﷺ على الحقيقة، وهذا لم يختص به الحكيم الترمذي، بل تبعه عليه أناس، منهم ابن عربي[1] في كتابه "الفصوص"[2]، وفي كتابه "الفتوحات المكية"[3]، ومنهم محمد بن عثمان المرغني السوداني الذي له طريقة معروفة عند أهل السودان، الطريقة الختمية، في القرن الثالث

---

(١) هو : محمد بن عبدالله بن محمد، أبو بكر المعروف بابن العربي . من أئمة المالكية، ولد سنة أربع مئة وثمان وستين، وتوفي في سنة خمس مئة وثلاث وأربعين، ومن تصانيفة :«عارضة الأحوذي شرح الترمذي» ، و« وأحكام القرآن» ، و« والمحصول في علم القرآن» ، و« ومشكل الكتاب والسنة»، ينظر: شجرة النور الزكية(ص ١٣٦) ، والأعلام للزركلي (١٠٦/٧) ، والديباج (ص٢٨١)..

(٢) كتاب فصوص الحكم لابن عربي، وله كتاب النقوش، وهو نقوش الفصوص على منواله لكنه مختصر، أوله: الحمد لله منزل الحكم على قلوب الكلم الخ... وهو على سبعة وعشرين فصاً. انظر: كشف الظنون(١٢٦١/٢). قال عنه الذهبي في الميزان(٢٧٠/٦): وكذلك من أمعن النظر في فصوص الحكم، أو أنعم التأمل لاح له العجب، فإن الذكي إذا تأمل من ذلك الأقوال، والنظائر، والأشباه، فهو أحد رجلين: إما من الاتحادية في الباطن، وإما من المؤمنين بالله الذين يعدون أن هذه النحلة من أكفر الكفر. نسأل الله العفو، وأن يكتب الإيمان في قلوبنا، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. فوالله لأن يعيش المسلم جاهلاً خلف البقر لا يعرف من العلم شيئاً سوى سور من القرآن يصلي بها الصلوات ويؤمن بالله وباليوم الآخر، خير له بكثير من هذا العرفان وهذه الحقائق، ولو قرأ مئة كتاب أو عمل مائة خلوة. اهـ.

(٣) كتاب الفتوحات المكية في معرفة أسرار المالكية والملكية لابن عربي. وهو من أخطر كتبه، وآخرها تأليفاً. قال فيه: كنت نويت الحج والعمرة، فلما وصلت أم القرى أقام الله ﷻ في خاطري أن أعرف الولي بفنون من المعارف حصلتها في غيبتي، وكان الأغلب هذه منها ما فتح الله ﷻ علي عند طوافي ببيته المكرم. وقال في الباب الثامن والأربعين: واعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختياري، ولا عن نظر فكري، وإنما الحق ﷻ يملى لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره، وقد نذكر كلاماً بين كلامين لا تعلق له بما قبله، ولا بما بعده، وذلك شبيه بقوله ﷻ: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) بين آيات طلاق ونكاح، وعدة ووفاة. وقال: واعلم أن جميع ما أتكلم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه، فإني أعطيت مفاتيح الفهم فيه، والإمداد منه. انتهى، وفي أوله مقدمة في فهرسة ذكر فيه خمس مئة وستين باباً، والباب التاسع والخمسون وخمس مئة منه باب جمع فيه أسرار الفتوحات كلها : وجد بخطه في آخر الفتوحات، وكان الفراغ من هذا الباب في شهر صفر سنة تسع وعشرين وستمائة. انظر: كشف الظنون(١٢٣٨/٢).

عشر، والمرغني في كتابه "تاج التفاسير"، صرح بهذه العقيدة. ومنهم التيجاني عند أهل المغرب فيما يعتقدون فيه ووصف به، هؤلاء يعتقدون أن الولاية تختم، لكن ادعى ابن عربي أنه هو الذي ختم الأولياء، وادعى المرغني أنه هو الذي ختم الأولياء وادعى أيضًا التيجاني أنه هو الذي ختم الأولياء.

يقول الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ في " فتاوى في العقيدة "حول الأولياء والمشايخ الذين يجب أن نحبهم في الله [1]

السؤال (٢٨): بعض الصوفية يقولون عن بعض الناس إنهم وهابية، وإنهم يكرهون المشايخ، وإنهم يحبون أولياء الله، ويظنون أن كل صاحب طريقة ولي من أولياء الله، فماذا نقول لهم حتى نكسبهم، أو يبعدوا منا، وهل نحبهم، ونأكل معهم، ونصلي معهم؟

الجواب: نقول لهم : إننا لا نكره الأولياء، بل نحب الأولياء، ونحب المشايخ، لكن الأولياء الذين نحبهم، من هم؟ الذين قال الله ﷻ فيهم: M ! " # $ % & ' ( ) * L [2]، وقال الله ﷻ فيهم: M 1 2 3 4 5 6 7 9 : ; < > ? @ A L [3]، هؤلاء الأولياء الذين نحبهم ونقدرهم ، ونعرف لهم حقهم، لكن لا نرفعهم في رتبة الله، بل نقتدي بهم.

أما المشعوذون، والمخرفون، فهؤلاء ليسوا أولياء، إنما هو من اتقى الله في سره وعلانيته، وعمل بالقرآن والسنة، واتبع رسول الله ﷺ في أوامره ونواهيه، واقتدى بفعله، هذا هو الولي، نقتدي به، ونحبه، ونحترمه، وندعو الله له، لكن لا نرفعه فوق منزلته، ولا نقارن به الرسول، ولا نقول: يا ولي، اشفع لنا. يا ولي، اقضِ حاجتنا إلى الله. بل نحبه، ونكرمه، ونحترمه، ونقدره، هذا هو الولي الصالح.

---

(١)شرح كتاب التوحيد ، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد. ~ .(ص ١٣٤- ١٣٦).

(٢)سورة يونس (آية : ٦٢).

(٣)سورة يونس (آية : ٦٤).

وأما المشايخ إذا كانوا على المنهج القويم، وعلى الصراط المستقيم، فهم من جنس الأولياء نحبهم، ونحترمهم، وندعو الله لهم، أما المشايخ الذين يفضلون طريقة التيجاني على طريقة رسول الله، ويقولون: إن حزب التيجاني أفضل من القرآن بستة آلاف مرة، كما هو موجود في بعض كتبهم، ويقول إن أصحاب التيجاني أفضل من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ، فالذي يقول هذا القول لا نوافقه، ولا نقره، بل نقول له، أخطأت، بل أفضل الخلق رسول الله ـ ﷺ ـ ، ونقول أشرف كتاب أنزل من عند الله القرآن، فإنه هو المهيمن على جميع الكتب، والله أنزله لهداية الخلق، ولشفاء القلوب من الأمراض، ولا شك أن مقارنته بحزب التيجاني سفه، كيف يقارن السيف بالعصا.

ألم ترَ أن السيف ينقص قدره   إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

كذلك أيضاً الولي عندهم الذي يتخلى عن الشريعة ، ويقولون رفعت عنه التكاليف. هذا ليس بولي، بل نقول:

وبين السماء والأرض لو طار عابدُ   وسار على وجه المياه الدوافقِ

فزنه بميزان المطهر شرعه فإن   وافق الشرع الشريف فوافقِ

عندنا ميزان نزن به المشايخ، والصوفية، والأولياء، وغيرهم، هو القرآن والسنة إذا عملوا بأوامره، وانتهوا عن نواهيه، هذا محبنا، وهذا ولي، وهذا فيه خير، ومن خالف ذلك ليس بولي.

وأما الوهابية. فأي شيء هي الوهابية؟ لا نعرف الوهابية، ونحن لسنا بوهابية، نعم شيخنا محمد ابن عبد الوهاب ـ ~ ـ جدد الدعوة، وبّين التوحيد، وأوضح الطريق المستقيم دعوة الرسل، ونحن نتبع رسول الله ﷺ ، ونتبع القرآن، ولا نقول إن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب نبي، أو معصوم. بل هو كغيره، فهو رجل مصلح داعية إلى الخير، جزاه الله خيراً، ولكنْ خصومُه وأعداؤه سَموا الوهابية[1].

(١) الوهابية من التنابز بالألقاب ، وأطلقه أهل البدع على من ينتسب إلى أهل السنة.

والواجب علينا حب الأولياء، واتباعهم والإقرار بكراماتهم، ـ إجمالاً وتفصيلاً ،فيمن علمنا أنه من أهل الإيمان والتقوى، واتباعهم على ما هم عليه من العمل؛ ولأنهم لم يكونوا أولياء إلا باتباع محمد ـ ﷺ ـ [(١)]، ولهذا نتبعهم فيما به صاروا أولياء، فنحب نبينا ﷺ، ونتبع سنته، ونُحَكِّم ما جاء فيها على مرادات القلب، وعلى الظاهر، وعلى المقامات، وعلى الأحوال التي تعرض، والواجب أن نقر بكرامات الأولياء؛ لأنه لا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال.

تاسعاً: تجصيص القبر والكتابة عليه:

عن جابر ﷺ قال: **نهى رسول الله ـ ﷺ ـ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يُبنى عليه**[(٢)]

قال الألباني ـ رحمه الله ـ: "وأما الكتابة فظاهر الحديث تحريمها، وهو ظاهر كلام الإمام محمد[(٣)]، وصرح الشافعية والحنابلة بالكراهة فقط[(٤)].

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ ~ ـ في مجموع الفتاوى (١١/٣٠٢): (كرامات الأولياء لابد أن يكون سببها الإيمان والتقوى، فما كان سببه الكفر، والفسوق، والعصيان، فهو من خوارق أعداء الله، لا من كرامات أولياء الله، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة، والقراءة، والذكر، وقيام الليل، والدعاء، وإنما تحصل عند الشرك، مثل: دعاء الميت، والغائب، أو بالفسق ... فهذه أحوال شيطانية) اهـ.

وقال ابن القيم في زاد المعاد (٣ / ٦٢٧): (وقوع كرامات الأولياء إنما تكون لحاجة في الدين أو لمنفعة للإسلام والمسلمين، فهذه هي الأحوال الرحمانية، سببها متابعة الرسول، ونتيجتها إظهار الحق، وكسر الباطل، والأحوال الشيطانية ضدها سبباً ونتيجة) اهـ.

(٢) أخرجه مسلم (٢/٦٦٧ برقم ٩٧٠).

(٣) هو: **الإمام محمد بن الحسن بن فرقد**، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله: إمام بالفقه والأصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة. ،نشأ بالكوفة، فسمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعُرف به، وانتقل إلىَ بغداد، فولاه الرشيد القضاء بالرقة، ثم عزله. ولما خرج الرشيد إلىَ خراسان صحبه، فمات في الري. قال الشافعي: "لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن لقلت، لفصاحته" ونعته الخطيب البغدادي بإمام أهل الرأي. له كتب كثيرة في الفقه والأصول، منها " المبسوط أو الأصل ـ ط" في فروع الفقه، و " الزيادات ـ خ" و" الجامع الكبير ط" و" الجامع الصغير ـ ط" و " الآثار ـ ط" و " السير الكبير ـ ط" و " الموطأ ـ ط" و " الأمالي ـ ط" جزء منه، و " المخارج في الحيل ـ ط" فقه، و" الحجة علىَ أهل المدينة ـ ط"، ولمحمد زاهد الكوثري " بلوغ الأماني ـ ط" في سيرته..

(٤) أحكام الجنائز (ص ٢٦٢).

قال النووي -رحمه الله-: "قال أصحابنا: وسواء كان المكتوب على القبر في لوح عند رأسه كما جرت عادة بعض الناس، أم في غيره، فكله مكروه لعموم الحديث".[1]

أما الكتابة على القبور، ككتابة سور القرآن، كالفاتحة، ويس، وكتابة تاريخ وفاة الميت وسبب وفاته، وتاريخ ولادته، وعمره الذي مات فيه، فكل هذه من البدع والمحدثات التي لا طائل من تحتها، ولا تنفع الميت شيئاً، بل هي ممنوعة شرعاً، خاصةً كتابة آيات القرآن، لأنه بعد فترة من الزمن قد يسقط اللوح الذي كُتِب عليه الآيات القرآنية، أو السور، فيُداس فتتعرض آيات الله للامتهان، كما أن البهائم كالبقر والغنم قد تدخل المقبرة، فتنجس هذه الآيات الشريفة المطهرة ببولها، وتدوس عليها بأقدامها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عاشراً: الذبح عند القبور:

وهو من المحرمات الشنيعة، والمنكرات، والضلالات الوخيمة، وقد اتفق على منعه علماء الملة أجمعون، وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على تحريم الذبح لغير الله عز وجل قـال سبحانه وتعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , -

. / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 L[2]، ووجه الاستشهاد به أن نقول: - إن الله عز وجل حرم فيما حرم ما أُهِل لغيره، وهذه المذبوحات داخلة فيما أُهِل لغير الله به؛ لأن أصحابها إنما يتقربون بذبحها لأصحاب القبور.

حادي عاشر: الزيارة غير المشروعة للقبور والنذر لأصحابها:

زيارة القبور ليست على نوع واحد، بل إنها ثلاثة أقسام، وهي: زيارة شركية، زيارة بدعية، زيارة شرعية، وتفصيلها كالآتي[3]:

أولاً: الزيارة الشركية:

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٥/٢٩٧)، والمجموع (٥/٢٦٦).

(٢) سورة المائدة (آية: ٣).

(٣) انظر: شرح الصدور ببيان بدع الجنائز والقبور. عبد الله الحمادي. (ص ١٦٣).

وهي ما نحن بصدد التحذير من الوقوع فيه، وما بناء القباب على القبور، ولا تجصيصها وزخرفتها، وبناء الدور، والغرف عليها، وإدخالها في المساجد، إلا باب يوقع في الزيارة الشركية ولو بعد حين.

ومن أمثلة هذه الزيارة: الذبح للمقبور، والنذر له بنوع من العبادات، والاستغاثة بالأولياء، وطلب الغوث منهم[(١)]، والطواف حول قبورهم، واللجوء إليهم في قضاء الحوائج، إلى غير ذلك من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ.

ثانياً: الزيارة البدعية:

ومنها: قراءة القرآن عند القبور، أو قراءة الفاتحة على القبر حال الزيارة، ومخاطبة المقبور وزرع الشجيرات على قبره، وتبخيره بالبخور، ورشه بماء الورد، ونثر الأرز عليه، وغير ذلك.

ثالثاً: الزيارة الشرعية:

وهي سنة مجهولة عند الكثيرين، قد غفلها جمع من الناس؛ لفشُو البدع والخرافات في العالم الإسلامي، وعدم إرشاد أهل العلم الناس إلى هذه الزيارات المشروعة، وتقصير الدعاة في توضيح هذا النوع المباح، وما يُقال عند الزيارة.

ولهذه الزيارة الشرعية أدلة، منها: حديث أبي هريرة ﷺ قال: **"زار النبي ـ ﷺ ـ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، وقال: استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت"**[(٢)].

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: " أما زيارة القبور فهي على وجهين: شرعية، وبدعية.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ ~ ـ في الرد على البكري (١/٩٣): (الاستغاثة بالميت والغائب، سواء كان نبياً، أو ولياً ـ ليس مشروعاً، ولا هو من صالح الأعمال؛ إذ لو كان مشروعاً، أو حسناً من العمل، لكانوا به أعلم، وإليه أسبق، ولم يصح عن أحد من السلف أنه فعل ذلك) ا.هـ.

(٢) أخرجه مسلم (٢/٦٧١ برقم ٩٧٦).

فالزيارة الشرعية: مثل الصلاة على الجنازة، والمقصود بها الدعاء للميت، كما يقصد بذلك الصلاة على جنازته، كما كان النبي ـ ﷺ ـ يزور أهل البقيع، ويزور شهداء أحد، وعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: "**السلام عليكم دار قوم مؤمنين** ..[1] الحديث".

وأما الزيارة البدعية: وهي زيارة أهل الشرك، من جنس زيارة النصارى الذين يقصدون دعاء الميت، والاستعانة به، وطلب الحوائج عنده، فيصلون عند قبره، ويدعون به، فهذا ونحوه لم يفعله أحد من الصحابة، ولا أمر به رسول الله ـ ﷺ ـ ولا من أسلاف الأمة وأئمتها.

فالزيارة الأولى من جنس عبادة الله ﷻ، والإحسان إلى خلق الله. وذلك من جنس الزيارة التي أمر الله ﷻ بها، أما الأخرى[2] فهي من جنس الإشراك بالله، والظلم في خلق الله، وحق عباده" أ هـ.[3]

أما عن النذر للقبور وأصحابها، فهو من الشرك الأكبر؛ لأن النذر عبادة، وقد تقرر في القواعد أن من ساوى بين الله ـ ﷻ ـ وبين أحد من الخلق فيما هو من خصائصه ﷻ، فقد أشرك الشرك الأكبر، وقد نقل ابن تيمية ـ ~ ـ اتفاق الفقهاء على أنه لا يجوز الوفاء بالنذر للقبور، كمن ينذر لهم ذبحاً، أو زيتاً، أو ستارة، أو حريراً، أو شمعاً، أو نفقة، أو صدقة، ونحو ذلك، فكل ذلك لا يجوز الوفاء به باتفاق أهل العلم، فالنذر عبادة، والعبادات لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ، قال ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + - . / 0 L.[4]

وقد قال الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ في رسالة التوحيد: "دعاء أصحاب القبور، والاستغاثة بهم، وطلب المدد منهم من دون الله ـ ﷻ ـ، هذا ليس ببدعة فقط، بل هو

---

(١) أخرجه مسلم (١/٢١٨ برقم ٢٤٩).

(٢) أي: الزيارة البدعية.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٤/٣٢٧ـ٣٢٨).

(٤) سورة البقرة (آية: ٢٧٠).

شرك أكبر مخرج عن الملة بالكلية". وقال: "ومن أنواع الشرك الذي وقع فيه الكثير طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم "[١].

ثاني عشر : قراءة القرآن على القبر:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - ~ - : (وأما القراءة على القبر فكرهها أبو حنيفة ومالك، وأحمد في إحدى الروايتين، ولم يكن يكرهها في الأخرى، وإنما رخص فيها؛ لأنه بلغه أن ابن عمر { أوصى أن يُقرأ عند قبره بفواتح البقرة وخواتيمها، وروي عن بعض الصحابة قراءة سورة البقرة، فالقراءة عند الدفن مأثورة في الجملة، وأما بعد ذلك فلم ينقل فيه أثر، والله أعلم)[٢].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا - ~ - : (فاعلم أن ما اشتهر، وعم البدو والحضر من قراءة الفاتحة للموتى، لم يرد فيه حديث صحيح ولا ضعيف، فهو من البدع المخالفة لما تقدم من النصوص القطعية، ولكنه صار بسكوت اللابسين لباس العلماء، وبإقرارهم له، ثم بمجاراة العامة عليه ـ من قبيل السنن المؤكدة، أو الفرائض المحتمة"[٣].

وأما القراءة عند القبور: فهذه المسألة فيها ثلاث روايات عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ[٤]:

رواية: أنه يجوز وقت الدفن فقط. **ورواية**: أنه يجوز مطلقاً، **ورواية**: أنه لا يجوز مطلقاً.

والأرجح: أنه لا يجوز قصد القبور للدعاء والقراءة عندها، و لا يجوز أن تُقصد للصلاة عندها؛ فقد ثبت أن النبي ـ ﷺ ـ نهى أن تُتَّخذ القبور مساجد فقال: **(ألا إن من كان قبلكم**

---

(١) رسالة التوحيد.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٩٨/٢٤).

(٣) تفسير المنار(٢٦٨/١).

(٤) حكم القراءة للأموات ، هل يصل ثوابها إليهم ، محمد عبد السلام ، من علماء مصر ، حقق أحاديثها وعلق عليها وقدم لها محمود مهدي الإستانبولي ، وعليها تنبيهات و تتمة لسماحة الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ ، (ص ٤٦ - ٥٢).

كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك)[(١)]. وثبت أنه ـ ﷺ ـ نهى عن الصلاة في المقبرة في أحاديث كثيرة، ولا شك أن العلة في ذلك مخافة الغلو، أو اعتقاد أن الذي يدعو عند القبر، أو يصلي عند القبر، أو يقرأ عند القبر، يعظم أجره، وأن أهل القبور يتسببون في رفع عمله، وفي مضاعفة عمله، وفي قبوله، ويكون ذلك وسيلة وذريعة إلى الاعتقاد في أصحاب القبور، ومعلوم أن الاعتقاد فيهم أنهم ينفعون، ويشفعون، ويدفعون، ويرفعون الأعمال الصالحة، ونحو ذلك، اعتقاد في مخلوق قد انقطع عمله، فلا يملك شيئاً لنفسه، فكيف يملك نفعاً لغيره، فيكون ذلك من وسائل الشرك. وهذا هو الواقع، فإن الذين يعظمون القبور، ويصلون عندها، ويطوفون بها، ويعكفون حولها، ويقرؤون عندها، كانت نهايتهم أن عبدوا تلك القبور، حيث خيل إليهم أن أصحابها من الأولياء، وكان أول ما عملوه أنهم ترددوا إلى ذلك القبر لمجرد الزيارة، ثم بعد ذلك ظنوا أن الأعمال عنده أفضل منها في غير ذلك المكان، فصاروا يفضلون الصلاة عند القبر على الصلاة في المسجد، ويفضلون القراءة عند القبور على القراءة في المسجد، ويفضلون الدعاء عند القبور على الدعاء في المساجد، ثم اعتقدوا بعد ذلك أن للأموات تأثيراً، وأنهم يرفعون الأعمال أو يضاعفونها! ثم زاد الأمر إلى أن صاروا ينادون الميت، ويهتفون باسمه، فيقولون مثلاً: يا شاذلي[(٢)]، يا عبد القادر، أو يا جيلاني[(٣)]، أو يا

---

(١) سبق تخريجه، ص: ٤٤٤..

(٢) نسبةً إلى علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، الضرير الزاهد، نزيل الإسكندرية، وشيخ طائفة الشاذلية، مات بصحراء عيذاب، قصداً للحج، فدفن هناك، في ذي القعدة، سنة ست وخمسين وست مئة. انظر طبقات الشعراني (٤/٢).

(٣) نسبةً إلى مؤسسها عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى أو صالح الجيلي ـ ويقال الجيلاني ـ ولد سنة ٤٧٠هـ، ودخل بغداد، وسمع الحديث، وتوفي سنة ٥٦١هـ، وقيل ٥٦٢هـ. انظر: البداية والنهاية (٧٦٨/٢)، وطبقات الشعراني (١٢٦/١)، انظر: الأوراد القادرية، جمع محمد سالم بواب، (ص٢١- ٢٦)، ط دار الألباب، دمشق، ١٤١٣هـ، وبغية المستفيد بشرح منية المريد، محمد العربي التيجاني، (ص٧٥)، والشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية، سعيد بن مسفر القحطاني، (ص٦٤٤- ٦٥٣)، ط١٤١٨، ١هـ.، والتيجانية، علي آل دخيل الله (ص٤٤).

نقشبندي[1]، أو يا تيجاني[2]، أو يامرسي[3]، أو يا يوسف، أو يا تاج، أو ما أشبه ذلك من الأسماء التي كانوا في البداية ينتابونها ، ثم اعتقدوا فيها.

إذاً : فالصواب هو القول الأول، وهو المنع مطلقاً من قصد القبور للقراءة عندها، ولعل الدليل عليه : **أولاً** : أنه قول الجمهور، فهو قول أبي حنيفة ، و مالك ، وأحمد في الرواية المشهورة عنه، وكذا عند أصحابه، ورجحها المحققون كابن تيمية وغيره، فلا تجوز القراءة عند القبور لأي سبب، وبأي نية، وبأي معتقد ؛ مخافة أن تكون وسيلة إلى دعاء الأموات ، وإلى الاعتقاد فيهم. وأما ما نُقِل عن ابن عمر { أنه أمر بأن تُقرأ عنده فواتح سورة البقرة وخواتيمها، فقد تكون الرواية عنه غير صحيحة ولا ثابتة، حيث إنها لم تشتهر، ولم يشتهر العمل بها. **وأيضاً** : فإنه أراد أن يكون ذلك في حال الدفن ، وأن يكون ذلك بمنزلة الدعاء، فإن الدعاء للميت مشروع، والدعاء للميت عند قبره مشروع كما كان النبي ـ ﷺ ـ إذا مات الميت ودفنه قام عند قبره وقال : (**اسألوا الله لأخيكم التثبيت، فإنه الآن يُسأل**)[4]، فيكون ذلك من باب الدعاء له ؛ وذلك لأن هذه الآيات فيها دعاء، مثل قوله ﷻ : M **غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** L[5]، وقوله ﷻ : M ¶ ¸ **تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ** L[6] إلى آخرها، فكأنه أراد : أنكم تدعون بها، وتقرؤونها، وتجعلونها دعاءً لي. فإذاً :

---

(١) محمد بن بهاء الدين النقشبندي البخاري ، المعروف بشاه نقشبند ، المتوفى سنة ٧٩١هـ. انظر : الطريقة النقشبندية وأعلامها ، د.محمد درنيقة (ص ١٨ – ١٩).

٢) نسبةً إلى أحمد التيجاني، صاحب الطريقة التيجانية المعروفة.

٣) نسبةً إلى أحمد أبي العباس المرسي، كان من أكابر القوم، مات سنة ست وثمانين وست مئة .انظر طبقات الشعراني (١٢/٢- ١٣)

٤) أخرجه أبو داود (٣٢٢١)، والحاكم (١/ ٣٧٠) بسند حسن، وصححه. ووافقه الذهبي.، وأورده الشنقيطي في أضواء البيان(١٣٧/٦)، والإشبيلي في "العاقبة في ذكر الموت" (١/ ١٨٢) ، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص١٩٨).

٥) سورة البقرة (آية : ٢٨٥).

٦) سورة البقرة (آية : ٢٨٦).

لا يكون فيها دلالة على قصد القبر للدعاء عنده، سواء وقت الدفن، أو بعد الدفن، وسواء اعتقد أنه ينتفع بتلك القراءة، أو أن القارئ ينتفع بها. والقول بأنه ينتفع بها فيه نظر؛ وذلك لأنه لو كان مباحاً لفعله الصحابة. وأيضا: فإن القراءة في المساجد، وإهداء ثوابها له أكثر أجراً من القراءة عند القبور، فإن المقابر منهي عن الصلاة فيها، والمساجد مأمور بالصلاة فيها، فالدعاء في المساجد أفضل من الدعاء عند القبور، والصلاة في المساجد أفضل من الصلاة عند القبور، وكذلك القراءة في المساجد أفضل منها عند القبور. فعرف بذلك أن القول الصواب هو قول الجمهور؛ وهو أنه لا يقصد القبر للقراءة عنده، بل إذا أراد أن يهدي للميت قراءة، أو ذكراً قرأها عند أهله، أو في بيته، أو نحو ذلك، فأما أن يقصد القبر ويتحراه فالأصل أن هذا لم يكن مشروعاً، فلا يكون جائزاً، والإنسان عليه أن يتبع الدليل، وعليه أن يأخذ بقول جماهير الأمة، ويترك الأقوال الشاذة، ولو رُويت عن بعض العلماء.

والذين رُويت عنهم نحسن الظن بهم، ونقول:

أولاً: هم مجتهدون، وليس كل مجتهد بمصيب.

ثانياً: أنهم ـ ولو كانوا عندهم شيء من الاجتهاد ونحوه ـ فإنهم عرضة للخطأ.

ثالثاً: لم يكن عندهم مِن الاعتقاد ما عند مَن بعدهم، بل هم مأمونون أن يقع فيهم هذا الخطأ، والدليل على ذلك: أنهم لم يقع منهم الغلو الذي وقع من المتأخرين، كما حدث في القرن الثامن، وما بعده إلى القرن الثاني عشر في هذه البلاد، بل وإلى هذا القرن في كثير من البلاد، حيث زاد غلوهم في القبور حتى دعوها من دون الله، فأصبحوا يشركون بالله، ويجعلون تلك القبور آلهة مع الله؛ وسبب ذلك تساهل علمائهم بقصدهم لتلك القبور فاقتدى بهم السفهاء، واعتقدوا أن صاحب القبر له تأثير، فأصبحت وسيلة من وسائل الشرك، ثم أصبحت شركاً صريحاً. ......

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز ـ ~ ـ: "ولم يكن ـ ﷺ ـ حال الزيارة يقرأ سورة الفاتحة، ولا غيرها من القرآن، فقراءتها وقت الزيارة بدعة، هكذا قراءة غيرها من القرآن"[١].

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ ~ ـ : "لا تُشرع قراءة سورة "يس" على قبر الميت ، هذه بدعة لا أصل لها، وكذلك قراءة القرآن بعد الدفن ليست بسنة ؛ بل هي بدعة ؛ وذلك لأن النبي ـ ﷺ ـ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال: "**استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل**."[٢] ولم يرد عنه ـ ﷺ ـ أنه كان يقرأ على القبر، ولا أمر به"[٣]

ثالث عشر: السبحة:

سئل الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ عن السبحة هل هي بدعة أم لا؟

فقال - رحمه الله -: (نقول لك: نعم، لا ينبغي استعمالها، ولا فائدة فيها ؛ فإن جمعاً من أهل العلم قالوا: إنها بدعة ؛ لأنها لم تستعمل في زمن الصحابة ولا التابعين، وإنما كانوا يعدون التسبيح بأصابعهم ؛ لأنهن مستنطقات، ومستشهدة يوم القيامة، إذا احتيج إلى العد، أما من يأخذ سبحة ويسبح فهذا لا أصل له، بل يسبح لأن الله يقول : M h i j k l m n L[٤]، وبعض العلماء يقول: " إنهن من قبيل المباح، ولا بأس به ، لكن الأولى تركها ؛ لحديث: "**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**" وفي رواية: "**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**"، ولقوله ـ ﷺ ـ : " **أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ**

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن باز (٧٨/٢) :

(٢) سبق تخريجه(ص٤٧٤) .

(٣) شرح كتاب التوحيد ، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ البدع والمحدثات وما لا أصل له (ص٢٧٨).

(٤) سورة الكهف(من آية : ٣٠).

الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ" [١].

فالإنسان إذا سبح ، وهلل ، فالله لا يضيع أجره، بل الله يحفظها له، قال ﷻ M h i j k l m n L [٢].

وقد رأى ابن مسعود ﷺ قوماً عملوا عملاً لم يكن له أصل في الشرع، فقال ابن مسعود ﷺ: **يا هؤلاء لقد جئتم ببدعة ظلماء، أو أنكم فُقتم محمداً ﷺ وأصحابه علماً** [٣].

فنقول لهؤلاء الذين يستعملون السبحة: لقد جئتم ببدعة ظلما، أو أنكم فُقتم محمداً ﷺ وأصحابه علماً، ولا شك أنهم لم يفوقوا محمداً ﷺ ولا أصحابه علماً، فالأولى تركها)[٤].

رابع عشر: تخصيص شهر رجب وشعبان ببعض العبادات:

وقد سئل الشيخ - ~ - عن تخصيص العمرة في ليلة سبع وعشرين من رجب، واعتقاد أنها ليلة الإسراء والمعراج.

السؤال (١٩): نرى كثيراً من المسلمين يعتادون ليلة السابع والعشرين من رجب بالعمرة بزعمهم أنها ليلة الإسراء والمعراج. فهل هذا مطلوب وعمل خيري، أم بدعة ولا يثابون عليها؟

الجواب: نقول لك: هذه من البدع التي ما أنزل بها من سلطان، وقولهم: إنها ليلة الإسراء خطأ، من يقول إن ليلة سبع وعشرين من رجب هي ليلة الإسراء؟ ما قال به أحد، إنما قالوا ليلة الإسراء في ربيع الأول، أو في ربيع الآخر، هذا الذي جاء، أما في رجب، أبداً، أبداً. ثم لو ثبت أنها ليلة الإسراء فما دام أن الرسول لم يعظمها، والصحابة لم

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي(٢٦٧٦)، وابن ماجة (١/١٥، برقم ٤٢)، وأحمد(٤/١٢٦ برقم ١٢٧)، وغيرهم. وصححه الشيخ الألباني - ~ - في صحيح الجامع الصغير(٢٥٤٩).

(٢) سورة الكهف (من آية : ٣٠).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(٩/١٢٥ برقم ٨٦٣٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/٢٢١ برقم ٥٤٠٩)، وابن أبي عاصم في الزهد(١/٣٥٨).

(٤) الشريط الثاني الوجه الأول، ذكر شيء من نواقض الإسلام (ص٤ - ٥).

يخصوها بعبادة فدل على أنه لا أصل لها. من جنس غار حراء، فإن الرسول ـ ﷺ ـ كان يتعبد في غار حراء، ونزل عليه جبريل ـ عليه السلام ـ بسورة اقرأ وهو في غار حراء، وما كان الرسول يرى أن في غار حراء فضلاً، أو أن الرسول أمر بزيارته، أو الصلاة فيه، أو أن الصحابة كانوا يأتونه. وهذا هو معنى تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله، كما بينا قريباً، فلا يعبد الله إلا بما شرع، فلا يجوز أن يخصص عبادة في ليلة سبع وعشرين بناءً على أنها ليلة الإسراء. نقول أولاً: ليست هي ليلة الإسراء. ثم لو فرضنا أن ليلة سبع وعشرين هي ليلة الإسراء لا يمكن أن نخصصها بعبادة، إلا إذا ثبت شيء عن رسول الله، أو عن الصحابة رضي الله عنهم، أما أن نبتدع من قبل أنفسنا، ونستحسن أشياء لا أصل لها. فهذا من البدع التي لا يثاب عليها الإنسان. كيف والنبي ـ ﷺ ـ يقول: "**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**". ثم أين أمر الرسول ـ ﷺ ـ في أن نعتمر في ليلة سبع وعشرين من رجب. وهو الذي يقول: "**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**"، أي مردود على صاحبه. وعلى كل حال فإن تخصيص ليلة سبع وعشرين من البدع التي لا أصل لها"[1].

وقد سئل الشيخ ـ ~ ـ عن ليلة النصف من شعبان، هل لها مزيد فضل؟

السؤال (٢٠): هل صحيح أن ليلة النصف من شعبان ليلة مباركة، وأن الله ـ جل جلاله ـ يقدر فيها آجال وأرزاق عباده، وهل العمرة فيها لها أجر ومزية أكثر من غيرها؟

الجواب: "هذه فيها خلاف بين العلماء، بعضهم يرى أن لها مزيد فضل، وهذا مروي عن عدد من التابعين، وفيه أحاديث، إلا أنها ضعيفة، كما في حديث عائشة ـ > ـ، **عن النبي ﷺ في فضل ليلة النصف من شعبان، وأن الله عز وجل يغفر فيها بعدد شعر غنم كلب**[2]. إلا أن الأحاديث لا تثبت، وكان بعض السلف ـ رضي الله عنه ـ يحيي تلك الليلة ويعظمها، والآخرون

---

(١) شرح كتاب التوحيد، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ، تحت الطباعة.

(٢) العلل الواردة في الأحاديث النبوية، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدارقطني البغدادي، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي (ج ١٤، ص ٢١٧).

يقولون لم يصح فيه شيء عن النبي ـ ﷺ ـ وما جاء فيه من تلك الأحاديث كلها ضعيفة، وهذا القول هو الأصح ـ إن شاء الله ـ "[١].

خامس عشر : القراءة للأموات .

تتمة لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ـ ~ ـ :

قال الإمام أحمد ـ ~ ـ : الميت يصل إليه كل شيء من الخير، من صدقة، أو صلاة، أو غيره. وقال الموفق بن قدامة ـ ~ ـ في المغني : وأي قربة فعلها وجعل ثوابها للميت المسلم نفعه ذلك إن شاء الله ، أما الدعاء، و الاستغفار، و الصدقة، وأداء الواجبات ــ فلا أعلم فيه خلافاً، إذا كانت الواجبات مما يدخله النيابة، وقد قال الله ﷻ :

M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L[٢]. وقال ﷻ : M فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ à ٱللَّهُ â لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ç è é ê L[٣]

ودعا النبي ــ ﷺ ــ لأبي سلمة ــ رضي الله عنه ــ، حين مات ...وللميت الذي صلى عليه ، في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه ، ولكل ميت صلى عليه . **وسأل رجل النبي ـ ﷺ ـ ، فقال : يا رسول الله، إن أمي ماتت، أفينفعها إن تصدقت عنها؟ .. قال نعم** .[٤] وروى ذلك عن سعد بن عبادة رضي الله عنه .

وجاءت امرأة إلى النبي ـ ﷺ ـ ، فقالت : **يا رسول الله، إن فريضة الله في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال : أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيته قالت : نعم ، قال فدين الله أحق أن يُقضى**[٥]

---

(١) شرح كتاب التوحيد ، مرجع سابق، تحت الطباعة.

(٢) سورة الحشر (آية : ١٠).

(٣) سورة محمد (آية : ١٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢/٨٠٤ برقم ١١٤٨).

(٥) أخرجه البخاري (٥/٢٣٠٠ برقم٥٨٧٤).

وقال للتي سألته : **"إن أمي ماتت وعليها صوم شهر ، أفأصوم عنها؟ قال : نعم"**[(١)] .

وهذه أحاديث صحاح ، وفيها دلالة على انتفاع الميت بسائر القُرَب ؛ لأن الصوم والحج ، والدعاء ، والاستغفار عبادات بدنية ، وقد أوصل الله نفعها إلى الميت ، وكذلك ما سواها ، وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده **أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لعمرو بن العاص ﷺ : لو كان أبوك مسلماً ، فأعتقتم عنه أو تصدقتم عنه ، أو حججتم عنه ، بلغه ذلك"**[(٢)] وهذا عام في حج التطوع وغيره ؛ ولأنه عمل بر وطاعة ، فوصل نفعه وثوابه كالصدقة ، والصيام ، والحج الواجب ، إلى أن قـــال : ـ ولنا ما ذكرناه ـ وأنه إجماع المسلمين ، فإنهم في كل عصر و مصر يجتمعون ويقرؤون القرآن ، ويهدون ثوابه إلى موتاهم من غير نكير ، ولأن الحديث صح عن النبي ـ ﷺ ـ أن الميت يُعذب ببكاء أهله عليه والله أكرم من أن يوصل عقوبة المعصية إليه ، ويحجب عنه المثوبة ؛ ولأن الموصل لثواب ما سلموه قادر على إيصال ثواب ما منعوه ، والآية مخصوصة بما سلموه ، وما اختلفنا فيه في معناه فنقيسه عليه ، ولا حجة لهم في الخبر الذي احتجوا به ، فإنما دل على انقطاع عمله فلا دلالة فيه عليه ، ثم لو دل عليه ، كان مخصوصاً بما سلموه ، وفي معناه ما منعوه فيتخصص به أيضاً ، بالقياس عليه ، وما ذكروه من المعنى غير صحيح ، فإن تعدي الثواب ليس بفرع لتعدي النفع ، ثم هو باطل بالصوم ، والدعاء ، والحج ، وليس له أصل يُعتبر به "[(٣)] .

و من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله ، فقد خرق الإجماع ، وذلك باطل من وجوه كثيرة[(٤)] .

أحدها : أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره ، وهو انتفاع بعمل الغير .

---

(١) أخرجه البخاري (٢/٦٩٠ برقم ١٨٥٢)، ومسلم (٢/٨٠٤ برقم ١١٤٨) .

(٢) أخرجه أبو داود (٣/١١٨ برقم ٢٨٨٣) . والبيهقي (٦/٢٧٩ برقم ١٢٤١٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٥٢٩١).

(٣) حكم القراءة للأموات (ص ٤٦ - ٥٢).

(٤) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية ، بيروت، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد عوض ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، (١٨/٢٠٤).

ثانيها: أن النبي ـ ﷺ ـ يشفع لأهل الموقف يوم القيامة ، ثم لأهل الجنة في دخولها ، ثم لأهل الكبائر في الخروج منها ، وهذا انتفاع بعمل الغير .

ثالثها : أن كل نبي وصالح له شفاعة ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

رابعها : أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

خامسها : أن الله يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط بمحض رحمته ، وهذا انتفاع بغير عملهم .

سادسها : أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

سابعها : قال ﷻ في قصة الغلامين اليتيمين : M ﴿ **أَبُوهُمَا صَالِحًا** ﴾ L[1] ، فانتفعا بصلاح أبيهما ، وليس من سعيهما .

ثامنها: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه ، و بالعتق بنص السنة والإجماع ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

تاسعها : أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

عاشرها: أن الحج المنذور، أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

حادي عشرها : أن المدين الذي امتنع ـ ﷺ ـ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة ، وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب ؓ ، انتفع بصلاة النبي ـ ﷺ ـ ، وبردت جلدته بقضاء دينه ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

ثاني عشرها : **أن النبي ـ ﷺ ـ قال لمن صلى وحده : "ألا رجل يتصدق على هذا "**[2] فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير .

---

١) سورة الكهف (آية : ٨٢).

٢) أخرجه أبو داود (١/١٥٧ برقم ٥٧٤) ، وأحمد في مسنده (٣/٨٥ برقم ١١٨٢٥)، والطبراني في المعجم الكبير(٨/٢١٢ برقم ٧٨٥٧)، وغيرهم. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٢٦٥٢).

ثالث عشرها : أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

رابع عشرها: أن من عليه تبعات ، ومظالم إذا حُلِّل منها سقطت عنه ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

خامس عشرها: أن الجار الصالح ينفع في المحيا والممات ، كما جاء في الأثر ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

سادس عشرها : أن جليس أهل الذكر يُرحم بهم ، وهو لم يكن منهم ، ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له ، والأعمال بالنيات ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

سابع عشرها : في الصلاة على الميت و الدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وذلك انتفاع بعمل الغير .

ثامن عشرها : أن الجمعة تحصل باجتماع عدد ، وكذلك الجماعة بكثرة العدد ، وهو انتفاع البعض بالبعض .

تاسع عشرها: أن الله ﷻ قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ... ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، وقد دفع الله ـ ﷻ ـ العذاب عن بعض النـــاس بسبب بعض ، وذلك انتفاع بالغير .

عشروها : أن صدقة الفطر تجب على الصغير ، وغيره ممن يمونه الرجل ،فينتفع بذلك من يُخرج عنه ،ولا سعي له .

حادي عشروها : الزكاة تجب في مال الصبي و المجنون ، ويُثاب على ذلك ، ولا سعي له ، ومن تأمل العلم ،وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله مالا يكاد يحصى[2] .

---

١) سورة البقرة (آية : ٢٥١).

٢) اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، (٢٠٤/١٨).

فكيف يجوز أن تتأول الآية على خلاف صريح الكتاب و السنة وإجماع الأمة ؟ ....

والمراد بالإنسان العموم .

وقال شيخ الإسلام- رحمه الله- أيضاً :

" وأما وصول القراءة والصدقة من أعمال البر فلا نزاع بين علماء السنة والجماعة في وصول ثواب العبادات المالية كالصدقة، والعتق ، كما يصل إليه أيضاً الدعاء ، والاستغفار بالصلاة عليه صلاة الجنازة ، والدعاء له عند قبره ، وتنازعوا في وصول الأعمال البدنية كالصوم، والصلاة، والقراءة" [١].

والصواب أن الجميع يصل إليه ، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : **من مات وعليه صيام ، صام عنه وليه** " [٢] .

وفي المسند أن النبي ـ ﷺ ـ قال لعمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ : **لو أن أباك أسلم فتصدقت، أو أعتقت، أو صُمت عنه، نفعه ذلك** [٣]، وهذا مذهب أحمد ، وأبي حنيفة ، وطائفة من أصحاب مالك والشافعي .

وأما احتجاج بعضهم بقوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[٤]. فيقال له : قد ثبت بالسنة المتواترة، وإجماع الأمة أنه يُصلى عليه، ويُدعي له ، ويُستغفر له ، وهذا من سعي غيره ولذلك ثبت ما سلموه من أن ينتفع بالصدقة عنه ، والعتق عنه ، وهو من سعي غيره ، وما كان من جوابهم من موارد النزاع ، فهو جواب النافين من مواقع النزاع ، وللناس في ذلك أجوبة متعددة ، لكن يحقق ذلك أن الله تعالى لم يقل إن الإنسان لا ينتفع إلا بسعي نفسه ولا يستحق غير ذلك ، وأما سعي غيره فهو له ، كما أن الإنسان لا يملك إلا

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، مكتبة ابن تيمية ، ط٢، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي(٣٦٦/٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠/٧ برقم ١٩٥٢) ، ومسلم (٨٠٣/٢ برقم ١١٤٧).

(٣) [حسن]. رواه أحمد في ((المسند)) (٢ / ١٨٢)، وأبو داود في (الوصايا، باب ما جاء في وصية الحربي) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بنحوه. وصححه الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (برقم ٤٨٤).

(٤) سورة النَّجم (آية : ٣٩).

مال نفسه ونفع نفسه ، ومال غيره ونفع غيره هو كذلك للغير ، لكن إذا تبرع له الغير بذلك جاز ، وهكذا إذا تبرع له الغير بسعيه ، نفعه الله بذلك ، كما ينفعه بدعائه له ، والصدقة عنه ، وهو ينتفع بكل ما يصل إليه من كل مسلم، سواء من أقاربه أو غيرهم ، كما ينتفع بصلاة المسلمين عليه، ودعائهم له عنده قبره[١] .

واختلف في وصول ثواب القراءة للميت فجمهور السلف والأئمة الثلاثة على الوصول وخالف في ذلك إمامنا الشافعي مستدلا بقوله ﷻ : M وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ L وأجاب الأولون عن الآية بأوجه :

أحدها أنها منسوخة بقوله ﷻ :M U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b d e f g h i L[٢] أدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء.

الثاني : أنها خاصة بقوم إبراهيم وقوم موسى عليهما السلام فأما هذه الأمة فلها ما سعت وما سعي لها قال عكرمة .

الثالث : أن المراد بالإنسان هنا الكافر فأما المؤمن فله ما سعى وما سعي له قاله الربيع بن أنس .

الرابع : ليس للإنسان إلا ما سعى من طريق العدل فأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ﷻ ما شاء قاله الحسين بن الفضل .

الخامس : أن اللام في (للإنسان) بمعنى على أي ليس على الإنسان إلا ما سعى [٣].

وقال في العدة شرح العمدة : "وأما قراءة القرآن، وإهداء ثوابه للميت ـ فالإجماع واقع على فعله من غير نكير ، وقد صح الحديث أن الميت ليُعذب ببكاء أهله ، والله ﷻ أكرم من أن يوصل إليه العقوبة، ويحجب عنه المثوبة [١] .

---

(١) مجموع الفتاوى، (٢٤ / ٣٦٦ - ٣٦٧). وانظر: (٣٠٦، ٣١٣).والفتاوى الكبرى (ج٣، ص٦٣).

(٢) سورة الطور (آية : ٢١).

(٣) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار المعرفة ، لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد المجيد طعمة حلبي .(ج ١، ص ٣٠٢).

ويدل على هذا أيضاً قوله ـ ﷺ ـ (**لا تُقتل نفس ظلماً ، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ؛ لأنه أول من سنّ القتل**) [٢]، فإذا كان هذا في العذاب والعقاب ، ففي الفضل والثواب أولى وأحرى .

وقال ابن القيم- رحمه الله- : "وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصدقة على وصول ثواب سائر العبادات المالية ، ونبه بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب سائر العبادات البدنية ، وأخبر بوصول ثواب الحج المركب من المالية والبدنية ، فالأنواع الثلاثة ثابتة بالنص والاعتبار" [٣] .

وقال ابن القيم- رحمه الله- أيضاً : "فإن قيل فرسول الله ــ ﷺ ــ أرشدهم إلى الصوم، والصدقة والحج، دون القراءة ، قيل هو ـ ﷺ ـ لم يبتدئهم بهذا ، بل خرج هذا منه مخرج الجواب لهم فهذا سأله عن الحج عن ميته فأذن له ، وهذا سأله عن الصيام عنه ، فأذن له ، وهذا سأله عن الصدقة فأذن له ، ولم يمنعهم مما سوى ذلك ، وأي فرق بين وصول ثواب الصوم الذي هو مجرد نية وإمساك ، وبين وصول ثواب القراءة والذكر"[٤].

---

(١) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ، ابن القيم، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م (١/١٤٢). انظر أيضاً : شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي، المكتب الاسلامي، بيروت ، ١٣٩١هـ ، ط٤، (١/٥١٧).

(٢) أخرجه البخاري (١١/٤٩٣ برقم ٣٣٣٥) ، ومسلم (٣/١٣٠٣ برقم ١٦٧٧) .

(٣) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، مرجع سابق (١/١٢٢).

(٤) المرجع سابق (١/١٤٣).

المبحث الرابع: جهود الشيخ ـ رحمه الله ـ في الرد على الصوفية.

تمهيد.

- المطلب الأول : تعريف الصوفية لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثاني : نشأة الصوفية.
- المطلب الثالث : أقوال الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في الرد على الصوفية.

المبحث الرابع:

جهود الشيخ ـ رحمه الله ـ في الرد على الصوفية

تمهيد :

أخذ التصوف صوراً وأشكالاً مختلفة على مر تاريخ المسلمين ، غير أنّه لم يترجَم على هيئة فرق إلاّ في عصور متأخرة في حدود القرن السادس الهجري.

وفرق الصوفية أكثر من أن تُحصى، وهي منتشرة في جميع بقاع العالم الإسلامي، وليس هناك من فروق تميز إحداها عن الأخرى سوى في الأوراد ، والأذكار التي يرددونها في المناسبات الإسلامية، ومناسباتهم الخاصة التي ترتبط بمؤسسيها، كما أن هذه الفرق جميعها ترتبط بعقيدة أهل السنة.

ومن أشهر الفرق الصوفية المنتشرة في واقع المسلمين اليوم:

ـ **الجيلانية**: وتنتسب إلى عبد القادر الجيلاني[1] (٤٧٠ ـ ٥٦١هـ)، تزوره في بغداد كل عام جموع كثيرة من أتباعه للتبرُّك به، اطَّلع على كثير من علوم عصره، وقد نَسَب أتباعه إليه كثيراً من الكرامات.

ـ **الرفاعية**: وتنتسب إلى أحمد الرفاعي[2] (٥١٢- ٥٨٠هـ)، من بني رفاعة أحد قبائل العرب، قال عنهم الشيخ الألوسي في غاية الأماني في الرد على النبهاني: (وأعظم الناس

---

(١) هو : أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي ، الجيلي الحنبلي ، شيخ بغداد ، ولد بجيلان سنة ٤٧١ هـ /١٠٧٩ م ، وقدم بغداد شاباً ، كان فقيهاً صالحاً ديناً ، كثير الذكر ، دائم الفكر ، سريع الدمعة ، له سمت و صمت ، و كان يعظ إلى أن توفي سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٦م ، عن تسعين سنة .انظر الأنساب للسمعاني(٣ / ٤١٥)، المنتظم(١٠ / ٢١٩)، سير أعلام النبلاء(٢٠ / ٤٣٩ – ٤٥١)، ذيل طبقات الحنابلة(١ / ٢٩٠). البداية والنهاية(٧٦٨/٢)، وطبقات الشعراني(١٢٦/١).

(٢) هو : أبو العباس أحمد بن أبى الحسن على، الرفاعي نسبة، ابن يحيى بن حازم بن على بن ثابت بن على بن الحسن الأصغر ابن المهدي بن محمد بن الحسن، ابن يحيى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الشهيد الحسين ابن الإمام على بن أبى طالب ﷺ، أستاذ الطائفة المشهورة، أصله من المغرب، وسكن البطائح، بقرية يقال لها " أم عبيدة " - بفتح العين - وانضم إليه خلق

بلاءً في هذا العصر على الدين والدولة ـ مبتدعة الرفاعية، فلا تجد بدعة إلا ومنهم مصدرها ، وعنهم موردها ومأخذها)[١].

وتتفق الرفاعية مع الشيعة في أمور عدة، منها: إيمانهم بكتاب الجفر، واعتقادهم في الأئمة الاثني عشر، وأن أحمد الرفاعي هو الإمام الثالث عشر، بالإضافة إلى مشاركتهم الحزن يوم عاشوراء. وغير ذلك.

هذا رغم ما ورد عن شيخ طريقتهم ـ الشيخ أحمد الرفاعي ـ من الحض الشديد على السنة، واجتناب البدعة، ومنها قوله: (ما تهاون قوم بالسنة وأهملوا قمع البدعة إلا سلط الله عليهم العدو، وما انتصر قوم للسنة وقمعوا البدعة وأهلها ، إلا رزقهم هيبةً من عنده ونصرهم، وأصلح شأنهم). وللرفاعية انتشار ملحوظ في غرب آسيا.

ـ **البدوية**: وتنتسب إلى أحمد البدوي[٢] : يقام له كغيره من أولياء الصوفية احتفال بمولده سنويًّا ، يُمَارس فيه الكثير من البدع والانحرافات العقدية، من دعاء ، واستغاثة ، وتبرك، وتوسل ، وبعضه من الشرك المخرج من الملة.

وأتباع طريقته منتشرون ، ولهم فروع كالبيُّومية ، والشنَّاوية وأولاد نوح والشعبية، وشارتهم العمامة الحمراء.

عظيم من الفقراء، وأحسنوا الاعتقاد فيه، والرفاعي، نسبة إلى رفاعة، رجل من المغرب. والبطائح قرى مجتمعة في وسط الماء، بين واسط والبصرة، مشهورة بالعراق، ولأتباعه أحوال عجيبة: من أكل الحيات بالحياة، والنزول إلى النار فيطفئونها، ويركبون الأسد، ونحوه. انظر : طبقات الأولياء(ج١، ص١٥).

(١) انظر : طبقات الشافعية للسبكي (٥/٢)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٤٨/٤٠- ٢٥٥)، وقلادة الجواهر في سيرة الرفاعي وأصحابه الأكابر للصيادي (ص ٤٣٣)، والطرق الصوفية للسهلي (ص٨٩)، والعقيدة الحقة لأحمد الرفاعي (ص ١٧ – ١٩)، والبرهان المؤيد للرفاعي (ص ٧٥- ٨٢)، ومقدمة مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية (ص ٤ ، ٥)، والطرق الصوفية للسهلي (ص٩٠).

(٢) سبقت ترجمته ص ٤٤٧. انظر : حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة ، عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ)(ج١، ص١٧٤)

ـ **الدسوقية**: تنتسب إلى إبراهيم الدسوقي[١] (٦٣٣ـ ٦٧٦هـ) ، يدعي المتصوفة أنه أحد الأقطاب الأربعة الذين يرجع إليهم تدبير الأمور في هذا الكون !!

ـ **الأكبرية**: نسبة إلى الشيخ محيي الدين بن عربي[٢]، وتقوم طريقته على عقيدة وحدة الوجود ، والصمت ، والعزلة ، والجوع ، والسهر، ولها ـ بزعمهم ـ ثلاث صفات: الصبر على البلاء، والشكر على الرخاء، والرضا بالقضاء.

الشاذلية: نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي[٣] (٥٩٣ـ ٦٥٦هـ) ،وُلِد بقرية في بلاد المغرب، وانتقل إلى تونس، وحج عدة مرات، ثم دخل العراق، ومات في طريقه إلى الحج، قيل عنه: (إنه سهّل الطريقة على الخليقة) ؛ لأن طريقته أسهل الطرق وأقربها ، فليس فيها كثير مجاهدة،

---

(١) هو : إبراهيم بن عبد العزيز بن قريش الدسوقي، شيخ الطرق الدسوقية أو البرهامية، من أهل دسوق وهي مدينة بمصر، ولد سنة ٦٣٣هـ ، وبلغ غاية التصوف بدون شيخ، وهذا لا يتحقق عندهم ألا لخواص الكمال، قضى عمره في جمع الاتباع وتربيتهم على التصوف، غلا في الصوفية، ووضعوا حوله أساطير ، وقال عنه النبهاني - وهو كاذب - : (أحد أفلاك العالم ، وأركان الطريق ، والذين أجمعت الأمة على اعتقاد غوثيتهنم الكبرى ، وقطبانيتهم العظمي والسرياني والعبراني وسائر لغات الطيور) له كتاب الجواهر ، وله شعر صوفي ، وتوفي سنة ٦٧٦ هـ .انظر: الطبقات الكبرى ١٦٥/١ ،وجامع كرامات الأولياء ٣٩٨/١، وجمهرة الأولياء ٢/ ٢٣٨، والإعلام ٥٩/١، والطرق الصوفية في مصر لعامر النجار ص ١٥٥ ، والدر المنثور في مناقب إبراهيم الدسوقي لمحمد الخطيب.

(٢) هو: محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي طاف البلاد ، وصنف كتابه المسمى بالفتوحات المكية في نحو عشرين مجلداً، فيها ما يعقل ومالا يعقل، وما ينكر وما لا ينكر، وما يعرف ومالا يعرف، وله كتابه المسمى بفصوص الحكم، فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، توفي سنة٦٣٨هـ . انظر: البداية والنهاية(١٥٦/١٣)، وميزان الاعتدال(٢٦٩/٦).

(٣) هو: أبو الحسن الشاذلي شيخ الطائفة الشاذلية: تقي الدين علي بن عبد الله بن عبد الجبار.. قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله: منشؤه بالغرب الأقصى، ومبدأ ظهوره بشاذلة، وله السياحات الكثيرة، والمنازلات الجليلة، والعلوم الكثيرة، لم يدخل في طريق الله حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة، وعلوم جمة، وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يحضر مجلسه، ويسمع كلامه.مات في ذي القعدة سنة ست وخمسين وست مئة بصحراء عيذاب متوجها إلى مكة. انظر: حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة.(ج ١، ص ١٧٣).

انتشرت طريقته في بعض بلاد العرب، و بعض أهلها يدينون له بالتقدير والاعتقاد العميق في ولايته، وانتشرت طريقته كذلك في شمال أفريقيا، وغربها بعامة [١].

ـ **البكداشية**: كان الأتراك العثمانيون ينتمون إلى هذه الطريقة، وهي ما تزال منتشرة في ألبانيا، كما أنها أقرب إلى التصوف الشيعي منها إلى التصوف السني، وقد كان لهذه الطريقة أثر بارز في نشر الإسلام بين الأتراك والمغول، وكان لها سلطان عظيم على الحكام العثمانيين ذاتهم.

ـ **المولوية**: أنشأها الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي (ت٦٧٢هـ)، أصحابها يتميزون بإدخال الرقص والإيقاعات في حلقات الذكر، وقد انتشروا في آسيا الغربية، ولم يبق لهم في الأيام الحاضرة إلا بعض التكايا في بعض أقطار المشرق[٢].

ـ **النقشبندية**: تنتسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند (٦١٨- ٦٩١هـ) ، وهي طريقة تشبه الشاذلية، انتشرت في بلاد الهند، وآسيا الغربية[٣].

ـ **الملامتية**: مؤسسها أبوصالح حمدون بن أحمد بن عمار المعروف بالقصار[٤](ت٢٧١هـ)، أباح بعضهم مخالفة النفس بغية جهادها، ومحاربة نقائصها، وقد ظهر الغلاة منهم حديثاً بمظهر الإباحية ، والاستهتار ، وفعل كل أمر دون مراعاة للأوامر والنواهي الشرعية[١].

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٢٧٤/٤٨- ٢٧٥)، وشذرات الذهب (٢٧٨/٥)، النفخة العلية في أوراد الشاذلية جمع عبد القادر زكي (ص٢)، ولطائف المنن لابن عطاء الله (ص ١٢٨ – ١٦٩)، والطريقة الشاذلية وأعلامها ،د.محمد درنيقة (ص ٨٢ – ٥٨) ،والنفحة العلية في أوراد الشاذلية، جمع عبد القادر زكي (ص٢ ، ٦ ، ١٠ ، ٢٦١)، طبقات الشعراني (١٣/٢)، لطائف المنن لابن عطاء الله (ص٢١٥، ١٢٩).

(٢) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣- ١٩٩٢ (ج٢، ص١٥٨٨).

(٣) انظر: الطريقة النقشبندية وأعلامها ، د.محمد درنيقة (ص ١٨ – ١٩).

(٤) شيخ الصوفية أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة النيسابوري، قدوة الملامتية وهو تخريب الظاهر وعمارة الباطن مع التزام الشريعة، مات حمدون سنة إحدى وسبعين ومائتين بنيسابور ودفن في مقبرة الحيدة ..انظر : سير أعلام النبلاء .(ج ١٣، ص٥٠)، والطبقات الكبرى للشعراني(ج١، ص١٢١).

التيجانية: فرقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي ﷺ مقابلة مادية واللقاء به لقاءً حسيًّا في هذه الدنيا، وأن النبي ﷺ قد خصهم بصلاة (الفاتح لما أُغلق) التي تحتل لديهم مكانة عظيمة[٢].

ـ وهناك طرق كثيرة غير هذه الطرق: **كالقنائية، والقيروانية، والمرابطية، والبشبشية، والسنوسية**[٣]، **والمختارية، والختمية**[٤] ... وغيرها، ولاشك أن كل هذه الطرق بدعية.

وكلها من فرق التصوف الكبرى، أما فرق التصوف الصغرى، فلا يتسع المجال لذكرها؛ لكثرتها.

وقد وقف الشيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ موقفاً حازماً من كل هذه الفرق الصوفية المنحرفة.

وهذا سؤال ورد للشيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ **حول مايفعله بعض أصحاب هذه الطرق من أعمال السحر**[١]:

---

(١) انظر: مدارج السالكين.(ج ٣، ص١٧٧).

(٢) انظر: التيجانية، على آل دخيل الله، (ص٨٥، ٦٤)، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ومعجم الفرق الإسلامية، شريف يحيى، (ص٧١- ٧٢).

(٣) نسبة إلى محمد بن علي السنوسي، والخطابي الشهير بابن السنوسي، ولد سنة ١٢٠٢ هـ وتعلم بفاس، وأخذ الطريقة الشاذلية عن طريق الدرقاوي، وله طرق أخر عن أحمد بن إدريس الحسني الفاسي الشاذلي وهي دعوة إسلامية مشوبة بالصوفية. عمت مراكزها الدينية بعض البلاد الإسلامية. ،تأسست الدعوة السنوسية في القرن الثالث عشر الهجري، بعد شعور مؤسسها بضعف المسلمين، وتأخرهم دينيًّا، وسياسيًّا، واجتماعيًّا، فأنشأ حركته التجديدية.انظر: معلمة التصوف الإسلامي: ٢٧٨/٢.

(٤) الختمية: طريقة صوفية، تلتقي مع الطرق الصوفية الأخرى في كثير من المعتقدات، مثل: الغلوِّ في شخص الرسول ﷺ، وادعاء لقياه، وأخذ تعاليمهم وأورادهم وأذكارهم ـ التي تميزوا بها ـ عنه مباشرة. هذا إلى جانب ارتباط الطريقة بالفكر والمعتقد الشيعيِّ، وأخذهم من أدب الشيعة وجدالهم، ومحاولة المعاصرين منهم ربط الطائفة بالحركة الشيعيَّة المعاصرة. انظر: الطبقات الكبرى للشعراني، (٣٢٦/١)، طائفة الختمية د. أحمد جلي (ص ١٣ – ٣٨)، والنفحات المكية واللمحات الخفية في شرح أساس الطريقة الختمية، محمد بن عثمان الميرغني (ص ٦، ٧).

هناك أُناس يطعنون بطونهم بالسيف،أو الخنجر،أو يطرقون رؤوسهم،وما شابه. وينادي ياولي فلان،ويسمي الشخص الذي يناديه؛حتى يخيل للناس أن الذي يقيه من الإصابات هو الولي الذي يناديه، فما حكم ذلك ؟

الجواب : هذا يُبني على أمور،أولاً : بالنسبة للشعوذة فهذا حرام،ولا يجوز بكل حال وهذا سحر، وقد أجمع المسلمون كما دل عليه القرآن العزيز والسنة النبوية على تحريم السحر وتعاطيه له، بل جاء في حديث جندب أن النبي ﷺ قال: «**حد الساحر ضربه بالسيف**» [٢] ،قال الإمام أحمد: صح عن ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قتلوا الساحر، فهذا إذا لم يتب يجب ضربه بالسيف، وقد اختلف العلماء في توبة الساحر: هل تقبل له توبة أم لا ، فقيل إنها لا تُقبل ظاهراً ؛لأن السحر علم عرفه،وتخليصه من علم السحر أمر بعيد،وقول آخر أنه إذا تاب توبة صادقة، فإن الله يقبلها منه. وهذا القول الصحيح كما وقع لسحرة فرعون،فإنهم لما رأوا الآية التي أيد الله بها موسى ـ عليه السلام ـ سجدوا قائلين: " آمنا برب العالمين رب موسى وهارون"ـ ^ ـ، فهذا يدل على أن توبة الساحر تقبل، ولكن إذا لابد من قتله كما ذهب إلى ذلك جمع من أهل العلم،منهم الإمام أحمد. والله أعلم.

المطلب الأول : تعريف الصوفية لغةً واصطلاحاً:

يقول النووي: (فأما كلمة التصوف ، فقد أجمع الكاتبون في هذا المقام على أنها من الكلمات الإصطلاحية التي طرأت في أواخر القرن الثاني للهجرة)[٣].

فالصوفية يقرون بأن مصطلح "الصوفية" حادث ، لكنهم يقولون: الأحوال الصوفية موجودة منذ عهد النبي ﷺ، تمثلت في أهل الصفة ، لكنهم لم يتفقوا على رأي واحد في

---

(١) فتاوى سماحة الشيخ عبدالله بن حميد ـ رحمه الله ـ رئيس المجلس الأعلى للقضاء،وعضو هيئة كبار العلماء "من برنامج نور على الدرب"، أعده واعتنى بإخراجه : عُمر بن محمد بن عبدالرحمن القاسم، دار القاسم، (ص٣٢- ٣٣).

(٢) سبق تخريجه ، ص : ٣٤٦ .

(٣) مقدمة التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ٤). ويقول أحمد المقرئ: " تصوف الرجل ، وهو صوفي، من قوم صوفية ، كلمة مولدة". المصباح المنير (ص١٣٤).

أصل كلمة صوفية ، واشتقاقها ، فما قرره بعضهم نقضه آخرون ، وقد رجعوا بالكلمة إلى أصول ، نذكر أهمها وأشهرها :

١ ـ أنها نسبة إلى الصُفَّة(١) :

وبهذا قال أبو عبد الرحمن السلمي : (التصوف مأخوذ من أهل الصفة)(٢).

وقال السهروردي(٣) : (وقيل : سموا صوفية. نسبة إلى الصفة.. وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ، ولكنه صحيح من حيث المعنى ؛ لأن الصوفية يشاكلهم حال أولئك ، لكونهم مجتمعين متآلفين ، متصاحبين لله ، وفي الله ، كأصحاب الصفة)(٤).

٢ ـ أنها نسبة إلى الصفاء.

قال **الكلاباذي** : (قالت طائفة : إنما سُمِّيت الصوفية صوفية ؛ لصفاء أسرارها ، ونقاء آثارها ، وقال بشر بن الحارث : الصوفي من صفا قلبه لله)(٥) ، وقد استبعد هذا الاشتقاق القشيري فقال : (من قال : إنه مشتق من الصفاء ، فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة)(٦).

٣ ـ أنها نسبة إلى الصف الأول :

---

(١) هو مكان كان يأوي إليه الفقراء في مسجد النبي ﷺ.

(٢) تسعة كتب في أصول التصوف والزهد (ص ٣٦٥).

(٣) هو : عمر بن محمد بن عبد الله القرشي التيمي البكري السهروردي ، من كبار الصوفية ، ولد ٥٣٩هـ ، في سهرورد (مدينة قرب قزوين بفارس) ، وسكن بغداد ، وأخذ الطريقة السهروردية عن مؤسسها عمه أبي النجيب السهروردي ، وانتهت إليه مشيخة الصوفية بالعراق ، وله مؤلفات منها : عوارف المعارف ، وبقية البيان في تفسير القرآن ، وجذب القلوب إلي مواصلة المحبوب ، وتوفي سنة ٦٣٢ هـ . انظر : العبر ٢١٣/٤ ، والإعلام ٦٢/٥ ، ومعجم المؤلفين ٣١٣/٧ ، والموسوعة الصوفية ٢١٣.

(٤) عوارف المعارف (٨٤/٥).

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ٢٦).

(٦)الرسالة التبوكية المسماة بـ " زاد المهاجر إلى ربه " ، مطبعة المدني (٥٥١/٢).

قال الكلاباذي : (وقال قوم : إنما سموا صوفية ؛ لأنهم في الصف الأول بين يدي الله ﷻ بارتفاع هممهم إليه ، وإقبالهم عليه ، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه)[١].

وقال **القشيري** : (وقول من قال : إنه مشتق من الصف. فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم ، فالمعنى صحيح ، ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف)[٢].

٤ ـ أنها نسبة إلى الصوف.

يقول **الطوسي** : (نسبوا إلى ظاهر اللبس ، ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها مترسمون ؛ لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام ، والصديقين ، وشعار المساكين المتنسكين)[٣].

وقال القشيري : (فأما قول من قال : إنه من الصوف. ولهذا يقال : تصوف. إذا لبس الصوف. كما يقال : تقمص. إذا لبس القميص. فذلك وجه ، لكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف)[٤] ، ولم ينكر ذلك أحد من أئمة المتصوفة ، وهذا يدل على تأييدهم لهذا.

وهذه النسب يظهر أنها لا تخلو من مقال ؛ فهي إما أنها لا تصح لغةً ، وتصح من حيث المعنى ـ كما في اشتقاقها من الصفة ، أو الصفاء ، أو الصف الأول ـ ، أو أنها تصح من حيث اللغة ، ولا تصح من حيث المعنى ـ كما في الصوف ـ .

وهناك نسبة لم يذكرها الصوفية ، وهو أن أصل هذه الكلمة يرجع إلى أصل يوناني ، هو كلمة : (سوفيا) ، ومعناها : الحكمة ، وبها سمي الفيلسوف (بيلاسوبا) : أي محب الحكمة. فقد أرجع بعض الباحثين والمؤرخين المختصين بعلوم الديانات القديمة الهندية ، والفلسفية من غير المتصوفة إلى هذا.

وأول من عرف بهذا الرأي : **البيروني** ، وتبعه عليه جمع ، خصوصاً الباحثين المعاصرين[١].

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف ، الكلاباذي (ص : ٢٦ ـ ٢٧).

(٢) الرسالة التبوكية المسماة بـ " زاد المهاجر إلى ربه " ، مطبعة المدني (٥٥١/٢).

(٣) اللمع (ص ٤١).

(٤) الرسالة التبوكية المسماة بـ " زاد المهاجر إلى ربه " مطبعة المدني (٥٥١/٢) ، وانظر : كشف المحجوب للهجويري (٢٣٠/١ ـ ٢٣١).

يقول البيروني مبينا أصول التصوف في الفكر الفلسفي الهندي: "ومنهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط؛ لاستغنائها بذاتها فيه، وحاجة غيرها إليها، وأن ما هو مفتقر في الوجود إلى غيره فوجوده كالخيال غير حق، والحق هو الواحد الأول فقط. وهذا رأي (السوفية) وهم الحكماء، فإن (سوف) باليونانية الحكمة، وبها سمي الفيلسوف (بيلاسوبا)، أي محب الحكمة.

ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم، سُمُّوا باسمهم، ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم للتوكل إلى (الصفة)، وأنهم أصحابها في عصر النبي ﷺ، ثم صُحّف بعد ذلك، فصُيّر من صوف التيوس "[٢].

ولهذا الرأي أدلة ترجحه على النسب السابقة، وبخاصة النسبة إلى الصوف؛ فمن ذلك:

أولا: التشابه ما بين كلمتي (صوفية) و(سوفية) في اللفظ والرسم، وجواز التبديل بين حرفي السين والصاد[٣].

ثانيا: اتحاد مدلول الكلمتين: (سوفية)، و(صوفية)؛ فمدلولهما: الحكمة. يبين هذا: أن الصوفي عند الصوفية هو الحكيم، وهو صاحب الحكمة. لذا يكثر دورانهم على هذا المعنى، ويجعلونه وصفاً لازماً للصوفي؛ فمن لم يكن حكيماً فليس له حظ من اللقب، هكذا يقرر **ابن عربي** وغيره فيقول: "ومن شروط المنعوت بالتصوف: أن يكون حكيما ذا حكمة. وإن لم يكن، فلا حظ له من هذا اللقب"[٤].

---

(١) أمثال المستشرق الألماني فون هامر، ومحمد لطفي جمعة، وعبد العزيز إسلامبولي. انظر: التصوف المنشأ والمصادر (ص: ٣٣)، قضية التصوف، المنقذ من الضلال، (ص: ٣٢).

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة: أبو الريحان البيروني: عدد الأجزاء: ١ ، الطبعة رقم: ١، ١٩٨٣م ،(ص ٢٧).

(٣) ويشهد لهذا ما ورد في إحدى القراءات في قوله ﷻ : "اهدنا الصراط المستقيم" إبدال الصاد بالسين انظر تفسير القرطبي (١٤٨/١).

(٤) الفتوحات المكية، محمد بن علي بن عربي ، تحقيق عثمان يحيى، مراجعة إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، (٢٦٦/٢).

ويفهم من كلام بعض علماء الصوفية أن هذه اللفظة ليست عربية، كما في قول القشيري: "وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية: قياس ولا اشتقاق. والأظهر فيه: أنه كاللقب"[١].

ففهم من هذا أنها ليست عربية.

وهذا صحيح؛ لأنه لم يقل أحد من أهل اللغة عن هذه الكلمة أنها جامدة، كما قيل في لفظ الجلالة "الله"، بل الذي قالوه: إنها كلمة مولدة.

أما تعريف الصوفية اصطلاحاً: (هي فكر وعمل، ودراسة وسلوك، ويقصد بالفكر والدراسة: الدعائم العقلية الفلسفية التي يؤصل عليها مناهج التصوف، ويقصد بالعمل والسلوك: الأسلوب الذي يبدو ظاهريًّا، ويحسه الناس من العامل والسالك حقيقة ماثلة أمام عيونهم، والعمل هو المقابل للاعتقاد الناشئ عنه عادة، والسلوك هو السير حسب هذه المعاني الروحية الأخلاقية)[٢].

المطلب الثاني : نشأة الصوفية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : (أما لفظ "الصوفية" فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك)[٣]، ثم قال ـ رحمه الله ـ: (... فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد[٤]، وعبد الواحد من أصحاب الحسن ، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد، والعبادة ،والخوف، ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار ؛ ولهذا كان يُقال : فقه كوفي، وعبادة بصرية)[٥].

---

(١) الرسالة التبوكية المسماة بـ" زاد المهاجر إلى ربه " مطبعة المدني ،(٢/٥٥٠ـ ٥٥١).

(٢) التصوف في الميزان، د. مصطفى غلوش (ص: ٤١).

(٣) مجموع الفتاوى(١١/٥).

(٤) هو : عبد الواحد بن زيد البصري، أبو عبيدة الزاهد، شيخ الصوفية وواعظهم، توفي بعد سنة ١٥٠هـ ، انظر: الطبقات الكبرى للشعراني ١/٨٠، وسير أعلام النبلاء ٧/١٧٨ ، وميزان الاعتدال ٢/٦٧٢ ، ولسان الميزان ٥/٨٣.

(٥) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/٦ـ٧.

قال **المقبلي**: (فالتصوف ليس من مسمى الدين ؛ لأن الدين كمل قبله ـ أعني دين الإسلام ـ ، ولا هو من النعمة ؛ لأنها تمت قبله ، وليس التصوف داخلاً في مسمى الإسلام ؛ لأن الإسلام تم قبله ، وهم معترفون بالغيرية ، فحينئذ هو بدعة ضلالة)[١].

لقد مرَّ التصوف بعدة مراحل ؛ فقد كان في أوله زهداً في الدنيا ، وانقطاعاً لعبادة الله ﷻ ، ثم صار حركات ومظاهر خالية من الروح والعبادة ، ثم صار إلحاداً وخروجاً عن دين الله ؛ فقالوا بالحلول ، ووحدة الوجود ، وإباحة المحرمات ، وترك الواجبات ، وعلم الباطن[٢].

ويتضح مما سبق : أن التصوف عبر تاريخه الطويل هو انحرافٌ عن منهج الزهد الذي يحضّ الإسلام على سلوك سبيله ، والمقترن بالعلم ، والعمل ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونفع الأمة ، ونشر الدين ؛ ولذا رفضه الرسول الكريم ﷺ من بعض أصحابه ، ثم زاد هذا الانحراف عندما اختلط التصوف بالفلسفات الهندية ، واليونانية والرهبانية النصرانية في العصور المتأخرة ، وتفاقم الأمر عندما أصبحت الصوفية تجارة للمشعوذين والدجالين ممن قلت بضاعتهم في العلم ، وقصر سعيهم عن الكسب الحلال. وقد أدرك أعداء الإسلام ذلك ، فحاولوا أن يُشوِّهوا الإسلام من الداخل من خلال التصوف ، ويقضوا على صفاء عقيدة التوحيد التي يمتاز بها الإسلام ، ويجعلوا المسلمين يركنون إلى السلبية حتى لا تقوم لهم قائمة.

المطلب الثالث : جهود الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في الرد على الصوفية :

يقول الشيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ في " درس في معنى التوحيد : "بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين ، وعلى آله وأصحابه ،

---

(١) العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ ، صالح بن مهدي بن علي المقبلي ، دار الحديث للنشر والتوزيع ، (ص : ٤٧٠).

(٢) انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : (ص ٨٧، ١١٥)، والمرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ١١٢ ، ١٣٠).

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد: فقد قال الله ﷻ: M C D E F G
H J K L M N O P Q R T U V W X Y Z L [1]

يخبر ـ ﷻ ـ أنه لم يخلق الجن والإنس عبثاً، ولا ليتركهم سُدىً مهملين، لا مأمورين ولامنهيين M ~ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ L [2]، أتظن أن الله خلقك عبثاً، ولهواً، ولعباً، وأنك غير راجع إليه؟ لا، بل خلقك لعبادته وأمرك بتوحيده وطاعته وأخبر بأنك سترجع إليه، وأنه سيجازيك بعملك، إن خيراً فخير، و إن شراً فشر. فالله سبحانه لم يخلق الخلق ليتعزز بهم من ذلة، ولا ليتكثر بهم من قلة، بل هو الغني عن كل ما سواه، وإنما خلقهم ليعبدوه وحده لا شريك له، ولأجل هذا أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وجردت سيوف الجهاد، كله لأجل عبادة الله وحده لا شريك له، بخلاف من عبد غير الله، كهؤلاء الذين يشيدون البنيان على القبور، ويسألونها من دون الله، يذبحون لها، وينذرون ويطلبون منها، وبها يستغيثون. هذا هو الشرك بعينه، المنافي للتوحيد الذي دلت عليه هذه الآية، قال ﷻ: M C D E F
G H L [3]، وقال ﷻ: M @ A B C D E F G H I J
K L M N P Q R S T V W X Y Z [\
] _ ` a b c d e f g h k l m o p
q r L [4]، فأبطلت الآية ما يتعلق به عباد القبورمن الأولياء، والأنبياء، والملائكة، والصالحين، أبطلته من أوجه:

أولاً: قوله ﷻ: M V W X Y Z [\ ] L يعني من يعبد أحمد البدوي تذبح له، تنذر له، تشيد قبره، فإنه لا يملك ولا قطمير.

---

(١) سورة الذاريات (آية: ٥٦ ـ ٥٨).

(٢) سورة المؤمنون (آية: ١١٥).

(٣) سورة الذاريات (آية: ٥٦).

(٤) سورة فاطر (آية: ١٣ـ١٤).

القطمير ما هو؟ هو اللفافة الرقيقة التي تكون على نواة التمر. ألا ترى أنك تجد على نواة التمر لفافة رقيقة، هذه هي القطمير، فإن هؤلاء الأموات لا يملكون لا قطميراً، ولا فتيلاً، فكيف تذبح لهم، وتنذر لهم، وتطلب منهم المدد والغوث؟! هذا هو الضلال بعينه.

ثانياً: قوله ﷻ: M _ ` a b c L هؤلاء الذين يأتون إلى قبر الحسين، أو البدوي، أو عبد القادر، أو السيدة زينب، أو غيرهم، فإنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ويأتون عند قبره، ويقولون: المدد المدد. الآية تنص على أنه[1]:

أولاً: لا يملك ولا اللفافة التي تكون على النواة.

ثانياً: أنه لا يسمعك، ولا يدري عن حالك، ، ولا علم له بدعائك، وهو لا يستطيع أن ينفعك، ولا أن يدفع عنك ضراراً.

ثالثاً: قوله ﷻ M d e f g h L لو على سبيل الفرض والتقدير أنهم يسمعون دعاء من دعاهم، فإنهم لا يستطيعون أن يجلبوا لك نفعاً، أو يدفعوا عنك ضراراً أبداً.

رابعاً: قوله M j k l m L فهو يتبرأ منك، يقول: يا ربّ، ما شعرنا بعبادته إيانا. فهو يتبرأ منك، وأنت تتبرأ منه، لكن هيهات هيهات قال ﷻ: M o p q r s t u v w x y z L[2] والآية كلها تدل على إبطال ما يتعلق به من الصالحين، والأولياء، أو الأنبياء من هذه الأمور الأربعة[3].

وآيات القرآن كثيرة في هذا المعنى، وفي قوله ﷻ: M **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ** ! " # $ % & ' ( ) L[4].

وكالآية الأخرى في قوله ﷻ: M o pq r s t u w x y z { | } L[5] يعني تجعل شريكاً لله من لا يستطيع أن يخلق، فهو مخلوق مقهور

---

(١) شرح كتاب التوحيد لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد. ~ . (تحت الطباعة).

(٢) سورة البقرة (آية: ١٦٦).

(٣) شرح كتاب التوحيد لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد – رحمه الله – (تحت الطباعة).

(٤) سورة الأحقاف (آية: ٥ ـ ٦).

(٥) سورة الأعراف (آية: ١٩١ ـ ١٩٢).

مربوب لله، لا يستطيع أن ينصرك، ولا أن يجلب لك نفعاً ، ولا أن يدفع عنك ضرراً، لا يستطيع أن ينفع نفسه، أو يدافع عنه ضرراً.

فبهذا تعرف أن تشييد البناء على القبور ، وطلب المدد من أهلها ، والمذابح لهم ، والنذر لهم هو الشرك بعينه ، كما دل عليه القرآن العزيز، وإنما النافع الضار هو الله، كما سيقول في قصة رسول الله ﷺ يوم أُحُد حينما شُجَّ رأسه ﷺ ، ودمي وجهه ، وكسرت رباعيته ، وجعل الدم يسيل على وجهه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : " **كيف يفلح قوم شجوا نبيهم**؟"[1]، فأنزل الله M w x y z { L [2]. الأمر بيد الله، فالرسول ﷺ لا يدفع عن نفسه ضرراً، ولا يجلب لها نفعاً، بل الأمور بيد الله. والله أعلم، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم[3].

لقد بين الشيخ -رحمه الله- أن هذه الطوائف الضالة لم تقم، ولم تنتشر إلا بالدعوة إلى ما هي عليه من الضلال، وبذل الغالي والنفيس؛ من أجل انتشارها بين الناس[4].

قال الشيخ ابن حميد -رحمه الله- معلقاً على حديث: "**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**": "الأئمة جمع إمام، والإمام هو الذي يقتدى به؛ فكل من يقتدى به فهو إمام، ولكن الإمام الحقيقي هو الذي يقتدى به في الخير، أما إذا كان يقتدى به في الشر فهذا من الأئمة المضلين - كما في هذا الحديث -.

والأئمة المضلون لا شك أنه في نفسه ضال، ومضل لغيره، كما في قوله وذلك أنهم قادة في الشر ، وقادة في البلاد، وقادة في مخالفة ما جاء به النبي ﷺ، كما هو

(١) سبق تخريجه ، ص : ٢٠١.

(٢) سورة آل عمران (آية : ١٢٨).

(٣) شرح كتاب التوحيد لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد -رحمه الله- (تحت الطباعة).

(٤) شرح كتاب التوحيد باب الدعاء إلى شهادة ألا إله إلا الله وقول الله تعالى : "قل هذه سبيلي" ، سماحة الشيخ ابن حميد -رحمه الله-.

الواقع في كثير من الناس، وإن كانوا يسمون علماء؛ لأن الحقيقة أن العلماء ينقسمون إلى قسمين:

منهم من يدعو إلى الضلالة. ومنهم من يبيع دينه بدنيا غيره ...) إلى أن قال -رحمه الله-: (والقسم الثاني: من يدعو إلى بدعته، ويأمر الناس بأن يتبعوه، ويقول: قد جئتكم بما لم يأت به غيركم؛ كأحمد التيجاني[١] فإن له أتباعاً كثيرين لا يُحصون كثرة في المغرب، وأتباعه يسمون بالتيجانية، وقد جاءهم بوِرْدٍ يزعم أن قراءته تفضل قراءة القرآن بستة آلاف مرة، ويزعم أن أصحابه ومتَّبعيه أفضل من أصحاب رسول الله ﷺ، ويزعم أن روح الرسول ﷺ حلت في جسمه، وهو يحكي عن الله، كما كان رسول الله ﷺ يحكي عن الله سبحانه وتعالى.

ومن ذلك أيضاً في وقتنا هذا شخص في السنغال، أو في البرتغال يقال له: إبراهيم إنياس[٢]، فهو قد توفي، وقد اجتمعت به، وحادثته، وعرفته.

كان له قصائد يقول فيها:

ومن أحبني ومن رآني فجنة الخلد بلا بهتان

فمجرد أنك تراه ووقع بصرك عليه - وإن كنت من أضل الناس - فأبشر بالجنة، فكان أفضل من الرسول ﷺ.

ويقول أيضاً: "إن الذين يحجون إلى مكة، ويأتونها من كل حدب وصوب ما جاؤوا إلا ليشموا شذاي وريحي؛ لأنهم يتبركون بذلك، وهو أنفع لهم من كل شيء"، ولهذا يقول:

---

(١) سبقت ترجمته(ص٤٨٦).

(٢) هو: إبراهيم بن عبد الله إنياس بن محمد الكولخي السنغالي، مجدد الطريقة التجانية في القرن الرابع عشر، ولد في السنغال سنة ١٣٢٠هـ، نشأ في بيئة تيجانية، وانهالت عليه في شبابه إجازات كثيرة من مشايخ التجانية، وصار أكبر دعاة التجانية، وأعلن عام ١٣٤٨هـ بأنه صاحب الفضية التجانية الذي بشر به أحمد التيجاني، استقر عام ١٣٥٤هـ في مدينة كولخ السنغالية، وجعلها قاعدة له، وكان نائباً لرئيس رابطة العالم الإسلامي، والعضو الثاني في المجلس التأسيسي لها، له مؤلفات منها: السر الأكبر، وكاشف الإلباس، وله دواوين شعرية، وتوفي في لندن سنة ١٣٩٥هـ.
انظر إبراهيم إنياس السنغالي، حياته ة آراؤه وتعاليمه لمحمد الطاهر ميغري.

وما قطعوا الشرق والغرب بغتة   إلى مكة إلا لشم شذائيا

وله أتباع كثيرون، وقد تزوج نحو خمسين امرأة ـ قبحه الله ـ ، فقلت له: بلغني أنك تزوجت خمسين امرأة. فقال: لم أتزوجهن، ولكنهن ملك يمين. فقلت له: وكيف؟! فقال: إن الرجال الذين فيهم خير يهدون إليَّ بناتهم فأتزوجهم، فقلت له: وهل كانوا بذلك إماءً، وهل يجوز؟!. فسكت.

ومنهم من يدعو إلى طريقة النقشبندي، وأمثالهم كثير وكثير من المبتدعة، والفرق، والطوائف التي انحرفت. وخرجت عن الصراط المستقيم"(١).

ويقول الشيخ ابن حميد -رحمه الله- في " فتاوى في العقيدة " مبيناً أن الطرق الصوفية كلها طرق مبتدعة لا أصل لها (٢)

السؤال (٢٩): بعض الصوفية يقولون: عندنا طرق كثيرة لا يعدها ولا يحصيها إلا الله، كالطريقة القادرية، والأحمدية، والصالحية، والرفاعية، والتيجانية، والرحمانية، ويزعمون أنها كلها من عند الله ورسوله ﷺ، ولا نجاة في الآخرة إلا من سلك إحدى هذه الطرق، فهل هذا صحيح؟

الجواب: هذه كلها طرق مبتدعة، لا أصل لها، ولا خير فيها، فكيف توصل إلى الله، هذه طريقة التيجاني، يقول: إن قراءة ورده الذي ألَّف هو خير من قراءة القرآن بستة آلاف مرة، فهل هذا معقول؟ ويقول: إن أصحابه أفضل من أصحاب رسول الله ﷺ ، وله من الخرافات، والترهات التي لا أصل لها، بل الطريق المنجي هي طريقة رسول الله ﷺ وأصحابه، لا طريقة النقشبندية، ولا الرفاعية، ولا التيجانية، ولا الختمية، ولا غيرهم، بل الطريقة هي طريقة رسول الله ﷺ ، قال ﷻ: M 1 2 3 4 5 6 7 8 9
: ; = < ? L(٣). هذا القرآن أنزله الله ﷻ لعباده تبياناً ورحمة، وهدى، وشفاء

---

(١) شرح كتاب التوحيد لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد -رحمه الله- ، (تحت الطباعة).

(٢) المرجع السابق، (ص ١٣٧- ١٣٨).

(٣) سورة الأعراف، (آية : ٣).

وبرهاناً ونجاة في الآخرة، لمن عمل به وتمسك به، فالطريق الصحيح الموصل إلى الله هو القرآن والسنة. قال الله ﷻ: M قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا ´ µ ¶ ¸ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ L [1]، ثم قال الله ﷻ: M J K L M N P Q R S T U V X Y Z [\ L [2]. هذا صراط الله الذي يجب اتباعه والأخذ به هو المنجي من الهلاك، والمنجي من النار، والموصل إلى الجنة، لا طريقة التيجاني، ولا الرفاعي، ولا فلان، ولا فلان.

أما عن التيجانية، وقبل التعرض لجهود الشيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله- في الرد على التيجانية، نتعرف على ما يلي:

التيجانية: فرقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي ﷺ مقابلة مادية، واللقاء به لقاءً حسيًّا في هذه الدنيا، وأن النبي ﷺ قد خصهم بصلاة (الفاتح لما أُغلق) التي تحتل لديهم مكانة عظيمة[3].

•المؤسس هو: أحمد التيجاني.

- حفظ القرآن الكريم، ودرس شيئاً من الحيَل.

- درس العلوم الشرعية، وارتحل متنقلاً بين فاس، وتلمسان، وتونس، والقاهرة، ومكة والمدينة، ووهران.

- أنشأ طريقته عام (١١٩٦هـ) في قرية أبي سمغون، وصارت فاس المركز الأول لهذه الطريقة، ومنها خرجت دعوته لتنتشر في أفريقيا بعامة.

---

(١) سورة الأنعام (آية: ١٥١).

(٢) سورة الأنعام (آية: ١٥٣).

(٣) الموسوعة الميسرة، مرجع سابق (ص ٢٨٥ – ٢٩٠).

ـ أبرز آثاره التي خلَّفها لمن بعده زاويته التيجانية في فاس، وكتابه (جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني) الذي قام بجمعه تلميذه علي حرازم.

أشهر رجالها بعد المؤسس:

ـ علي حرازم أبو الحسن بن العربي برادة المغربي الفاسي، وقد توفي في المدينة النبوية.

ـ محمد بن المشري الحسني السابحي السباعي (ت١٢٢٤هـ) صاحب كتاب (الجامع لما افترق من العلوم)، وكتاب (نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء).

ـ أحمد سكيرج العياشي ١٢٩٥ ـ ١٣٦٣هـ ، ولد بفاس، ودرس في مسجد القرويين، وعين مدرسًا فيه، تولى القضاء، وزار عددًا من مدن المغرب، وله كتاب (الكوكب الوهاج) ، وكتاب (كشف الحجاب عمن تلاقى مع سيدي أحمد التيجاني من الأصحاب).

ـ عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي السنغالي: ولد سنة ١٧٩٧م في قرية الفار من بلاد ديمار بالسنغال حاليًّا، تلقى علومه في الأزهر بمصر، ولما رجع إلى بلاده أخذ ينشر علومه بين الوثنيين ، وكانت له جهود طيبة في مقاومة الفرنسيين. وقد كانت وفاته سنة(١٢٨٣هـ)، وخلفه من بعده اثنان من أتباعه، وأهم مؤلفاته (رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم) الذي كتبه سنة (١٢٦١ / ١٨٤٥م).

ـ محمد عبد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم الشريف الحسني التيجاني المصري(١٣١٥ ـ ١٣٩٨هـ) ،وهو رائد التيجانية في مصر، وقد خلف مكتبة موجودة الآن في الزاوية التيجانية بالقاهرة، وله كتاب (الحق والخلق)، وله (الحد الأوسط بين من أفرط ومن فرط)، و(شروط الطريقة التيجانية)، كما أسس مجلة طريق الحق سنة (١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م).

الأفكار والمعتقدات:

• من حيث الأصل هم مؤمنون بالله ﷻ إيمانًا يداخله كثير من الشركيات.

• ينطبق عليهم ما ينطبق على الصوفية بعامة، من حيث التمسك بمعتقدات المتصوفة وفكرهم، وفلسفتهم، ومن ذلك إيمانهم بوحدة الوجود، وإيمانهم بالفناء الذي يطلقون عليه اسم (وحدة الشهود)[(١)]

• يقسمون الغيب إلى قسمين: غيب مطلق استأثر الله بعلمه، وغيب مقيد، وهو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض. ورغم أن هذا في عمومه قد يشاركهم فيه غيرهم من المسلمين، إلا أنهم يتوسعون في نسبة علم الغيب إلى مشايخهم.

- يزعمون بأن مشايخهم يكشفون عن بصائرهم، فهم يقولون عن شيخهم أحمد التيجاني: (ومن كماله نفوذ بصيرته الربانية، وفراسته النورانية التي ظهر بمقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب، وفي غيرها إظهار المضمرات، وإخبار بمغيبات، وعلم بعواقب الحاجات، وما يترتب عليها من المصالح، والآفات وغير ذلك من الأمور الواقعات"[(٢)].

• يدعي زعيمهم أحمد التيجاني بأنه قد التقى بالنبي ﷺ لقاءً حسيًّا ماديًّا، وأنه قد كلمه مشافهة، وأنه تعلم من النبي ﷺ صلاة (الفاتح لما أغلق). - صيغة هذه الصلاة: "اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم" ولهم في هذه الصلاة اعتقادات، نسوق منها ما يلي:

- أن الرسول ﷺ أخبر بأن المرة الواحدة منها تعدل قراءة القرآن ست مرات.

- أن الرسول ﷺ قد أخبره مرة ثانية بأن المرة الواحدة منها تعدل من كل ذكر، ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن قراءة القرآن ستة آلاف مرة؛ لأنه كان من الأذكار.[(٣)]

- أن الفضل لا يحصل بها إلا بشرط أن يكون صاحبها مأذوناً بتلاوتها، وهذا يعني تسلسل نسب الإذن حتى يصل إلى أحمد التيجاني الذي تلقاه عن رسول الله ﷺ - كما يزعم.

---

(١) انظر جواهر المعاني١/٢٥٩، انظر كذلك "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، دار الفكر، بيروت، ط١٢، ١٤٠٩هـ" (١/١٩١).

(٢) انظر: الجواهر للهاشمي (١/٦٣).

(٣) انظر: الجواهر، الهاشمي (١/١٣٦).

ـ أن هذه الصلاة هي من كلام الله ـ ﷻ ـ بمنزلة الأحاديث القدسية[١].

ـ أن من تلا صلاة الفاتح عشر مرات ، كان أكثر ثواباً من العارف الذي لم يذكرها ، ولو عاش ألف ألف سنة.

ـ من قرأها مرة كُفِّرت بها ذنوبه ، ووزنت له ستة آلاف من كل تسبيح ، ودعاء ، وذكر وقع في الكون.. إلخ [٢] ، ولهم غير ذلك كثير من العقائد الضالة الفاسدة ، مما لا يتسع المجال لاستيعابها ، وفيما ذكرناه الكفاية للدلالة على فساد معتقدهم.

• نصَّب أحمد التيجاني نفسه في مقام النبوة يوم القيامة إذ قال : "يوضع لي منبر من نور يوم القيامة ، وينادي مناد حتى يسمعه كل من في الموقف : يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كنتم تستمدون منه من غير شعوركم"[٣].

الجذور الفكرية والعقائدية :

• مما لا شك فيه بأنه قد استمد معظم آرائه من الفكر الصوفي ، وزاد عليها شيئًا من أفكاره.

• وقد نهل من كتب عبد القادر الجيلاني[٤] ، وابن عربي ، والحلاج[٥] ، وغيرهم من أعلام المتصوفة.

---

(١) انظر : الدرة الفريدة (٤/١٢٨).

(٢) انظر : كتاب مشتهى الخارف الجاني(٢٩٩ ـ ٣٠٠).

(٣) انظر : الإفادة الأحمدية ، محمد الطيب السفياني (ص ٧٤)

(٤) وقد قال شيخ الإسلام في "مجموع الفتاوى" (٢٧/١٢٧) في الذب عنه : " وَلا رَيْبَ أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ الْقَادِرِ لَمْ يَقُلْ هَذَا ، وَلا أَمَرَ بِهِ ، وَمَنْ يَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ عَنْهُ فَقَدْ كَذَبَ عَلَيْهِ . كان اعتقاده صحيح ، ولكن أتباعه انحرفوا إلى الغلو ، حتى وقعوا فيما وقع فيه غيرهم من الشرك الأكبر ، كما يظهر في قصائدهم وأورادهم. انظر : الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية ، عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، سعيد بن مسفر القحطاني ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م(ص ٦٤٥- ٦٥٣) ، ومعجم الفرق الإسلامية لشريف يحيى(ص١٨٩).

(٥) هو : الحسين بن منصور الحلاج المقتول على الزندقة ، كانت له بداية جيدة ، وتأله ، وتصوف ، ثم انسلخ من الدين وتعلم السحر ، وأراهم المخاريق ، أباح العلماء دمه ، فقتل سنة إحدى عشرة وثلاث مئة. انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي(٢/٣٠٦). ، لسان الميزان (٢/٣١٤) ، وتاريخ بغداد (٨/١١٢)

• وخلال فترة تشكله قبل تأسيس الطريقة ، قابل عددًا من مشايخ الصوفية ، وأخذ إذناً وأورادًا عنهم ، وأبرز تلك الطرق : القادرية ، والخلوتية.

• واستفاد من كتاب المقصد الأحمد في التعريف بسيدي أبي عبد الله أحمد ، تأليف أبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسيني ، والمطبوع بفاس سنة ١٣٥١هـ.

• كان لانتشار الجهل أثر كبير في ذيوع طريقته بين الناس.

• بدأت هذه الحركة من فاس ، وما زالت تنتشر حتى صار لها أتباع كثيرون في بلاد المغرب ، والسودان الغربي (السنغال) ، ونيجيريا ، وشمالي أفريقيا ، ومصر ، والسودان ، وغيرها من أفريقيا.

• يقدر صاحب كتاب التيجانية ـ علي بن محمد الدخيل الله ـ في عام ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م عدد التيجانيين في نيجيريا وحدها بما يزيد على عشرة ملايين نسمة.

ويتضح مما سبق : أن التيجانيين مبتدعون في عباداتهم ، وكل بدعة ضلالة ؛ لأنهم ذهبوا إلى تخصيص أدعية بذاتها غير واردة في الشرع ، وألزموا الناس بعبادات معينة في أوقات مخصوصة لا تستند إلى أساس ، فضلاً عن أن لهم معتقدات تخرج بمن يعتنقها عن الملة كالقول بالحلول والاتحاد.

يقول الشيخ ابن حميد -رحمه الله- في " درس في معنى التوحيد " [1] : تجد أكثر الناس الآن تنوعت آراؤهم ، واختلفت طرقهم ، هذا بعثي ، هذا إلحادي ، هذا شيوعي ، هذا تيجاني ، هذا نقشبندي ، ألم تكتف بالقرآن والسنة عن هذا كله ، وتسلك مسلك سلفنا الصالح ، مما درج عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم ، فالله ﷻ يقول : K J M L M N L[2] ، وهو مدلول القرآن والسنة ، M P Q R L أي الشُّبه والشهوات M S T U V X Y Z [\ L وهي طريقة فلان

(١) شرح كتاب التوحيد لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد . ~ . ، (تحت الطباعة).

(٢) سورة الأنعام (آية : ١٥٣).

شاذلية، تيجانية، إلحادية، شيوعية، بعثية، ماسونية، بهائية، إلى غير ذلك من هذه الطرق فالله ﷻ يقول : L R Q P O N M L K J I M[1] بل هنا طريق واحد هو الذي يوصل إلى الله ﷻ، وغيرها من هذه الطرق لا شئ، بل هي كلها شر وبلاء ، فالطريق الموصل إلى الله ﷻ هو ما جاءنا به رسول الله ﷺ قال ﷻ: L K J M
L \ [Z Y X V U T S R Q P N M
[2] أي تفردونه بالعبادة، فكل موضع جاء في القرآن بمعنى (اتقوه) أو (اعبدوا) فالمراد به: وحّدوه، كما قال حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وهذه فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكةوالتي ضمت ضمن أعضائها بعضاً من اقران الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ وتتعلق بالطريقة التيجانية [3] :

ورد الطريقة التيجانية، فتوى رقم: (١١٧) :

س: مضمون السؤال أن المدعو عيسى جبريل يرغب في معرفة الكثير مما أنزل الله ـ ﷻ ـ على نبينا محمد ﷺ، ويرجو التكرم بإفادته هل الورد الذي يقوم به التيجانيون والتيجانية صحيح في الإسلام؟ فقد سمع كثيرًا من المدارس الإسلامية تعارضه، والتيجانيون يستعملونه بعد صلاة المغرب ، فهم ينشرون قطعة قماش بيضاء في المسجد ، ويجلسون حولها ، ويتلون لا إله إلا الله ، وكلمتين أخريين معها مئة مرة، ويرجو مساعدته في إيضاح الحق.

ج: حثت الشريعة الإسلامية على ذكر الله ﷻ ، ورغبت في ذلك كثيرًا ، وبينت أنه يحيي النفوس ، وتطمئن به القلوب ، وتنشرح به الصدور، قال الله ﷻ : M**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟**

(١) سورة الأنعام (آية : ١٥٩).

(٢) سورة الأنعام (آية : ١٥٣).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب أحمد بن عبد الرزاق الدويش ، المجلد الثاني ، العقيدة، (ص ٣١٦ - ٣١٩).

: M ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا â بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ L[٢]، وقال النبي ﷺ: " **مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت** "[٣] ، وكما جاء في كتاب الله ﷻ ، وسنة رسوله ﷺ الأمر بالذكر، والترغيب فيه مجملًا ، جاء فيهما مفصلًا ؛ فبَيَّن القرآن أن ذكر الله ﷻ يكون بالقلب ؛ إجلالًا لله، وإعظامًا له، وهيبةً ووقارًا، أو خوفًا منه، ورغبةً إليه خفية وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال، وبيَّن أن الصلاة أعظم ذكرًا لله، وقال الله ﷻ :

ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا L[١]، وقال الله ﷻ

M ! " # $ % & ' (* + , - . 0

1 2 3 4 5 6 7 8 9 L[٤]، وقال الله ﷻ: M d e

f g h i j k l n o p q s t u

v w x y L[٥]، وفي الصلاة القراءة ، والتكبير، والتهليل ، والتسبيح ، والتحميد ، والدعاء، قال ﷻ: M وَٱذۡكُر ´ µ ¶ ¸ وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ L[٦]، وبينت السنة قولية، وعملية أنواع الأذكار ، وأوقاتها ، وكيفيتها، فبينت أذكار الصباح ،والمساء ، والشدة ، والبلاء ، وعند النوم ، واليقظة وعند الأسفار، والعودة منها...... إلخ، وعينت كلماتها وكيفياتها، ففي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : « **رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه** »[٧] ، فمن ذكر الله ـ ﷻ ـ كما جاء في بيان الكتاب والسنة من أنواع الذكر، وأوقاتها، وكيفياتها ، فقد اتبع هدي الله ـ ﷻ ـ وهدي رسوله ﷺ ،وكسب الأجر والمثوبة. ومن غيَّر

---

(١) سورة الأحزاب (آية : ٤١ ـ ٤٢).

(٢) سورة الرعد (آية : ٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٥٣/٥ برقم ٦٤٠٧).

(٤) سورة البقرة (آية : ٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(٥) سورة النساء (آية : ١٠٣).

(٦) سورة الأعراف (آية : ٢٠٥).

(٧) أخرجه البخاري (٢٣٤/١ برقم ٦٢٩)، ومسلم (٧١٥/٢ برقم ١٠٣١).

صيغ الأذكار ، وحرفها ، أو بدّل في كيفياتها ، والتزم فيها كيفيات لم يلتزمها رسول الله ﷺ ، فأطلق ما قيده أو قيد ما أطلقه ، والتزم طريقة في أداء الأذكار لم تعهد زمن رسول الله ﷺ ، ولا في زمن أصحابه ، ولا القرون الثلاثة المشهود لها بالخير ، فقد أساء وابتدع في الدين ما لم يأذن به الله ، وحُرِم الأجر والثواب ، وكان من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ، ومن ذلك ما التزمه بعض أصحاب الطرق كالتيجانية ، من نشر قطعة قماش بيضاء يلتف حولها الذاكرون بلا إله إلا الله ، ونحوها من الأذكار بعد المغرب ، فالذكر مشروع ، وكلمة لا إله إلا الله أفضل ما قاله النبيون ، والذكر بها من أفضل الأذكار ، ولكن التزام نشر الرقعة البيضاء ، والاجتماع حولها ، وتخصيص ما بعد المغرب لذلك الذكر ، وإيقاعه جماعيًا بدعة ابتدعوها ، لم يأذن بها الله ، ولا رسوله ﷺ ، وخير العمل ما كان اتباعا ، وشره ما كان ابتداعًا ؛ لقول النبي ﷺ : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة** »[(١)] ، وقوله : « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »[(٢)] ، ومن ذلك الاجتماع قبل الفجر ، أو بعده ، أو بعد العشاء ؛ للتعبد بأوراد وضعوها من عند أنفسهم ، أو الأذكار بهيآت مزرية وترنحات هي إلى الألعاب والتمثيل أقرب ، وبه أشبه ، ومن ذلك ذكرهم بكلمة (هو) وكلمة (آه) ، وليستا من أسماء الله ، بل الأولى ضمير الغائب ، والثانية كلمة توجع ، فالذكر بهما من البدع المنكرة.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٢٨).

(٢) سبق تخريجه (ص٤١٩).

المبحث الخامس: جهود الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في الرد على القبورية.

- المطلب الأول: تعريف القبورية لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: نشأة القبورية.
- المطلب الثالث : أقوال الشيخ ـ رحمه الله ـ في الرد على القبورية.

المبحث الخامس:

جهود الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في الرد على القبورية.

المطلب الأول: تعريف القبورية لغةً واصطلاحاً:

القبورية لغةً: جمع قبوري ، وهو مصدر صناعي صيغ بإضافة اسم مجموع " قبور " إلى ياء النسبة المردوفة بالتاء.القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شيء، وتطامن ،من ذلك القبر قبر الميت[١].

والقبر : مدفن الإنسان ، وجمعه قبور ، و المقبر المصدر . و المقبرة ، بفتح الباء وضمها موضع القبور . قال سيبويه : المقبرة ليس على الفعل، ولكنه اسم . الليث : و المقبر أيضا موضع القبر ، وهو المقبري و المقبري[٢]

وقد سَوَّغ نسبة القبوري للجمع ـ مع أن له واحداً مستعملاً من لفظه ـ أنه صار (جارياً مجرى العلم، لاختصاصه بطائفة بأعيانهم؛ كأنصاري نسبة إلى الأنصار، وأصولي نسبة إلى علم الأصول؛ لأنه غلب على عِلْم خاص حتى صار كالعَلَم عليه) [٣].

وبذلك يكون إطلاق هذا اللفظ على مُقَدِّسي القبور ، والغلاة فيها سائغاً؛ لأنه قد صار كالعلم عليهم. وأصل القبورية مأخوذ من " القبر " ،وهو مدفن الإنسان إذا مات. وجمعها قبور، والمقبرة: موضع القبور، وجمعها مقابر، وقبرت الميت قبراً إذا دفنته، وأقبرته " بالألف" أمرت أن يقبر، أو جعلت له قبراً [٤].

أما تعريف القبورية في الاصطلاح: القبوري – أو عباد القبور – نسبة للقبور،

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥ / ٤٧).

(٢) لسان العرب (٥ / ٦٨).

(٣) انظر: "شرح التصريح على التلويح" للشيخ خالد الأزهري (٢/٣٣٦)، طبع دار الفكر، بيروت، و"همع الهوامع" للسيوطي (٢/١٩٧)، طبع سنة (١٣٢٧هـ)، بعناية محمد بدر الدين النعساني.

(٤) مادة " قبر" في لسان العرب لابن منظور، طبعة دار الفكر، الطبعة الأولى ، (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

ويُراد بهم : كل طائفة جاوزت الحد في تعظيم المقبور، وقد يكون هذا التعظيم شركاً أكبر، أو من وسائل الشرك.

ووجدت هذه الطوائف في كثير من الأمم، وسلفهم قوم نوح عليه السلام وأول من عُرف بهذا الأمر في الأمة الإسلامية الرافضة في آخر القرن الثالث الهجري[١].

وقد دأب العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ على إطلاق وصف " القبورية " على الغلاة في تعظيم القبور ، وتقديسها ، والاعتقاد فيها ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله ـ عز وجل ـ ، وقصدها بأنواع العبادات والقربات، ودعاء أربابها من دون الله سبحانه وتعالى[٢].

وسأنقل طائفة من عباراتهم في ذلك: فمنهم العلامة البدر محمد بن إسماعيل الأمير– رحمه الله –[٣] حيث قال في كتابه الشهير "تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد": (والنذر بالمال على الميت ونحوه، والنحر على القبر، والتوسل به، وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي

---

(١) الاستغاثة في الرد على البكري، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– ، دراسة وتحقيق: عبدالله بن دجين السهلي، الجزء الأول، ص١٠ . انظر: الاستغاثة في الرد على البكري، وكتاب جهود علماء الحنفية، تأليف د. شمس الدين السلفي الأفغاني، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، الناشر: دار الصميعي ، الرياض.

(٢) القبورية: نشأتها – آثارها – موقف العلماء منها، تأليف الشيخ أحمد بن حسن المعلم، تقديم الشيخ عبد الرحمن الصالح المحمود، والقاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني، والعلامة عبد الرحمن بن عبد الله بكير ، والقاضي العلامة إسماعيل بن علي الأكوع، والعلامة علي بن سالم بن سعيد بكير غيثان، الطبعة الأولى، ربيع الأول، ١٤٢٧هـ، (ص ٢٩ : ٣١).

(٣) هو: علامة اليمن ومجدد علم الحديث بها، البدر المنير محمد بن إسماعيل بن صلاح، الأمير الكحلاني، ثم الصنعاني، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد بكحلان ليلة الجمعة منتصف جمادى الأولى سنة (١٠٩٩هـ) (انظر: هجر العلم (١٨٥٤/٤)) ، ثم ارتحل مع والده إلى صنعاء، وهناك أكب على طلب العلم على أشهر وأفضل علمائها، (ورحل إلى مكة، وقرأ الحديث على أكابر علمائها، وعلماء المدينة، وبرع في جميع العلوم، وفاق الأقران، وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهر بالاجتهاد، وعمل بالأدلة، ونفر عن التقليد، وزيف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية، وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن) (انظر: البدر الطالع (١٣٣/٢)) ، وقد عدد الشوكاني تلك المحن التي وقعت عليه (انظر: البدر الطالع (١١٣/٢- ١٣٦))

كانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً، وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً، وقبراً، ومشهداً، والأسماء لا أثر لها، ولا تُغيّر المعاني) [١].

ومنهم شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني –رحمه الله– أطلق هذا اللفظ في "نيل الأوطار" حيث قال في كتاب الجنائز: (وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يُشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين ـ أو أكثرهم ـ إذا توجهتْ عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكَّأ، وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة) [٢] الخ.

بعد هذه النقول التي مرَّت بنا يتضح لنا أن العلماء يطلقون لفظ القبوريين، ومثله القبورية على الغلاة في أرباب القبور الذين يعتقدون فيهم النفع والضر، ويطلبون منهم حاجاتهم، ويلوذون بهم عند خوفهم، ويقدِّمون لهم أنواعاً من العبادات والقرابين كالدعاء، والنذر، و الذبح، والحلف بهم.ويتلخص من ذلك أن القبورية عند العلماء هم: (طائفة غَلَت في أصحاب القبور، واعتقدت فيهم عقائدَ ضالة حملَتها على تعظيم قبورهم، وآثارهم، والتقرّب إليها بأنواع من العبادات، حتى صيَّرتها أنداداً لله ـ عز وجل ـ).

المطلب الثاني : نشأة القبورية : لقد خلق الله آدم عليه السلام على فطرة التوحيد، واستمر التوحيد فيما بعده عشرة قرون، كما قال ابن عباس رضي الله عنه[٣]، وهذا الذي ذُكر من نشأة الخلق على التوحيد هو ما قرره القرآن والسنة المطهرة.

---

(١) تطهير الاعتقاد (ص٣٧)، ضمن مجموعة رسائل في التوحيد قام على طبعها القاضي عبد الرحمن بن يحيى الأرياني، طبع دار الفكر ببيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣ م) ، وقد كرر هذا المصطلح في الصفحات (٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١) كما أطلقه في كتابه " الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف" (ص ٤٧ ،٥٧)، حققه مجموعة من طلاب العلم بإشراف الشيخ حسن بن علي حسين عواجي، الطبعة الأولى(١٤١٧ هـ- ١٩٩٦م) .

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، الإمام الشوكاني (٤/٩٥)، طبعة مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة ، بدون تاريخ.

(٣) تفسير الطبري (٢٩/٦٢).

أما من القرآن فقوله ﷻ: M فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا © ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ´ ¶ ؤ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ L [(١)] .

فبيَّنت هذه الآية أن الدين الذي أمر الله به الرسول ﷺ هو فطرة الله، فهو ليس جديداً، وإنما هو الذي من أجله خلق الخلق، وفطروا عليه.

وأما من السنة فقول النبي ﷺ: " **كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه** "[(٢)].

فبعد أن استمر التوحيد عشرة قرون ـ كما أخبر به ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ استطاع الشيطان أن يدخل الشرك في بني آدم، وذلك حينما غفلوا عما أوصاهم به الله من عداوة الشيطان لهم بإخراج أبويهم من الجنة، فقام بتجهيز جنوده وأعوانه على بني آدم؛ ليخرجوهم من الإسلام إلى الكفر، ومن النور إلى الظلمات، فاجتالوهم عن دينهم، وأوقعوهم في الشرك، كما قال النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ: "**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**"[(٣)].

وكان ذلك قبل إرسال نوح عليه السلام، فنوح عليه السلام أرسل لإرجاع الناس إلى فطرتهم.

وكان دخول الشياطين على بني آدم لإغوائهم من طريق الغلو في الصالحين، فكانت أول أصنام عبدت على وجه الأرض هي صور وتماثيل لرجال صالحين، أحبهم قومهم، وغلوا فيهم فصوروهم، ثم تدرج بهم الحال حتى عبدهم من بعدهم من دون الله، فجاء نوح عليه السلام يحذرهم من هذا الصنيع، ويدعوهم إلى عبادة الله وحده دون سواه، فأبوا ذلك

---

(١) سورة الروم (آية: ٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (١/٤٦٥برقم ١٣١٩)، ومسلم (٤/٢٠٤٧برقم ٢٢٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (٤/٢١٩٧برقم ٢٨٦٥)

وعاندوا، وأوصى بعضهم بعضاً بعبادة تلك الآلهة، والاستمرار على الإشراك بالله، قال ﷻ: M u v w x y z { | } ~ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا L [١] .

قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: "أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائها، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونُسخ العلم، عبدت"[٢].

ولأجل هذا حذر النبي ﷺ من اتخاذ القبور مساجد، ولعن من فعل ذلك[٣].

المطلب الثالث: جهود الشيخ ابن حميد – رحمه الله – في الرد على القبورية:

لا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبيِّن بطلانها، هذه قاعدة عامة في كل شيء في مسائل العقيدة والتوحيد، وكل مسألة يُحتاج فيها إلى حكم الشرع فإنها في القرآن؛ كما قال ـ ﷻ ـ: M P Q R S T U L [٤] على أحد وجهي التفسير[٥].

---

(١) سورة نوح (آية: ٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/١٨٧٣ برقم ٤٦٣٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي (١٨/٣٠٨).

(٤) سورة الأنعام (آية: ٣٨).

(٥) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٣٥): قوله ـ ﷻ ـ: M P Q R S T U L (الأنعام: ٣٨)، في الكتاب قولان:

أحدهما: أنه اللوح المحفوظ، روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس: ما تركنا شيئا إلا وقد كتبناه في أم الكتاب، وإلى هذا المعنى ذهب قتادة وابن زيد.

والثاني: أنه القرآن، روى عطاء عن ابن عباس: ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم.

فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به الخاص، فيكون المعنى ما فرطنا في شيء بكم إليه حاجة إلا وبيناه في الكتاب، إما نصاً، وإما مجملاً، وإما دلالة؛ كقوله ـ ﷻ ـ: M ? @ A B ....L (النحل: ٨٩)، أي: لكل شيء يحتاج إليه في أمر الدين.) ا.هـ.

وانظر: تفسير الطبري (٧/١٨٨)، وتفسير القرطبي (٦/٤٢٠)، ودرء التعارض (٩/٣٩)، والدر المنثور للسيوطي (٣/٢٦٧)، وروح المعاني للألوسي (٧/١٤٤)، وتفسير السعدي (١/٢٥٥).

وقد قال الشيخ ابن حميد -رحمه الله- معلقاً على قول النبي ﷺ: "لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" قال: إذا كان النهي عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، فقبور غيرهم ممن هم دونهم بطريق الأولى.

وفي هذا يتضح أن بناء المساجد على القبور لم يكن من شريعة رسول الله ﷺ، ولم يكن من الإسلام في شيء"[١].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: (وأما بناء المساجد على القبور ـ وتسمى (مشاهد) ـ فهذا غير سائغ؛ بل جميع الأمة ينهون عن ذلك)[٢].

وكما سبق فقد بين الشيخ ابن حميد -رحمه الله- خطورة بناء المساجد على القبور، أو القبور في المساجد، وذكر مثالاً لذلك بقوله: (إن بناء المساجد على القبور أو دفن القبور في المساجد من المحادة لله ورسوله ﷺ، ومما ينافي ما جاء به النبي ﷺ، وما دعا الناس إليه من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له؛ ومن ذلك المسجد الحسيني وهو في القاهرة، فيزعمون أن الحسين دفن فيه، ويطوفون به، ويصلون؛ ظناً منهم أن لهذا المسجد مزية، ومكانة، ومزيد فضل، بسبب أن الحسين دفن فيه، وهذا من الشرك)[٣].

ثم بين -رحمه الله- كذب قولهم في أن الحسين رضي الله عنه دفن فيه بقوله: "الحسين لم يدفن بهذا المسجد، بل الحسين لم يأت القاهرة، وإنما قُتل رضي الله عنه في العراق ـ كما هو معلوم ـ من كتب السيَر وكتب التاريخ؛ فقيل: إنه دفن في العراق، وحُمل رأسه إلى يزيد بن معاوية في الشام فدفن في المدينة، وقيل: في الشام، وقيل: في عسقلان، بل ذكر العسقلاني شارح البخاري[٤] أن المدفون فيه هو رجل نصراني"[١].

(١) شرح كتاب التوحيد، سماحة الشيخ ابن حميد -رحمه الله- (تحت الطباعة).

(٢) مجموع الفتاوى(٢٤/٣١٨) .

(٣) شرح كتاب التوحيد، سماحة الشيخ ابن حميد -رحمه الله- (ص: ٣٥٣ـ ٣٥٤).

(٤) هو : ابن حجر العسقلاني، عمدة المحدثين، وقدوة المحققين، حافظ العصر، ونادرة الدهر، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الكناني الشافعي، صاحب فتح الباري، والعديد من التصانيف المليحة، توفي سنة اثنتين وخمسين وثمان مئة. انظر: تاريخ البريهي (٣٣٩)، وطبقات المفسرين للداودي (٣٢٩).

ومما ينبغي الحذر منه: إنفاذ وصية الميت بأن يدفن في مسجده، وهذا مما حذر منه ابن حميد -رَحِمَهُ اللَّهُ- بقوله: "... لو أوصى الميت بأن يدفن في مؤخرة مسجده الذي بناه، وأنفق عليه، فوصيته باطلة لا تصح، بل يدفن مع المسلمين؛ حسماً لمواد الشرك، وقطعاً لذرائع الشرك، خشية تدرج الشيطان إلى الغاية التي هي الشرك بالله - عَزَّ وَجَلَّ - "[٢].

وقد ذكر ابن حميد -رَحِمَهُ اللَّهُ- العلة من تحريم الصلاة في المقبرة بقوله: "... وليست العلة هي النجاسة - كما يقوله الحنابلة وغيرهم - فالحنابلة يقولون: إن النهي من الصلاة في المقبرة بسبب النجاسة، وفي كتب المتأخرين أن النهي تعبدي، لا يعرف معناه.

والصحيح أن العلة هي نجاسة الشرك، وذلك أن النبي ﷺ قال: "**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**"[٣]، والناس فهموا منه أنه يحذرهم من اتخاذ قبره ﷺ مسجداً، وأيضاً هناك حديث أم حبيبة رضي الله عنها، وأم سلمة رضي الله عنها لما قالتا للنبي ﷺ عما رأتاه في أرض الحبشة، ومن الكنيسة وما فيها من الصور، فقال النبي ﷺ: "**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح - أو العبد الصالح - بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**"[٤]. هذا هو قبر واحد، ومع هذا أخبر بأنهم شرار الخلق عند

---

(١) شرح كتاب التوحيد، سماحة الشيخ ابن حميد -رَحِمَهُ اللَّهُ-. وأما (بدن الحسين) فبكربلاء بالاتفاق. قال أبو العباس: وقد حدثني الثقات طائفة عن بن دقيق العيد وطائفة عن أبى محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى وطائفة عن أبى بكر محمد بن أحمد بن القسطلاني وطائفة عن أبى عبد الله القرطبي صاحب التفسير كل هؤلاء حدثني عنه من لا أتهمه وحدثني عن بعضهم عدد كثير كل حدثني عمن حدثه من هؤلاء أنه كان ينكر أمر هذا المشهد ويقول: أنه كذب، وأنه ليس فيه قبر الحسين، ولا شيء منه، والذين حدثوني عن ابن القسطلاني ذكروا عنه أنه قال: إنما فيه نصراني. انظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه.(ج ٢٧، ص ٤٩٣). وللمزيد انظر أيضاً: رأس الحسين، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)(ج١، ص١٨٩- ١٩٠).

(٢) شرح كتاب التوحيد، سماحة الشيخ ابن حميد -رَحِمَهُ اللَّهُ- (تحت الطباعة).

(٣) سبق تخريجه، ص: ٤٤٧.

(٤) سبق تخريجه، ص: ٤٤٧.

الله ؛ لأنهم بنوا على قبره مسجداً ؛ فلا فرق بين الواحد، والاثنين، والثلاثة ؛ خلافاً لما في الإقناع، والمنتهى وغيرهما"[١].

وقال الشيخ ابن حميد -رحمه الله- بعد سوقه لأحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد فقال: "أيبقى بعد هذا قول لقائل، أيبقى بعد هذا مقال لقائل، أو يبقى شيء من الإسلام في جعل المقابر مساجد، أو البناء عليها مساجد، بل الأمر واضح كما دلت عليه هذه الأحاديث"[٢].

ومما وضحه -رحمه الله- حكم الصلاة خارج المقبرة إلى جدار المقبرة بقوله: "... لكن لو صلى خارج المقبرة، وبينه وبين المقبرة جدارها المحيط بها، فهذا قد اختلف العلماء فيه ؛ فمن العلماء من جوزوا ذلك ؛ لأنه لم يُصلّ في المقبرة، لا شرعاً ولا عرفاً، ومن العلماء من حرَّموا ذلك، وقالوا: إنه في فناء المقبرة، وقد استقبل جدارها، وهذا الجدار يسمى جدار المقبرة، فهو في الحقيقة صلى في جزء من المقبرة، وهذا هو رأي كثير من العلماء"[٣]، وأيضاً لأن هذا من وسائل الشرك، وقطع وسائل الشرك واجب ؛ فيحرم ذلك.

وقال -رحمه الله- في محبة الصالحين: "نحن نحب الصالحين، وينبغي لنا محبتهم، ونتقرب إلى الله بمحبتهم كما في قوله ﷺ: "**الحب في الله، والبغض في الله، والموالاة في الله والمعادات في الله**"[٤] فنحن نحب الصالحين ؛ لما اتصفوا به من الخير، وما اتصفوا به من الائتمار بأوامر الله، وما اتصفوا به من الابتعاد عما نهى الله، وما قاموا به من الدعوة والخير ؛ فمحبتهم قربة إلى الله.

(١) المرجع السابق، (ص: ٣٦٨ـ ٣٦٩).
(٢) المرجع السابق، (ص: ٣٧٠).
(٣) المرجع السابق، (ص: ٣٦٩ـ ٣٧٠).
(٤) أخرجه البخاري(٥/٢٢٤٦ برقم ٢٥٦٦)، ومسلم (٤/١٩٨٨ برقم ٢٥٦٦).

فلما كانت محبتهم قربة من الله، فهي من الدين، والله ـ ﷻ ـ يقول: M ! " # $ % & ' L [١]، والغلو فيهم يكون بتعظيمهم، ونصرف لهم ما هو حق لله ﷻ، من الاستنجاد بهم، والطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله)[٢].

ونفى -رحمه الله- أن يكون هناك بين الناس وبين الله وسائط يتوسل بهم إلى الله، ورد على من أثبت ذلك، وتشبيهه بالسلطان والوزراء، بأن الوزراء وسطاء عند السلطان؛ وذلك بأن الله لا يرضى أن يكون بينك وبينه أي واسطة ما، بدليل قوله ﷻ: M **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** L [٣].

وأيضاً أن السلطان لا يعلم بوضعك ولا بحاجتك إلا بواسطة هذا الذي وضعته، أما الرب ﷻ فهو يعلم كل شيء، وأصحاب القبور يقولون: إنا لا نصل بأعمالنا إلى الله؛ لأننا قوم مذنبون ومجرمون، بل لا بد لنا من هؤلاء الأولياء ؛ لما لهم من المكانة والمنزلة عند الله، فهم بمنزلة الوزراء للسلطان.

والمحققون أبطلوا هذا، فقالوا: هذا تشبيه فاسد؛ فالله ليس كالسلطان، بل هو الغني، والسلطان يقبل شفاعة ذلك الوزير؛ لحاجته إليه، ولخوفه منه؛ لأن الملك عاجز، ولا قدرة له إلا بوزراء، وهذا الوزير أيضاً محتاج إلى السلطان؛ ليأتي إليه، أما الرب فغني عن هذا كله، فهو سبحانه يقول للشيء كن فيكون؛ فكيف نشبه هذا المخلوق الضعيف الذي هو محتاج إلى الغير بالخالق، العالم، القادر، الغني، الحميد؟!![٤].

وهكذا ، ومما سبق من كلام الشيخ يتبين لنا أن هذا النوع من التوسل غير مشروع؛ لأنه لم يشرعه الله، ولم يرضه لنا.

---

(١) سورة المائدة (من آية : ٧٧).

(٢) الشريط الثاني الوجه الأول القدر (ص: ٨ ـ ٩)، من تفريغ الباحثة.

(٣) سورة البقرة (من آية : ٣١).

(٤)شرح كتاب التوحيد، سماحة الشيخ ابن حميد -رحمه الله- (تحت الطباعة).

لكن هناك توسل مشروع شرعه الله، وارتضاه لنا، يبينه الشيخ -رحمه الله- فيقول [١]:

"فأعظم ما يتقرب به العبد إلى الله، ويتوسل به إليه الإيمان بالله ، وتحقيق مقتضى شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ، وكذلك بقية شرائع الإسلام من صلاة ، وصوم ، وطلب للعلم ،كل هذا إذا ابتُغِي به وجه الله، وهذا هو معنى قول الله ﷻ: M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ L [٢]

ومن أغاليط عبّاد القبور أنهم يقولون: نحن نحب الله أكثر مما نحب الأولياء، فقال -رحمه الله- مبيناً كذبهم، وما هي المحبة الحقيقية؟ كذبوا بقولهم هذا؛ وذلك لأنهم ما داموا يصرفون شيئاً من العبادة لغير الله ، فهم بذلك جعلوا نظيراً لله في المحبة؛ لأن من لازم المحبة الائتمار بأمر المحَب، قال الله ﷻ: M> ? @ A B C D E L [٣] ، هذه هي المحبة الحقيقية، المستلزمة للائتمار بأوامر المحب مع إخلاص العبادة له، أما المحبة باللسان، وتصرف الذي لله لغيره فلا.

أما المحبة الطبيعية فلا يلام أحد عليها ،كمحبة الطعام، والشراب، والأهل، والمال، والأولاد، ولا يقال له: لا يجوز لك أن تحبهم)[٤].

وقال الشيخ ابن حميد -رحمه الله- معلقاً على حديث "**ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**" [٥] ، فقال: "إن هذه الأمة لا بد أن يوجد فيها من يعبد الأوثان، كما وُجِد في مشركي العرب الذين بُعِث فيهم النبي ﷺ ـ وإن سَمَّوا عبادتهم للأوثان بغير عبادة ـ كأن يسموها توسلاً، أو شفاعة، أو وسائط؛

(١) المرجع السابق (ص: ١٢١ ـ ١٢٢).

(٢) سورة المائدة (من آية : ٣٥).

(٣) سورة آل عمران (آية : ٣١).

(٤) شرح كتاب التوحيد، سماحة الشيخ ابن حميد -رحمه الله- (تحت الطباعة).

(٥) أخرجه الأصبهاني في حلية الأولياء(٢/٢٨٩)، والحميدي في الجمع بين الصحيحين(٣/٥٣٥).

فالحقيقة أنها عبادة، والأسماء لا تغير الحقائق، وقد قال البخاري في صحيحه: باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان.

كما هو الواقع في وقتنا هذا، وقبل وقتنا بدهر، ودهور، ودهور، من افتتانهم بالقبور، ودفعهم لها من دون الله، وطلب المدد منها، وسؤالها تفريج الكربات وقضاء الحاجات، وصرف محض حق رب العالمين لها"[١].

وقد حذر الشيخ ابن حميد -رحمه الله- من المؤلفات التي تؤازر أصحاب القبور، ومنها ما ألفه شيخ الأزهر عبد الحليم محمود[٢] وفي ذلك يقول ابن حميد -رحمه الله-: "... فإنه ألف كتاباً في أحمد البدوي، وطلبه الاستشفاع به، والتوسل به، وقال: إني لم أؤلفه حتى ذهبت إليه، واستأذنته في تأليف هذا الكتاب فأذن لي.

انظر إلى هذا الكلام الساقط! وإلى هذه الترهات كيف لعب الشيطان بهؤلاء، مع أنه يُعد من أهل العلم، بل إنه شيخ الأزهر، ومؤلفه موجود مطبوع متداول!!، ويقال: إنه أنفق مالاً كثيراً ببناء قبة على بعض النساك، وأوصى أن يبنى على قبره قبة، ومع الأسف لم تؤثر فيه النصوص البليغة العظيمة "لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" وغيرها، لكن "قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقلِّبها كيف يشاء، وكان من دعاء النبي ﷺ إذا قام يتهجد في الليل وهو ساجد يقول: "**يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**) "[٣].

---

(١) شرح كتاب التوحيد، حكم اتخاذ المساجد على القبور رقم "٧٢" (تحت الطباعة).

(٢) عبد الحليم محمود: أحد شيوخ الأزهر، ولد في ٢ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ الموافق ١٢ مايو ١٩١٠م، بقرية "أبو أحمد مركز بلبيس بمحافظة الشرقية"، وكان أبوه ممن تعلم بالأزهر، لكنه لم يكمل دراسته فيه. التحق بالأزهر سنة ١٩٢٣م، حصل على العالمية سنة ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢م، ثم سافر إلى فرنسا على نفقته الخاصة لاستكمال تعليمه العالي، حيث حصل على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية عن الحارث المحاسبي سنة ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م، توفي يوم الثلاثاء الموافق (١٥ ذو القعدة ١٣٩٧ هـ /١٧ أكتوبر ١٩٧٨م.

(٣) شرح كتاب التوحيد، سماحة الشيخ ابن حميد -رحمه الله-، باب ما جاء في السحر رقم ٥٢ (تحت الطباعة).

إن شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وجماعة من أهل العلم تتابعوا على نقل الإجماع على أن من اتخذ مع الله ـ جل وعلا ـ وسائط يدعوهم، أو يتوكل عليهم ـ فقد كفر إجماعاً[1]. وهذا إجماع أقره عليه علماء الحنابلة[2]، وطائفة من علماء الشافعية، وغير هؤلاء من علماء المذاهب الأخر.

وقد حصلت مناظرة بين الشيخ وبين عالم من علماء إيران ـ مدرس في جامعة قُم ـ يُسمى (السيد محمد) وذلك في المسجد الحرام "في موسم الحج، وفي حشد عظيم تغص بهم حلقة الشيخ من طلبة العلم، والحجاج، وغيرهم في عشر ذي الحجة، كان موضوع الدرس قوله ﷺ: "**أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله**[3]... الحديث" فبين الشيخ معنى كلمة التوحيد، وما أثبتته من إخلاص العبادة لله وحده، وما نفته من عبادة ما سواه، وبيان شروطها، فبينما هو كذلك إذ تقدم هذا العالم ـ من علماء إيران ـ فسأل الشيخ قائلاً: ما تقول في طلب المدد من أهل البيت، وسؤالهم تفريج الكربات، وإغاثة اللهفان؛ نظراً لمكانتهم عند الله، وما لهم من المنزلة السامية؟.

فأجاب فضيلته: بأن هذا هو الشرك بعينه، وهو الذي نفته كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله)، والذي بُعِثت من أجل النهي عنه رسلُ الله.

فقال السيد محمد: "لا أسلم لك هذا؛ حيث إن طلب المدد منهم ليس هو عبادة، وإنما هو شفاعة منهم لي عند الله، فلا يصل إلى حد الشرك".

فرد فضيلته: "هذا هو عين الشرك، وسمه ما شئت أن تسميه، فما دام أن العبد يصرف إلى المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله من تفريج الكربات، وطلب العون من غيره، فهذا هو

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/١٢٤).

(٢) انظر: الإنصاف للمرداوي (١٠/٣٢٧)، والفروع (٦/١٥٨)، وكشف القناع (٦/١٦٨)، ومنار السبيل (٢/٣٥٧).

(٣) سبق تخريجه، ص: ٢٠٥.

الشرك، مع أن الشفاعة لا يجوز طلبها من الأموات، ولا من غيرهم، وإنما تُطلب من الله، فطلب الشفاعة من غيره شرك، كما قال ﷻ: M d e f g L" [(١)].

وما ذكرت عن أهل البيت وغيرهم ـ رضوان الله عليهم ـ من أنهم يملكون الشفاعة، وأن طلب الشفاعة من غير الله ليس شركاً ـ يرده قوله ﷻ: M [\ ] ^ _

` a b c d e f g h i j k l m n o q r s t u

v w x L [(٢)]، فالآية تدل على أن مشركي العرب ما كانوا يعبدون معبوداتهم من دون الله إلا ليقربوهم إلى الله زلفى؛ لأنهم يعتقدون النفع والضر فيهم.

فقال المناظر: فهمت هذا كله، ولكن ما تصنع في قوله ﷺ: "لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه رب الحجر"؟[(٣)].

فرد عليه الشيخ: عليك إثبات هذا الحديث، ومن رواه، فإنك لا تستطيع أن تجد له أصلاً، لا في حديث صحيح، ولا ضعيف، ولا باطل.

فاستمرت المناظرة ثلاث ليال متوالية، ثم انتهت باعتراف المناظر، وتسليمه على مرأى ومسمع من الآلاف العظيمة من الحجاج في المسجد الحرام بأن ما قاله الشيخ هو الحق، وقد

---

(١) سورة الزمر (من آية: ٤٤).

(٢) سورة الزمر (من آية: ٣).

(٣) قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: إنه كذب، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: إنه لا أصل له، وأقرهما الحافظ السخاوي في "المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة" (١٩٥- ١٦٠) ولا يمكن أن يكون حكمة من حكم العرب، إلا أن يكون للعرب المشركين لما فيه من تأييد ظاهر لوثنيتهم المعروفة التي إنما بعث رسول الله ـ ﷺ- لتحطيمها، وإنقاذ أصحابها منها إلى نور التوحيد الخالص من أوضارها M r s t u v w x

y z { | } ~ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي © وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾ L سورة يونس، الآية: ١٨، .قاله الألباني (مجلة المسلمون (٦/ ٢٩٣ – ٢٩٤))، وكذلك الحديث أورده الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (برقم ٤٥٠، وقال: إنه موضوع).

لمس الحضور انقطاع حججه، وعجزه عن تأييد رأيه، ومدَّ المناظر يده، وقبَّل رأس الشيخ، وشكره عدد من الحضور القريبين منه، ورجا الشيخ أن يقبل منه هدية.

فقال الشيخ: إنني أقبل هديتك بشرط أن أثيبك عليها بهدية مثلها"[١].

لقد أبطل الله ما يتعلق به عباد القبور من أربعة أوجه، وذلك في قوله ﷻ: V M
h g f e d c b a ` _ .] \ [Z Y X W
.[٢] L r q p o m l k j

قال الشيخ ابن حميد –رحمه الله–: V M W X Y Z [\
.[٣] L]

"**أولاً**: قوله ﷻ: V M W X Y Z [\ ] L، أي أن هذا الميت الذي أنت تدعوه، وتذبح له، وتنذر له، وتستغيث به، وتطلب منه المدد - ما يملك ولا قطمير، وهو اللفافة الرقيقة التي تكون على نواة التمر، فإذا كان لا يملكها فكيف يستطيع أن يجلب لك النفع، أو يدفع عنك الضرر؟!.

ثانياً: قوله ﷻ: M _ ` a b c L أي أن المدعوين من دون الله لا يسمعون دعاء من دعاهم، فدعاء عبد القادر الجيلاني، أو غيره، لو دعاهم أحد فإنهم لا يسمعونه.

ثالثاً: قوله ﷻ: M d e f g h L، و(لو) على سبيل الفرض، والتقدير أنهم إن سمعوا، فإنهم لا يستطيعون أن يجيبوكم بأن يجلبوا لكم نفعاً، أو يدفعوا عنكم ضرراً.

رابعاً: قوله ﷻ: M j k l m L أي: أن الأموات المدعوين من دون الله يتبرؤون من عابديهم، كما في قوله ﷻ: M o p q r s t u v w
x y z L[١]، والآيات والأحاديث في هذا كثيرة"[٢].

---

(١) الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد، مجلة الدارة، العددان الثالث والرابع (ص: ٦٧ ـ ٦٨).

(٢) سورة فاطر (آية: ١٣ ـ ١٤).

(٣) سورة فاطر (آية: ١٣).

المبحث السادس:
جهود الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في الرد على القاديانية.

(١) سورة البقرة (من آية: ١٦٦).

(٢) الشريط الثاني الوجه الأول، شرح نواقض الإسلام (ص: ٣)، من تفريغ الباحثة.

المبحث السادس:

جهود الشيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله- في الرد على القاديانية.

تنتسب هذه الطائفة إلى غلام أحمد مرزا القادياني[1]، وهو من الهند، وكان هذا الرجل حليفاً للإنجليز، وقد قاموا بدعمه ودعم أتباعه مادياً، ومعنوياً.

وقد أتى بعقائد تخالف الشريعة الإسلامية مخالفةً صريحة، بل وتهدم الإسلام من أساسه، ومع ذلك ظل يدعي أنه مسلم، بل ادعى أن إسلامه هو الإسلام الصحيح.

وقد انتشرت دعوته في الهند وباكستان إلى أن دخلت في بلاد العرب وأفريقيا، حتى إن المتمسكين بها في أفريقيا يسمون أنفسهم بالأحمدية نسبة إلى النبي ﷺ؛ من أجل التمويه على المسلمين ليتبعوهم[2].

حكم القاديانية والانتماء إليها:

وهذا بيان من المجمع الفقهي الذي كان يترأسه الشيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله- هذا نصه: (الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. وبعد: فقد استعرض مجلس المجمع الفقهي موضوع الفئة القاديانية، التي ظهرت في الهند في القرن الماضي(التاسع عشر الميلادي)، والتي تسمى أيضًا (الأحمدية)، ودرس المجلس نحلتهم التي قام بالدعوة إليها مؤسس هذه النحلة، ميرزا غلام أحمد القادياني ١٨٧٦م مدعيًا أنه نبي يوحى إليه، وأنه المسيح الموعود، وأن النبوة لم تختم بسيدنا

---

(١) كان ميرزا غلام أحمد القادياني ١٨٣٩-١٩٠٨م أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية. وقد ولد في قرية قاديان من بنجاب في الهند عام ١٨٣٩م، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن، وهكذا نشأ غلام أحمد وفياً للاستعمار، مطيعاً له في كل حال، فاختير لدور المتنبئ؛ حتى يلتف حوله المسلمون، وينشغلوا به عن جهادهم للاستعمار الإنجليزي. وكان للحكومة البريطانية إحسانات كثيرة عليهم، فأظهروا الولاء لها. انظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح (٣٨/١).

(٢) انظر: القاديانية؛ لإحسان إلهي ظهير، (ص: ١ ـ ٢)، ، والقاديانية والاستعمار الإنجليزي، للسامرائي ص: (٥ ـ ٦)، والقاديانية وخطرها على الإسلام، لزاهدي (ص: ٥ ـ ٧).

محمد بن عبد الله رسول الإسلام ــ ﷺ ــ (كما هي عليه عقيدة المسلمين بصريح القرآن العظيم والسنة)، وزعم أنه قد نزل عليه، وأوحى إليه أكثر من عشرة آلاف آية، وأن من يكذبه كافر، وأن المسلمين يجب عليهم الحج إلى قاديان، لأنها البلدة المقدسة كمكة والمدينة، وأنها هي المسماة في القرآن بالمسجد الأقصى، كل ذلك مصرح به في كتابه الذي نشره بعنوان (براهين أحمدية) وفي رسالته التي نشرها بعنوان (التبليغ). واستعرض مجلس المجمع أيضًا، أقوال وتصريحات ميرزا بشير الدين بن غلام أحمد القاديانى وخليفته، ومنها ما جاء في كتابه المسمى (آية صداقت) من قوله: إن كل مسلم لم يدخل في بيعة المسيح الموعود (أي والده ميرزا غلام أحمد) سواء سمع باسمه أو لم يسمع ــ هو كافر ، وخارج عن الإسلام (الكتاب المذكور صفحة ٣٥). وقوله أيضًا في صحيفتهم القاديانية (الفضل) فيما يحكيه هو عن والده غلام أحمد نفسه أنه قال: إننا نخالف المسلمين في كل شيء: في الله، في الرسول ﷺ ، في القرآن، في الصلاة، في الصوم، في الحج، في الزكاة، وبيننا وبينهم خلاف جوهري في كل ذلك. صحيفة (الفضل) في ٣٠ من تموز (يوليو) ١٩٣١م. وجاء أيضًا في الصحيفة نفسها(المجلد الثالث) ما نصه [١]: إن ميرزا هو النبي محمد. زاعمًا أنه هو مصداق قول القرآن حكاية عن سيدنا عيسى عليه السلام: L 8 7 6 5 4 3 2 M [٢]

واستعرض المجلس أيضًا، ما كتبه ونشره العلماء ، والكتاب الإسلاميون الثقات عن هذه الفئة القاديانية الأحمدية ؛ لبيان خروجهم عن الإسلام خروجًا كليًّا، وبناءً على ذلك اتخذ المجلس النيابي الإقليمي لمقاطعة الحدود الشمالية في دولة باكستان قرارًا في عام ١٩٧٤م بإجماع أعضائه، يعتبر فيه الفئة القاديانية بين مواطني باكستان أقلية غير مسلمة، ثم في الجمعية الوطنية (مجلس الأمة الباكستاني العام لجميع المقاطعات) وافق أعضاؤها بالإجماع أيضًا على اعتبار فئة القاديانية أقلية غير مسلمة.

---

(١) كتاب إنذار الخلافة ،ميرزا بشير الدين غلام أحمد القادياني، (ص١٢).

(٢) سورة الصف (آية : ٦).

يضاف إلى عقيدتهم هذه، ما ثبت بالنصوص الصريحة من كتب ميرزا غلام أحمد نفسه، ومن رسائله الموجهة إلى الحكومة الإنكليزية في الهند، التي يستدرها، ويستديم تأييدها وعطفها ، من إعلانه تحريم الجهاد، وأنه ينفي فكرة الجهاد؛ ليصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية المستعمرة في الهند؛ لأن فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهَّال المسلمين، تمنعهم من الإخلاص للإنكليز.

ويقول في هذا الصدد ما نصه[1]: أنا مؤمن بأنه كلما ازداد أتباعي، وكثر عددهم، قَلَّ المؤمنون بالجهاد؛ لأنه يلزم من الإيمان بأني المسيح، أو المهدي - إنكار الجهاد [2]. وبعد أن تداول مجلس المجمع الفقهي في هذه المستندات وسواها من الوثائق الكثيرة، المفصحة عن عقيدة القاديانيين، ومنشئها، وأسسها ، وأهدافها الخطيرة في تهديم العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتحويل المسلمين عنها تحويلاً وتضليلاً، قرر المجلس بالإجماع: اعتبار العقيدة القاديانية المسماة أيضًا بالأحمدية، عقيدة خارجة عن الإسلام خروجًا كاملاً، وأن معتنقيها كفار مرتدون عن الإسلام، وأنَّ تظاهُر أهلها بالإسلام ؛ إنما هو للتضليل والخداع، ويعلن مجلس المجمع الفقهي أنه يجب على المسلمين حكومات، وعلماء، وكتاب ، ومفكرين، ودعاة ، وغيرهم مكافحة هذه النحلة الضالة ، وأهلها في كل مكان من العالم ... وبالله التوفيق)[3].

وهذا بيان آخر من المجمع الفقهي بشأن هذه الطائفة، هذا نصه:

---

(١) ميرزا بشير الدين غلام أحمد القادياني ، ملحق كتابه شهادة القرآن ، الطبعة السادسة، (ص١٧).

(٢) انظر : رسالة الأستاذ الندوي ، نشر الرابطة، (ص٢٥).

(٣) قرارات مجلس المجمع الفقهي المنعقد في مكة المكرمة في الفترة من ١٠شعبان ١٣٩٨هـ - إلى ١٧ شعبان ١٣٩٨هـ (ص: ٣٧ - ٣٨)، انظر : فتاوى المجامع الفقهية ، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السنة الثالثة ، العدد التاسع، ١٤١١هـ(ص١٧٤- ١٧٦).

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه. قرار رقم: (٤) بشأن القاديانية[1].

أما بعد: فإن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الثاني بجدة من ١٠ / ١٦ ربيع الثاني ١٤٠٦هـ / ٢٢ / ٢٨ ديسمبر١٩٨٥م.

بعد أن نظر في الاستفتاء المعروض عليه من "مجلس الفقه الإسلامي في كيبتاون بجنوب إفريقيا" بشأن الحكم في كل من (القاديانية)، والفئة المتفرعة عنها التي تدعي (اللاهورية) من حيث اعتبارهما في عداد المسلمين أو عدمه، وبشأن صلاحية غير المسلم للنظر في مثل هذه القضية.

وفي ضوء ما قُدِّم لأعضاء المجمع من أبحاث ، ومستندات في هذا الموضوع عن (ميرزا غلام أحمد القادياني الذي ظهر في الهند في القرن الماضي ، وإليه تنتسب نحلة القاديانية واللاهورية.

وبعد التأمل فيما ذُكِر من معلومات عن هاتين النحلتين ، وبعد التأكد من أن (ميرزا غلام أحمد) قد ادعى النبوة بأنه نبي مرسل يوحى إليه ، وثبت عنه هذا في مؤلفاته التي ادعى أن بعضها وحي أُنزِل عليه ، وظل طيلة حياته ينشر هذه الدعوى، ويطلب إلى الناس في كتبه وأقواله الاعتقاد بنبوته ورسالته، كما ثبت عنه إنكار كثير مما عُلم من الدين بالضرورة كالجهاد.

وبعد أن اطلع المجمع (أيضاً) على ما صدر عن (المجمع الفقهي بمكة المكرمة) في الموضوع نفسه، قرر ما يلي:

---

(١) مجلة مجمع الفقه الإسلامي، الدورة الثانية لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي، العدد الثاني، الجزء الأول، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ،(ص ٢٣١ – ٢٣٢).

أن ما ادعاه (ميرزا غلام أحمد) من النبوة والرسالة، ونزول الوحي عليه ـ إنكار صريح لما ثبت من الدين بالضرورة ثبوتاً قطعياً يقينياً من ختم الرسالة والنبوة بسيدنا محمد ﷺ ، وأنه لا ينزل وحي على أحد بعده. وهذه الدعوى من (ميرزا غلام أحمد) تجعله وسائر من يوافقونه عليها مرتدين خارجين عن الإسلام. وأما (اللاهورية) فإنهم كالقاديانية في الحكم عليهم بالردة، بالرغم من وصفهم (ميرزا غلام أحمد) بأنه ظل وبروز لنبينا محمد ﷺ .

ليس لمحكمة غير إسلامية، أو قاض غير مسلم، أن يصدر الحكم بالإسلام أو الردة، ولاسيما فيما يخالف ما أجمعت عليه الأمة الإسلامية من خلال مجامعها وعلمائها، وذلك لأن الحكم بالإسلام أو الردة، لا يقبل إلا إذا صدر عن مسلم عالم بكل ما يتحقق به الدخول في الإسلام، أو الخروج منه بالردة، ومدرك لحقيقة الإسلام أو الكفر، ومحيط بما ثبت في الكتاب والسنة والإجماع: فحكم مثل هذه المحكمة باطل. والله أعلم

وهذه بعض الفتاوى التي صدرت بحق هذه الطائفة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء :

الفتوى رقم (١٦١٥)(١) :

س ــ ما حكم الدين الجديد وأتباعه ؛ يعني ديناً يقال له : الأحمدية ، يحذر دعاته الناس من الاحتفاظ سواء بشيء من آيات قرآنية أو من أسماء الله ويحرمون الصلاة على النبي ﷺ ، وأين منشأ هذا الدين ؟ ومتى؟ ، وما الحكم فيمن يرغبون عنه ؟

ج ــ لقد صدر الحكم من حكومة الباكستان على هذه الفرقة بأنها خارجة عن الإسلام ، وكذلك صدر من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة الحكم عليها بذلك ، ومن مؤتمر المنظمات الإسلامية المنعقد في الرابطة في عام ١٣٩٤هـ ، وقد نشر رسالة توضح مبدأ هذه الطائفة، وكيف نشأت، ومتى، إلى غير ذلك مما يوضح حقيقتها ، والخلاصة : أنها طائفة

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب أحمد بن عبد الرزاق الدويش ، المجلد الثاني ، العقيدة (ص ٣١١ - ٣١٢).

تدعي أن مرزاً غلام أحمد الهندي نبي يوحى إليه، وأنه لا يصح إسلام أحد حتى يؤمن به، وقد أخبر الله سبحانه في كتابه الكريم أن نبينا محمداً ﷺ ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[1] ، وأجمع علماء المسلمين على ذلك ، فمن ادعى أنه يوجد بعده نبي يوحى إليه من الله ﷻ فهو كافر ؛ لكونه مكذباً لكتاب الله ﷻ ، ومكذباً للأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ الدالة على أنه خاتم النبيين ومخالفاً لإجماع الأمة. وبالله التوفيق . وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

فتوى رقم (٤٣١٧) [2]

س : أرجو التكرم ببيان حكم الإسلام في جماعة القاديانية ونبيهم المزعوم غلام أحمد القادياني ، كما أرجو التفضل بإرسال أي من الكتب التي تبحث في هذه الجماعة حيث إنني من المهتمين بدراستها ؟

ج : ختمت النبوة بنبينا محمد ﷺ فلا نبي بعده ؛ لثبوت ذلك بالكتاب والسنة ، فمن ادعى النبوة بعد ذلك فهو كذاب ، ومن أولئك غلام أحمد القادياني ، فدعواه النبوة لنفسه كذب وما زعمه القاديانيون من نبوته فهو زعم كاذب . وقد صدر قرار من مجلس هيئةكبار العلماء بالمملكة باعتبار القاديانيين فرقةكافرة من أجل ذلك.

وبالله التوفيق . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

أما السؤال الثالث من الفتوى رقم (٨٥٣٦)[3]

س : ما الفرق بين المسلمين والأحمديين ؟

---

(١) سورة الأحزاب (الآية : ٤٠) .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب أحمد بن عبد الرزاق الدويش ، المجلد الثاني ، العقيدة ، ص ٣١٣.

(٣) المرجع السابق ، (ص ٣١٤).

ج : الفرق بينهما : أن المسلمين هم الذين يعبدون الله وحده ويتبعون رسوله محمداً ﷺ ويؤمنون بأنه خاتم الأنبياء ليس بعده نبي ، أما الأحمديون الذين هم أتباع مرزاً غلام أحمد فهم كفار ليسوا مسلمين ؛ لأنهم يزعمون أن ـ مرزاً غلام أحمد ـ نبي بعد محمد ﷺ ، ومن اعتقد هذه العقيدة فهو كافر عند جميع علماء المسلمين لقول الله سبحانه : ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا** ﴾[1]، ولما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((**أنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي**))[2] وبالله التوفيق . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وكذلك ترأس الشيخ رحمه الله المجمع الفقهي ، وأصدروا فتوى عن البهائية (شقيقية القاديانية)، وهذا نصه:

(الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد: فقد استعرض مجلس المجمع الفقهي نِحلة البهائية، التي ظهرت في بلاد فارس (إيران) في النصف الثاني من القرن الماضي، ويَدين بها فئة من الناس، منتشرون في البلاد الإسلامية ، والأجنبية إلى اليوم. ونظر المجلس فيما كتبه ونشره كثير من العلماء، والكتاب، وغيرهم من المطلعين على حقيقة هذه النِّحلة ، ونشأتها ، ودعوتها ، وكتبها ، وسيرة مؤسسها المدعو ميرزا حسين علي المازندراني المولود في ٢٠ من المحرم ١٢٣٣هـ ـ ٢١ من تشرين الثاني/نوفمبر ١٨١٧م ، وسلوك أتباعه، ثم خليفته ابنه عباس أفندي المسمَّى عبد البهاء، وتشكيلاتهم الدينية التي تنظم أعمال هذه الفئة ونشاطها. وبعد المداولة، واطلاع المجلس على الكثير من المصادر الثابتة، والتي يعرضها بعض كتب البهائيين أنفسهم، تبين لمجلس المجمع ما يلي:

---

(١) سورة الأحزاب (الآية : ٤٠).

(٢) أخرجه البخاري(فتح الباري) برقم (٣٥٣٥)، ومسلم برقم (٢٢٨٦ ، ٢٢٨٧) .

أن البهائية دين جديد مخترع، قام على أساس البابية، التي هي أيضًا دين جديد مخترع، ابتدعه المسمى باسم (علي محمد)[1] المولود في أول المحرم ١٢٣٥هـ/ تشرين الأول/أكتوبر ١٨١٩م في مدينة شيراز، وقد اتجه في أول أمره اتجاهًا صوفيًّا فلسفيًّا على طريقة الشيخية، التي ابتدعها شيخه الضال كاظم الرشتي خليفة المدعو أحمد زين الدين الأحسائي، زعيم طريقة الشيخية، الذي زعم أن جسمه كجسم الملائكة نوراني، وانتحل سفسطات وخرافات أخرى باطلة. وقد قال علي محمد بقولة شيخه هذه، ثم انقطع عنه، وبعد فترة ظهر للناس بمظهر جديد أنه هو علي بن أبي طالب، الذي يروى فيه عن الرسول ﷺ أنه قال: "**أنا مدينة العلم، وعلي بابها**"[2].

ومن ثم سمى نفسه «الباب»، ثم ادعى أنه الباب للمهدي المنتظر، ثم قال: إنه المهدي نفسه، ثم في أخريات أيامه ادعى الألوهية، وسمى نفسه الأعلى، فلما نشأ ميرزا حسين علي المازندراني (المسمى بالبهاء) المذكور - وهو معاصر للباب - اتبع الباب في دعوته، وبعد أن حوكم وقتل لكفره وفتنته، أعلن ميرزا حسين علي أنه موصى له من الباب برئاسة البابيين، وهكذا صار رئيسًا عليهم، وسمى نفسه (بهاء الدين). ثم تطورت به الحال حتى أعلن (أن جميع الديانات جاءت مقدمات لظهوره، وأنها ناقصة لا يكملها إلا دينه، وأنه هو المتصف بصفات الله، وهو مصدر أفعال الله، وأن اسم الله الأعظم هو اسم له، وأنه هو المعني برب العالمين، وكما نسخ الإسلام الأديان التي سبقته تنسخ البهائية الإسلام. وقد قام الباب وأتباعه بتأويلات لآيات القرآن العظيم، غاية في الغرابة والباطنية بتنزيلها على ما يوافق دعوته الخبيثة، وأن له السلطة في تغيير أحكام الشرائع الإلهية، وأتى بعبادات مبتدعة يعبده بها أتباعه. وقد تبين للمجمع الفقهي بشهادة النصوص الثابتة عن عقيدة البهائيين التهديمية للإسلام، ولا سيما قيامها على أساس الوثنية البشرية، في دعوى ألوهية

---

(١)علي بن محمد بن علي الهاشمي أبو الحسن العسكري الملقب بالهادي، عاشر الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية، ولد سنة ٢١٤هـ، وتوفي بسامراء سنة ٢٥٤هـ، انظر: فرق الشيعة (ص ٩١- ٩٣)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٧٣)، و الأعلام (٤/ ٣٢٣).

(٢) حديث موضوع ،رواه الحاكم(٣/ ١٢٦/ ١٢٧) عن ابن عباس، و(٣/ ١٢٧) عن جابر، ورواه غيره، وحكم عليه الألباني بالوضع في ضعيف الجامع الصغير(١٣٢٢)، وفي سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة(٢٩٥٥).

البهاء وسلطته في تغيير شريعة الإسلام، يقرر المجمع الفقهي بإجماع الآراء: خروج البهائية، والبابية عن شريعة الإسلام، واعتبارهما حربًا عليه، وكفر أتباعهما كفرًا بواحًا سافرًا لا تأويل فيه. وإن المجمع ليحذر المسلمين في جميع بقاع الأرض من هذه الفئة المجرمة الكافرة، ويهيب بهم أن يقاوموها، ويأخذوا حذرهم منها، لاسيما أنها قد ثبت مساندة الدول الاستعمارية لها لتمزيق الإسلام والمسلمين... والله الموفق[1]).

المبحث السابع:

جهود الشيخ في الرد على بعض الجماعات المعاصرة

موقف الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله من جماعة التبليغ :

شهد العالم الإسلامي ظهور بعض الحركات والجماعات المعاصرة في أوائل هذا القرن، أو في أواخر القرن السابق، كلٌ منها يدّعي الإصلاح والدعوة إلى الإسلام كجماعة الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ، و لم أقف على كلام للشيخ رحمه الله عن جماعة الإخوان المسلمين،وله مواقف من جماعة التبليغ .

وكذلك ما قرره الشيخ/ صالح السحيمي – حفظه الله – حيث قال:"قبل وفاة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله بأربع سنوات أتاه أخ برازيلي، وأصله فلسطيني، انضم إلى جماعة التبليغ، وبقي فيها قرابة ثماني سنوات، فما تركوا بلداً إلا وذهبوا إليه، فخرج من البرازيل وأمه مريضة، وتوفيت في الأردن، وهو لم يزرها؛ لأن جماعة التبليغ كانت تقول له: أنت في جهاد، ولو ذهبت إلى زيارة أمك لحبط عملك.

فهذا الأخ الفلسطيني (إبراهيم) أراد الحج، فقال للجماعة: أنتم حرمتموني من أمي، فلا تحرموني من الحج، فقالوا له: اذهب معنا ــ وكان رئيس الجماعة سعيد أحمد شاه ــ، فجاء

---

(١) قرارات مجلس المجمع الفقهي المنعقد في مكة المكرمة في الفترة من ١٠ شعبان ١٣٩٨هـ ـ إلى ١٧ شعبان ١٣٩٨هـ (ص: ٤٠ ـ ٤١).

مع الوفد عند الشيخ في مكة وكان من صفات الشيخ التريث، وعدم التسرع ـ فأخذوا يعدّون إنجازات جماعة التبليغ في بنجلاديش وبريطانيا ...إلخ، وتجمعاتهم ونشاطاتهم، وهم يريدون بذلك أن يقنعوا الشيخ بأن هذه الجماعة على خير وحق، فقال الشيخ ـ رحمه الله ـ: يا سعيد، العبرة بالانتفاع، وليس العبرة بكثرة الاجتماع.

الأخ إبراهيم سمع الكلمة من الشيخ، وأخذ يرددها، وماذا استفدنا من الإنجازات، فوقع في قلبه التتلمذ على الشيخ ابن حميد فترة تواجده في مكة، وكان إذا ذهب إلى الشيخ يكذب عليهم بأنه يريد زيارة أحد أقاربه، حتى لا يشكُّوا فيه، وقد سمعت كلاماً من الشيخ لم أسمعه من قبل: قال الله، وقال الرسول ﷺ .

فما انقضت أيام الحج إلا وأصبحت هذه الجماعة التي كان ينتمي إليها من أكره الناس إليه، والشيخ أحب الناس إليه. وقال إبراهيم: إنهم علموه الكذب،وإنها عادة عندهم(١).

وعلى هذا جرى الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ في آخر أمره فقد سأله أحد المستفتين فقال: خرجت مع جماعة التبليغ إلى الهند وباكستان وكنا نجتمع ونصلي في مساجد يوجد فيها قبور وسمعت أن الصلاة الذي يوجد فيها قبر باطلة فما رأيكم في صلاتي وهل أعيدها؟ وما حكم الخروج معهم إلى هذه الأماكن ؟

فأجاب: (جماعة التبليغ ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة فلا يجوز الخروج معهم إلا لمن لديه علم وبصيرة في العقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة حتى يرشدوهم وينصحوهم ويتعاونوا معهم على الخير لأنهم نشيطون في عملهم لكنهم يحتاجون إلى المزيد في العلم وإلى من يبصرهم من علماء التوحيد والسنة) أ. هـ (٢).

---

(١) كان اتصال هاتفي بين الباحثة وفضيلة الشيخ صالح السحيمي ـ حفظه الله ـ.

(٢) مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٣٣١/٨) .

الفصل الثاني

موقف الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ من المذاهب المعاصرة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: جهود الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في الرد على الشيوعية.

المبحث الثاني: جهود الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في الرد على الرأسمالية.

تمهيد :

لقد تعددت، وتنوعت الحركات والمذاهب الفكرية المعاصرة التي كانت في زمن الشيخ ـ رحمه الله ـ ، وأكثرها من الحركات الهدامة التي لا تعتمد الاسلام منطلقاً ومنهجاً لها، ولاتراه منهج حياة متكاملة، ومن هذه الحركات :

العلمانية : مصطلح «العلمانية»، هو الترجمة التي شاعت – بمصر والمشرق العربي – للكلمة الإنجليزية (Secularism) بمعنى الدنيوي .. والعالمي .. والواقعي – من الدنيا والعالم والواقع – المقابل «للمقدس» أي الديني الكهنوتي، النائب عن السماء، والمحتكر لسلطتها، والمالك لمفاتيحها، والخارق للطبيعة وسننها، والذي قدس الدنيا قداسة الدين، وثبت متغيراتها – العلمية والقانونية والاجتماعية – ثبات الدين ..[١].

فلما تجاوزت الكنيسة حدود رسالة الروح ومملكة السماء، فاغتصبت السلطة الزمنية ، أضفت على الدنيا قداسة الدين، وثبتت متغيرات الاجتماع الإنساني ثبات الدين، فدخلت بالمجتمعات الأوربية مرحلة الجمود والانحطاط وعصورها المظلمة .. وسادت في تلك الحقبة نظرية «السيف الواحد Theory of One Sword » أي السلطة الجامعة بين الديني والمدني – سواء تولاها « البابوات - الأباطرة» أو الملوك، الدين يوليهم، ويباركهم البابوات – وعرف هذا النظام، في التاريخ الأوربي، بنظرية الحق الإلهي للملوك Divine Right of the Kings[٢].

القومية العربية : ظهرت بدايات الفكر القومي العربي في أواخر القرن التاسع عشر الهجر، وأوائل القرن العشرين متمثلة في حركة تألفت من أجلها الجمعيات، والخلايا في عاصمة الخلافة العثمانية ، ثم في حركة علنية في جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت

---

(١) انظر : (معجم العلوم الاجتماعية) ، وضع مجمع اللغة العربية ، القاهرة سنة ١٩٧٥م (قاموس علم الاجتماع) ، إشراف د. عاطف غيث ، طبعة القاهرة ،سنة ١٩٧٠م. ود. محمد البهي (العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق) (ص٧ ،٨). طبعة القاهرة، سنة ١٩٧٦م .

(٢) انظر: (موسوعة العلوم السياسية) المجلد الأول ، مادة «حق الحكم الإلهي». طبعة جامعة الكويت سنة ١٩٩٤م.

مقرّاتً لها ، ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس سنة ١٩١٢م[1].

الشيوعية: فكرة قديمة، ظهرت في التاريخ أكثر من مرة، فقد جاء عن أفلاطون الأثيني الإغريقي ـ وهذا قبل الميلاد ـ ما يدل على نشأة هذا المذهب، فقد أقام نظاماً في كتابه المسمى ب"الجمهورية" على شيوعية المال والنساء[2].

أما عن موقف الشيخ ـ رحمه الله ـ من القومية العربية:

وقفت الحركات والمذاهب الفكرية المعاصرة من الإسلام موقف العداء ، وهذا بسبب جهل أعضائها ودعاتها بحقيقة الاسلام وتعاليمه حيناً ، أو متابعتهم لأعداء الاسلام أحياناً. فمن المذاهب الفكرية الوافدة التي حذر منها الشيخ ـ رحمه الله ـ دعاة القومية العربية والعلمانية والشيوعية ،ومن يقول بالرأسمالية . فقد كتب الشيخ ـ رحمه الله ـ رسالة أسماها: (الحكم البليغة) يحذر فيها من دعاة القومية العربية.

وقد بدأها الشيخ ـ رحمه الله ـ بذكر قاعدة قالها شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ وهي، أن أي شيء يخرج عن دعوى الإسلام، فهو من الجاهلية:

فقال: (قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: كل ما خرج عن دعوة الإسلام والقرآن من نسب، أو بلد، أو جنس، أو مذهب، أو طريقة ـ فهو من عزاء الجاهلية، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا

---

(1) انظر: أبحاث مختارة في القومية العربية ، ساطع الحصري ، دار القدس ، ١٩٧٤م، ص١٩٩. والقومية العربية امتداد للحركات القومية التي ظهرت في أوربا في القرن الثامن عشر الميلادي بعد إسقاط الكنيسة والإقطاعيين (ولليهود نصيب حيث سيكونون بسبب القومية متساوون مع أفراد قوميتهم ويستطيعوا التغلغل داخل المجتمع الأوربي)، تقوم على ربط الناس على معلم اللغة، والأرض، والتاريخ، والعِرق .. و تقوم على تنحية الدين بل معاداته ؛ لأنه لا يمكن أن يجتمع مع القومية (والسبب الأكبر لأن أكثر مؤسسي القومية هم من غير المسلمين من نصارى ويهود ودروز ورافضة وغيرهم، ونشروا هذه البدعة لإسقاط الخلافة الإسلامية).

(١) مجموع الفتاوى (٣٢٨/٢٨ ـ ٣٢٩).

(2) نقد أصول الشيوعية (ص: ١٨).

للأنصار، قال النبي ﷺ: "**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم**"[١] وغضب لذلك غضباً شديداً. ا.هـ.[٢])[٣] .

ثم قام بذكر أدلة تحذر من التعصب والانتماء للقوميات، بل إنها ترشد إلى التعارف بين الناس بعضهم البعض، وأنه لا تفاضل إلا بالتقوى، فقال: (وقول الرسول ﷺ: "**ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود، إلا بالتقوى**" [٤] صريح في إبطال العصبية الجنسية، وإبطال التفاضل بالألوان؛ فالأسود والأحمر والعربي والعجمي كلهم بنو آدم، خلقهم الله من ذكر وأنثى، كما في قوله ﷻ: M E F G H I J K L M N O Q R S T U W X Y Z L [٥].

وهذه القومية العربية انتقدها الشيخ - رحمه الله - ، وحذر المسلمين منها، وأنها معارضة للأخوة الإسلامية، وذلك في شرحه لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ـ ثلاث مرات ـ بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام :**

---

(١)ضعيف.؟ رواه: الطبري من طريق ابن إسحاق عن شيخ مبهم لم يسمه، والواحدي من مرسل عكرمة.وروى القصة الطبراني عن ابن عباس { من طريق إبراهيم بن أبي الليث؛ قال عنه الهيثمي: ((متروك)).ولكن صحَّ قوله ﷺ: ((ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها؛ فإنها منتنة))، لما ضرب رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! وذلك من حديث جابر رضي الله عنه المتفق عليه.انظر: ((تفسير الطبري)) (٧/٥٥ - شاكر)، ((مجمع الزوائد))(٦/٣٢٦)، ((أسباب النزول)) للواحدي (ص١٤٩)، ((الفتح السماوي)) (١/٣٩٠)، ((اللؤلؤ والمرجان))(٣/١٩٤) (تخريج الكشاف) (٢٩/٢٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٣٢٨ـ ٣٢٩).

(٣) الحكم البليغة لسماحة الشيخ عبد الله بن حميد، رئيس الإشراف الديني بمكة المكرمة، (ص: ١٥).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥/٤١١ برقم٢٣٥٣٦)، وابن المبارك في مسنده(١/١٤٧ برقم٢٣٩)، والبيهقي في شعب الإيمان(٤/٢٨٩ برقم٥١٣٧).

(٥) سورة الحجرات (آية : ١٣).

دمه، وماله، وعرضه"[١]. فقال ـ رحمه الله ـ: هذا الحديث يدل على أن الرابطة بين المسلمين هو الدين الإسلامي، وفيه دليل على إبطال القومية العربية أو ما أشبه ذلك، بل لو قيل الدول الإسلامية أو الأخوة الجامعة الإسلامية، فهي أولى مما يقال: الجامعة العربية، أو القومية العربية؛ لأن في هذا شيئاً من دعوى الجاهلية؛ فالله ﷻ يقول: M **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** L[٢]، ولم يقل إنما العرب إخوة.

وقال النبي ﷺ: "**مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**"[٣]، وقال: "**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**"[٤]، ولم يقل: العرب كالبنيان، وإنما الذي جمع بين الناس الدين الإسلامي، والأخوة الإيمانية؛ فلا فخر لأبيض على أسود، ولا لأحمر على أبيض، الناس بنو آدم، وآدم خلق من تراب، لا فخر إلا بالتقوى، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، كما قاله ﷺ.

بل العربي قد يكون عدوك اللدود، وعدونا اللدود إذا كان منحرفاً عن الدين الإسلامي، ولو كان الأب أو الأخ، قال الله ﷻ: M! " # $ % & '
( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 L[٥].

فالآية تدل على أن عدوك اللدود أبوك، أو أخوك، أو ابنك إذا لم يكن على الدين الإسلامي، بل اعتنق الكفر؛ فعربيته لا تنفعه، كما أن الأعجمي متى دخل في الدين الإسلامي، وتمسك به صار أخانا، هذا رسول الله ﷺ يقول في سلمان الفارسي ـ وهو عبد ـ

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٨٣ برقم ٢٥٥٩).
(٢) سورة الحجرات، (من الآية: ١٠).
(٣) أخرجه مسلم (٤/١٩٩٩ برقم ٢٥٨٦).
(٤) أخرجه البخاري(١/١٨٢ برقم٤٦٧)، و مسلم (٤/١٩٩٩ برقم ٢٥٨٥).
(٥) سورة المجادلة، (من الآية: ٢٢).

: "**سلمان منا أهل البيت**"[١] ؛ لأجل إيمانه وصحبته ، وقال ﷺ : "**نعم العبد صهيب** "[٢]، وهو عبد رومي ، بخلاف عمه أبي لهب ؛ فإنه من صميم العرب ، ومن أشراف قريش ، ومع هذا أنزل الله فيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة M X Y Z [\ ^. _ ` a b c . e f g h. j k l .n o p q r L[٣]

مما يدل على أن الجامع بين المسلمين هو الإسلام والإيمان ، لا القومية العربية ، ولا غيرها من العصبيات التي لا طائل تحتها.

هذا هو الذي جاءت به الشريعة الإسلامية ؛ فإن رجلاً من الأنصار ، ورجلاً من المهاجرين ، كما في صحيح مسلم وغيره : أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار ،

---

(١) أخرجه الطبري في المعجم الكبير(٦/٢١٢ برقم ٦٠٤٠)، والحاكم في المستدرك(٣- ٦٩١ برقم٦٥٤١)، والأصبهاني في معرفة الصحابة(٣/١٣٢٨ برقم٣٣٤٢)، والبيهقي في دلائل النبوة(٣/٤٠٠)، وابن عبد البر في الدرر(١/١٧٠)، والجزري في أسد الغابة(٢/٤٩٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير(٣٢٧٢)، وكان ﷺ من المعمرين . قيل عاش مئتين وخمسين سنة ، وقيل ثلاث مئة وخمسين سنة، والأول أصح . وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه ، ومناقبه كثيرة وفضائله غزيرة وأثنى عليه النبي ﷺ ، ومدحه في كثير من الأحاديث . ومات بالمدائن سنة خمس وثلاثين . روى عنه أنس وأبو هريرة وغيرهما . (متفق عليه) وفي الجامع : "**لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من فارس**" . رواه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة ﷺ، ورواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة ﷺ أيضا، ولفظه : "**لو كان العلم معلقاً بالثريا ، لتناوله قوم من أبناء فارس**".

(٢) السيوطي في جامع الأحاديث (١٣/٤١٥ برقم٣٠) بلفظ نِعْمَ الْعَبْدُ صُهَيْبٌ لَوْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ لَمْ يَعْصِهِ) (أَورَدَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي الْغَرِيبِ وَلَمْ يَسُقْ إسنادُهُ ، وقد ذكرَ المتأخرونَ من الْحُفَّاظِ أَنَّهُمْ لَمْ يَقِفُوا على إِسْنَادِهِ)، وقد نقل في المقاصد عن الحافظ ابن حجر أنه ظفر به في مشكل الحديث لابن قتيبة من غير إسناد، وقال في اللآلئ: منهم من يجعله من كلام عمر.وقد كثر السؤال عنه، ولم أقف له على أصل. وسئل بعض شيوخنا الحفاظ عنه فلم يعرفه، لكن روى أبو نعيم في الحلية بسند ضعيف عن عبدالله بن الأرقم أنه قال: حضرت عمر عند وفاته مع ابن عباس والمسور بن مخرمة فقال عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن سالماً شديد الحب لله ﷻ، لو كان لا يخاف الله ما عصاه، وفي لفظ : " لو لم يخف"، وقال العلامة الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي في الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة : ' نعم العبد صهيب ، لو لم يخف الله لم يعصه ' . لا أصل له.

(٣) سورة المسد (آية : ١ ـ ٥).

فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: "**ما بال دعوى الجاهلية**"[١].

مع أنه قال: يا للمهاجرين، وهو وصف كامل، والآخر يقول: يا للأنصار، مما يدل على أن العصبية الجنسية لا ينبغي أن تحل محل الأخوة الإيمانية، والرابطة الإسلامية[٢].

وهذا رد آخر لسماحته - رحمه الله - على مقالة نُشرت في جريدة القصيم بالعدد ٩٩ وتاريخ ١٣٨١/٦/٦هـ[٣].

من عبد الله بن محمد بن حميد إلى حضرة .... حفظه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

اطلعت على كلمتكم في صحيفة «القصيم» في عددها ٩٥ وتاريخ ١٣٨١/٥/٨هـ تحت عنوان (مبادئنا الأصيلة)، ولعلمي بأن هدفكم الحق، ورائدكم الإصلاح، لاحظت على بعض فقرات فيها أحببت تنبيهكم عليها.

وقد تكررت عبارتك بالدعوة إلى القومية العربية. فنقول: إنه لا دعوة إلا إسلامية، وإن القومية العربية، أو سواها من القوميات متى فارقت الدين، ولم تلتزم بما يجب من تعاليم الدين، ينبغي محاربتها، أو الابتعاد عنها، حتى ترضخ للإسلام وتدين به، وقد قطع الله العلائق والمودة بين المسلم والكافر، ولو كان أقرب قريب، كما قال ﷻ: M ! " #
$ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3
4 5 L[٤].

(١) أخرجه البخاري (١٨٦١/٤ برقم٤٦٢٢)، ومسلم(١٩٩٨/٤ برقم٢٥٨٤).

(٢) شرح كتاب التوحيد، الأدب والبر والصلة، من تفريغ الباحثة (ص: ٣٤٠-٣٤٢).

(٣) الرسائل الحِسان في نصائح الإخوان، مقالات صحفية، اعتنى بنشرها عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، (ص ٢٨ - ٣٢)، (نُشرت في جريدة القصيم بالعدد ٩٩ وتاريخ ١٣٨١/٦/٦).

(٤) سورة المجادلة، (آية: ٢٢).

أما عن موقف الشيخ ـ رحمه الله ـ من العلمانية ، فقد حذر ـ رحمه الله ـ منها ، ومن دعاتها .فقال ـ رحمه الله ـ ذاباً عن الإسلام راداً على دعاة القوانين الوضعية والفصل بين الدين والدولة ، والأمر بضرورة التحاكم إلى الاسلام ، ونبذ القوانين الوضعية البالية ، وعدم الفصل بين الدين والدولة ، وبيان محاسن الاسلام ، وشموله لجميع مناحي الحياة أنه قال[1] :

"لا شك أن الدين الإسلامي دين سماوي لم يكن لأمة من الأمم مثله ، ولا نزل على نبي من الأنبياء نظيره ، إذ هو دين عام مبين لأحوال المجتمع الإسلامي ، بل البشرية عامة وبه كمل نظام العالم. فهو جامع شامل للمصالح الاجتماعية والأخلاقية . فإنه بين الأحوال الشخصية التي بين العبد وبين ربه من صلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج ، وشرع نظافة البدن ــ فأمر بغسل الجنابة ، والجمعة ، والعيدين ــ أو بعضاً منه كالوضوء عند كل فريضة من الفرائض الخمس . وشرع أمور الفطرة من ختان ، وقص شارب ، وتقليم أظفار ، ونتف إبط ، والسواك ، وحلق العانة . كما أرشدنا الإسلام إلى تجميل الثياب ، وأن تكون على أحسن هيئة وأكملها . كما سنَّ ذلك في الجمعة والعيدين ، وهذب الأخلاق ، فأمر بالصدق في المعاملات ، والوفاء بالعقود ، والعهود ، والمواعيد ، وأوجب ترك الذنوب من زنى ، وخمر ، وغيبة ، وقذف ، وسعاية ، وشهادة زور ، وانحراف في الأحكام وتحريم لما أباح الله . وحرم تغيير الأحكام عن وجهها وما أريد بها إلى غير ذلك . وبالجملة فإن الدين الإسلامي جامع روابط الأمة الإسلامية بل هو حياتها تدوم بدوامه وتنعدم إذا انعدم. وهو مفخرة من مفاخرها العظيمة ، ومن خصائصها ، حيث لم يكن لأمة من الأمم قبلنا مثله ، فلو أن المسلمين تمسكوا بأحكام الإسلام ، وتعاليم دينهم كما كان آباؤهم الأماجد ، لكانوا أرقى الأمم ، وأسعد الناس ، ولكن لما انحرفوا وحرفوا تعاليم دينهم ، تنكبوا عن الصراط المستقيم .

---

(١) من رسالة «توجيهات إسلامية» لفضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ـ رحمه الله ـ (ص: ١٨- ٢١).

وبيَّن الإسلام كيف تقام البيوت، وتؤسس العائلات، فندب إلى الزواج، وحث عليه، ورغب فيه، وبين العقود التي تعتبر زواجاً، ووضح شروطها من رضا، وولي، وشهود، وغيرها، وما خالف ذلك فهو سفاح، أو قريب منه، وأمر بسدل الحجاب للنساء؛ صيانة للنسل، وإبعادا للمظنة وراحة لكل ضمير، وبين أحكام الجنايات، كالقصاص في النفس والطرف، وما يشترط لذلك. كما بين ما يلزم لحفظ المجتمع العام من نصب إمام، وشروط استحقاقه للإمامة، وما يجب له من الطاعة، وما يجب عليه من المشورة، والعمل بالشريعة، وإقامة العدل بين أصناف الرعية، ثم إن الإسلام قسم السلطة فجعلها خططا، منها القضاء، فحدد للقاضي خطته من فصل الخصومات، والنظر في أموال غير الرشيد، والحجر على من يستوجبه، إلى غير ذلك، وبين خطة الشاهد، كيف تَحَمّلُ الشهادة وأداؤها، وممن تقبل، وعلى من ترد وأمر بإثباتها، وعدم كتمانها. كما بين خطة المحتسب، ثم بقية الخطط. وبين حكم من خرج عن طاعة الإمام بأن يقاتل حتى يفيء إلى أمر الله - ﷻ -، وبين كيف تعامل الأمم الأجنبية فيما إذا وقع حرب معها، وفي حالة مسالمتها، وأمر بتحسين الجوار، وإقامة الحدود على من أخاف السبيل، وخالف ما أمرت به الشريعة، وبالجملة فقد استقصى هذا الدين الإسلامي العظيم جميع الشؤون الاجتماعية، وبينها أحسن بيان، مما يعجز عن مثله عقلاء البشر، حتى دخل مع الرجل في بيته، وحكم بينه، وبين امرأته وبين ما له عليها من الحقوق، وما لها عليه من مثل ذلك، وبين حكم ما عسى أن يقع بينهما من خلاف في المستقبل. كما حكم الإسلام بين الرجل وبين ولده وبينه وبين نفسه في حياته وبعد وفاته، كأوقافه ووصاياه، وما يصح منها وما لا يصح. وقسم مواريثه، وبين أحكام تغسيله، وتكفينه، ودفنه، كل هذا لأجل أن تنتظم الحياة انتظاماً كاملا، ويعيش المسلم عيشة هنيئة منتظمة؛ ليتمكن معها لإعداد الزاد ليوم المعاد والتأهب لما بعد الموت، فالدين الإسلامي نظام عام للمجتمع البشري الإسلامي، فإنه تام الأحكام، ثابت المباني. دين سماوي، لم يدع شاذة ولا فاذة إلا بينها أحسن بيان، ووضحها أتم إيضاح. وما دخلت الأمم الكثيرة في الإسلام أفواجا أفواجاً، واتسعت دائرة ا لإسلام، فانتشرت الأمة الإسلامية مادةً جناحيها من نهر الفاتح في الهند شرقا إلى أفريقيا، ثم إلى أواسط أوربا في زمن قليل إلا باحترام

الحقوق والعمل بقواعد الإسلام، والتسوية بين طبقات المسلمين ملكهم وصعلوكهم وصغيرهم وكبيرهم فيه على السواء ، فالأمة الإسلامية لا حياة لها، ولا استقامة بدون التمسك بدينها والعمل بأوامره، ونواهيه، فهي دائمة بدوام دينها ،مضمحلة باضمحلاله، ساقطة إذا أهملت تعاليم دينها القويم كما قال بعض أعداء المسلمين . فقد كانت الأمم تقتبس من قواعده وأصوله، وتختاره على كثير من قوانينها الوضعية، فأنصف الإسلامَ كثير من عقلائهم، واعترفوا بأن مدنية أوروبا الحديثة لم تكن إلا بتعاليم الإسلام، والأخذ بقواعده ومبانيه- قال بعض حكماء أوروبا ممن أنصف بأن نشأة مدنيتها الحديثة إنما كانت رشاشاً من نور الإسلام فاض عليها من الأندلس، ومن صفحات الكتب التي أخذوها في حروبهم مع المسلمين في الغرب والشرق.

وفق الله المسلمين للتمسك بدينهم ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وسلم.أ.هـ

وهذا القرار الثاني من قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة برئاسة سماحة الشيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ يناشد حكام الدول العربية والإسلامية بتطبيق الشريعة الإسلامية[1]

جاء فيه : "لقد تدارس مجلس المجمع الفقهي برئاسة سماحة الشيخ **عبد الله بن حميد** واقع الدول العربية والإسلامية المؤلم، وما تعانيه من تفكك، وما ابتليت به من نأي عن الأخذ بأسباب العز والسعادة، وإعراض عن تطبيق الشريعة الإسلامية، وزهد في تعاليمها، وانصياعٍ إلى تطبيق قوانين مستوردة ما أنزل الله بها من سلطان.

وقرر مجلس المجمع أن من أهم واجباته، أن يكتب إلى ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية رسائل، يدعوهم، ويناشدهم فيها إلى أن يبادروا إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، التي تكفل لهم بالتزامها عز الدنيا ، وسعادة الآخرة، ويحصل لهم بالاستمساك بها النصر

(١) رابطة العالم الإسلامي المجمع الفقهي الإسلامي، قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، الدورات: من الأولى إلى السادسة عشرة، القرارات: من الأول إلى الخامس والتسعين (١٣٩٨- ١٤٢٢هـ/ ١٩٧٧- ٢٠٠٢م)(ص٤٩- ٥٢).

على الأعداء، والظفر بالأمن والطمأنينة، والخلاص من المصائب التي يعانون منها، نتيجة لإعراضهم عن تحكيمها، ويتم إرسال هذه الرسائل وفقاً للصيغة المرفقة".

و لم يكتف الشيخ ـ رحمه الله ـ بالرد على دعاة القومية العربية والعلمانية ، بل حذر من الشيوعية ودعاتها ومن يقول بالرأسمالية، وهذا ما سأتناوله بالتفصيل في المباحث التالية:

المبحث الأول :

جهود الشيخ - رحمه الله - في الرد على الشيوعية :

الشيوعية لغةً : هي مأخوذة من مادة شيع.

ولها عدة إطلاقات ؛ فمن إطلاقاتها :

الانتشار، والافتراق، والظهور.

قال ابن منظور : "شاع الشيب شيعاً، وشياعاً، وشيعاناً، وشيوعاً، وشيعوعة، وتشيعاً : ظهر وتفرق"[١].

ومن إطلاقات هذه المادة : التفريق.

قال ابن منظور : "أشعت المال بين القوم، والقدر في الحي : إذا فرقته فيهم"[٢].

ومن إطلاقاتها : العموم. قال ابن منظور : "أشاعكم السلام : أي عمكم"[٣].

ومن إطلاقاتها : الشراكة. قال ابن منظور : "هما متشايعان ومشتاعان في واد وأرض : إذا كانا شريكين فيها"[٤].

وقال الزمخشري في أساس البلاغة : شيعته يوم رحيله ،وشايعتك على كذا تابعتك عليه ،وتشايعوا على الأمر وهم شيعته وشيعه وأشياعه[٥] .

وهذا المذهب يرى (أن الحرية الحقيقية هي حرية العمال في الدفاع عن مكاسبهم وحقوقهم الاقتصادية والاجتماعية في مواجهة سائر الطبقات، وفي الاتحاد مع سائر عمال العالم من أجل الدفاع عن طبقة (البلوروتاريا) أي الطبقة الكادحة وفي الكفاح من أجل الوصول إلى عصر الشيوعية الكاملة، وإلغاء الطبقات، وحين تندثر الطبقات ولا تبقى

(١) لسان العرب لابن منظور (١٩١/٨)

(٢) ابن منظور(١٨٨/٨).

(٣) المرجع السابق(١٩١/٨).

(٤) المرجع السابق (١٩٢/٨).

(٥) الزمخشري ، أساس البلاغة(٣٤٣/١).

سوى طبقة واحدة في المجتمع هي طبقة العمال)[١]

ويمكننا القول بأن الشيوعية : مذهب اقتصادي اجتماعي يقوم في أساسه على القضاء على الملكية الفردية، وتدخل الدولة الفعال في حياة الأفراد، وإخضاعهم لإشرافها وتوجيههم مادياً، وفكرياً.

نشأة الشيوعية: الشيوعية فكرة قديمة، ظهرت في التاريخ أكثر من مرة، فقد جاء عن أفلاطون الأثيني الإغريقي ـ وهذا قبل الميلادـ ما يدل على نشأة هذا المذهب، فقد أقام نظاماً في كتابه المسمى ب"الجمهورية" على شيوعية المال والنساء[٢].

وقال بهذه الفكرة ـ أيضاً ـ مزدك[٣] عام ٤٨٧م، وتسمى حركته بالمزدكية، وظهرت هذه الحركة في بلاد فارس[٤].

وقد ذكر الشيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ قصة مزدك مع ملك فارس[٥]، وكان هذا الملك ضعيفاً، ومزدك قويَ عليه بكثرة أتباعه، فقال: "دخل مزدك يوماً على ملك فارس، وإذا زوجته عنده، وقد لبست أحسن ثيابها، وأجمل حليها، قال مزدك: أيها الملك إن في ظهري نبياً يكون من هذه المرأة ـ يريد أن يجامعها ـ فالملك لم يقدر أن يجامعها ـ قبحه الله ـ ؛

---

(١) نجم ،أحمد حافظ، حقوق الإنسان بين القرآن والإعلان، الكويت، دار الكتاب الحديث للطباعة والنشر، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ٢١.

(٢) سبق التعريف بها (ص: ٥٤٥).

(٣) قيل : هو مزدك ابن ماردا أو مزدق بن يامداد. انظر: الملل والنحل (ج١، ص٢٧٤) ، والتنبيه والرد للملطي ص١٠٧، تاريخ ابن خلدون(ج٢، ص٢٠٨)، تاريخ الطبري(ج١، ص٤٢٢)، والتنبيه والإشراف للمسعودي، ص١٠١، وقد ظهر مزدك في أواخر القرن الخامس الميلادي حوالي سنة ٤٨٧م.

(٤) أصحاب مزدك. وهؤلاء يرون الاشتراك في النساء والمكاسب كما يشترك في الهواء، والطرق، وغيرها انظر: الملل والنحل؛ للشهرستاني (١/٢٤٩ ـ ٢٥٠)، والفرق بين الفرق(١/٢٦٨)، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية(١/١٣٥)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين(١/٨٩)، ومسائل الجاهلية(١/٥٠).

(٥) هذا الملك هو : قباذ بن فيروز بن يزد جرد أحمد ملوك الفرس الساسانيين. وكانت مدة ملكه ثلاثاً وأربعين سنة، عزله الفرس لمتابعته لمزدك الزنديق وقد كان قباذ يظهر الخير ويكره الدماء. انظر: تاريخ الطبري ١/٤٢٠، والمنظم ٢/١٠٦، ومروج الذهب ١/٢٧٣.

لضعفه، فقال له الملك: أنت وذاك، فأمرها أن تقوم معه، فقام مزدك يطلبها بأن تقوم المرأة معه، لكن لها ابن صغير جعل يقبل قدمي مزدك، ويقول: اترك لي أمي، فتركها له، ثم لما مات الملك، تولى ابنه الصغير، وأول شيء عمله أن دعا بمزدك، وقتله وقتل أصحابه، وأبطل الاشتراكية، وقال: لا زالت نتن تلك القبلة التي قبلتها قدمي مزدك في أنفي، وهو الذي أبطل الاشتراكية"[١].

كما دعا إلى الشيوعية كثير من أرباب النزعات الإباحية، كالباطنية[٢] المتأثرين بالمزدكية، ومنهم حمدان قرمط وقومه[٣].

ثم ظهرت بعدها حركة الشيوعية الماركسية الحديثة، فكان ظهورها في القرن التاسع عشر الميلادي على يد (موسى هس)، أما الذي أعلن عن مبادئها وفلسفتها فهو (كارل ماركس) ، ولهذا تنسب إليه[٤].

وقد شاركه في صياغة أفكاره ونظرياته صديقه الألماني فريدريك إنجلز[٥].

---

(١) شرح كتاب التوحيد لسماحة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله. باب الأدب والبر والصلة (ص: ٣٤٦).

(٢) الباطنية: نسبة إلي الباطن، وهي إحدى الفرق المنتسبة إلى الإسلام، وممن أسسها ميمون القداح ،ومحمد بن الحسن الملقب بدندن ، ولهم ألقاب كثيرة منها : القرامطة ، والخزمية، والإسماعيلية ، والمزدكية، وكان بداية ظهورها في زمن المأمون، وسموا بذلك لقولهم إن للقرآن ظاهر وباطن ، وقد تأولوا أصول الدين وشرائعه.انظر: الفرق بين الفرق ص: ٢٥٠ ، والتبصير في الدين ص: ١٤٠ـ ١٤٧ ، وتلبيس إبليس ص: ١٢٤.

(٣) هو : رأس القرامطة وإليه نسبهم وقد اختلف في اسمه فقيل "حمدان بن الأشعث" وقيل " الفرج بن عثمان" وأصله من خوزستان، وعرف في سواد الكوفة سنة ٢٥٨هـ ، وكان يظهر الزهد والتقشف إلى أن استمال الكثير من الناس، تداخلت أخباره مع أخبار دعاته، ورجح الزركلي أنه هو الذي قبض عليه عامل الرحبة، وقتله المكتفي سنة ٢٩٣هـ ، ولا تزال نهايته غامضة ولعله بعض دعاة الإسماعيلية مع صهره عبدان.انظر: تاريخ الطبري ٦٠٢/٥، والإعلام ١٩٤/٥ ،الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٦٦ ، ص ١٣٥ ، ومعجم الفرق الإسلامية ص ١٩٢ ،وكشف أسرار الباطنية (ص: ٥٥).

(٤) انظر: الشيوعية منشأ ومسلكاً لدندل جبر، ص٢٠٢ .

(٥) فريدريك إنجلز (١٨٢٠- ١٨٩٥م). عالم اجتماع ألماني، صحفي وثوري محترف، اشتهر بتعاونه الوثيق والطويل مع كارل ماركس مؤسس الحركة الشيوعية. ساهم إنجلز مساهمة فعالة في صياغة النظرية الماركسية وأهم أسسها فيما يتعلق بالنظرية الاقتصادية الماركسية. كما ساهم بشكل فعال في صياغة النظرية السياسية للحركة الماركسية. وُلِدَ إنجلز في مدينة بارمن في بروسيا، وهو ابن لصاحب معمل نسيج، وقد اعتقله رجال الأمن مرارًا لنشاطاته الثورية.

ثم جاء من بعد كارل ماركس أتباع له يدعون بدعوته، وأهم أتباعه الذي فاه بنشرها بشكل واسع "لينين"[(١)] .

وهذه الحركة فكرية اقتصادية يهودية إباحية، وهي تصور شامل للكون والحياة والإنسان، ولقضية الألوهية، وهي تنكر وجود الله والمغيبات، وتستهزئ بالأنبياء، وأن الإنسان جاء إلى هذه الحياة بمحض المصادفة، وهي تسعى لتحقيق أهدافها بالقوة، وبكل ما تملكه من وسائل[(٢)].

وقد قال الشيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ معلقاً على حديث: "**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**"[(٣)]:

(هذا من خطبة النبي ﷺ يوم عرفة حيث قام بالناس خطيباً في مجمع عظيم، والمشهد الكبير، قال: "**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا في شهركم هذا**" ففيه الرد على الاشتراكية الذين يقولون: إن الناس لا يمتلكون المال، بل القرآن والحديث يرد عليهم؛ فالله جعل هذا غنياً وهذا فقيراً، كيف تقولون بهذا والنبي ﷺ جعل المال قريناً للدم والعرض، فكما أنه يحرم قتلك بغير حق، فكذلك يحرم أخذ مالك بغير حق، وكذلك يحرم عرضك بغير حق، والعرض معناه: هو تناول الإنسان، أو تناول آبائه وأجداده بذم وتنقيص مما هم بريئون منه.

وأيضاً أن الله ﷻ في القرآن أضاف الأموال إلى ملاكها، فقال ﷻ: M **وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ** L[(٤)]، وقال ﷻ: M **وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا** ´ µ ¶ L[(١)]

هرب من بروسيا سنة ١٨٤٤م وعاد إليها أثناء ١٨٤٨م، ولكنه عاد وهرب مرة أخرى بعد فشل الثورة. ثم استقر بعد ذلك في إنجلترا حيث كان يدير أحد مصانع أبيه.

(١) رجل سياسي، ومنظر ثوري، ومؤسس الثورة البلشفية، وفيلسوفها الأكبر، قام بتولي الحكم في روسيا بعد أن تغلب على الحكم الإمبراطوري، وصار الحكم شيوعياً في عام ١٩١٧م، توفي عام ١٩٢٤م.

(٢) انظر: سلسلة الحقائق والأباطيل دفاع عن الإسلام؛ لفضيلة الشيخ عبد الله بن حميد، ومجموعة من كبار العلماء (ص: ١٠). وانظر: الأديان والمذاهب المعاصرة د. ناصر العقل، ود. ناصر القفاري (ص: ٩٢).

(٣) سبق تخريجه(ص ٥٤٠).

(٤) سورة النساء (من آية : ٥).

فإضافة المال إلى ملاكه يدل على اختصاصهم به، وأن الاشتراكية من أبطل الباطل.

وأيضاً أن هذا تمرد على النظام السماوي، فالنظام السماوي يخبر بأن الناس كما أنهم متفاوتون في عقولهم، ومتفاوتون في آجالهم، ومتفاوتون في شؤونهم، فكذلك متفاوتون في أرزاقهم، قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِ﴾ [٢] وأيضاً أن الرسول ﷺ جعل من قتل دون ماله شهيداً من الأبرار، فقال ﷺ: "**من قُتل دون ماله فهو شهيد**" [٣]، وقد امتنع الرسول ﷺ من الصلاة على رجل توفي وعليه دين، فإن رجلاً من الصحابة توفي فغسلوه وكفنوه وحنطوه، وجاؤوا به إلى المسجد ليصلي عليه، ثم قال: "هل عليه دين؟" قالوا: نعم ديناران، فقال: "صلوا على صاحبكم" فحزن الصحابة، فقال أبو قتادة: يا رسول الله، الديناران عليَّ، صلّ عليه، فقال: "حق الغريم، وبرئ منهما الميت؟"، قال أبو قتادة: نعم، فتقدم فصلى عليه ﷺ، ثم لما جاء اليوم الثاني سأل الرسول ﷺ أبا قتادة فقال: "ما فعل الديناران؟"، فقال أبو قتادة: يا رسول الله، ما مات إلا بالأمس، ثم لقيه فسأله نفس السؤال، فقال أبو قتادة: قضيتهما، فقال النبي ﷺ: "**الآن برَّدت عليه جلده**"[٤].

وقد كتب الشيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ رسالة يدافع فيها عن الإسلام مما افتراه أحد الرؤساء العرب على دين الإسلام، فقال ـ رحمه الله ـ عنه : "عندما كان يتتبع خطى الشيوعيين في كل ما قالوه، أو أمروا به، إذا كان الهدف منه ومنهم محاربة الإسلام بنقص تعاليمه، أو التهجم عليه؛ لينتقص نبي الإسلام، وفخر العروبة، وأشرف مخلوق، كما في صحفه المؤممة والناطقة بلسانه.

وتنكر مجلة مصرية وجود الله ﷻ، هيئة الله عن قولهم علواً كبيراً، وهل يستطيع أحد أن يتفوه بهذا الكلام إلا اليهود وإلا النصارى؟! فكيف بالمنتسبين إلى الإسلام؟! نعم قد فاه بهذا الكلام بعض زعماء الشيوعيين منذ بضعة أشهر، قالوا: إن الله خرافة لا وجود

---

(١) سورة البقرة (من آية: ٢٧٩).

(٢) سورة النحل: (من آية: ٧١).

(٣) أخرجه البخاري (٢/٨٧٧ برقم ٢٣٤٨)، ومسلم (١/١٢٤ برقم ١٣٩).

(٤) أخرجه أبو داود، وأحمد في مسنده (٣/٣٣٠ برقم ١٤٥٣٦) والحاكم(٢/٥٨) والدارقطني برقم (٣٠٨٤) والبيهقي(٦/٧٤ـ ٧٥)، وأصله في البخاري ومسلم.

له ، أستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإن الشياطين ليوحي بعضهم إلى بعض ، وتنشر الجمهورية أن هذا الدين الذي يبيح تعدد الزوجات ، والطلاق ـ دين رجعي همجي ـ سبحان الله العظيم !أعوذ بالله من زيغ القلوب ـ رمتني بدائها وانسلت[1].

إن الهمجية الحقة هي ما يعمله هذا الحاكم من تقتيل العلماء ، وإيتام الأطفال ، وإرمال النساء ، وشحن السجون من الأبرياء ، ونهب الأموال ، والعثو في الأرض فساداً ، أما الدين الإسلامي فهو بعيد عما وصفته به جريدة الجمهورية من كونه ديناً رجعياً همجياً ـ قبحها الله ـ ، بل هو دين سماوي ، كامل في مصادره وموارده ، ما نزل على نبي من الأنبياء مثله ، شامل لمصالح الدنيا والآخرة ، كما أقر به أعداء الإسلام أنفسهم.

وتنشر مجلةمصرية : إن شعور المؤمن شعور الكلب عندما يخاف من ورقة طائرة في الهواء ، وهل هذا إلا جنون يقوله من لا يدري ما يقول.

إذا رزق الفتى وجهاً قباحاً تقلب في الأمور كما يشاء

وهل توجد طمأنينة إلا للمؤمن متى حقق إيمانه؟ كما قال ﷻ : M **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا â ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ** L [2] اللهم إلا في القطر الشيوعي ، وهناك حاكم عربي يقول بلسان حاله : دعوا المؤمنين سنقتل أبناءهم ، ونستحيي نساءهم ، وإنا فوقهم قاهرون ؛ حتى يؤمنوا بما جاءت به الشيوعية ، وينبذوا كتاب الله ودينه وراءهم ظهرياً ، مع أن هذا الوصف الذي حكته المجلة عن تشبيه شعور المؤمن بشعور الكلب منطبق على هذا الحاكم ؛ لما هو فيه من الخوف الدائم ، والقلق ، والفزع)[3].

---

(١) هي مجلة روز اليوسف التي تصدر في إحدى الدول العربية ، أسبوعية ليبرالية معروفة تصدرها مؤسسة روز اليوسف . بدأت في الصدور في ٢٦ أكتوبر عام ١٩٢٥م. ومازالت تصدر حتى الآن. أصدرت روز اليوسف جريدة روز اليوسف اليومية في ٢٥ مارس ١٩٣٥م و التي كان من أبرز محرريها عباس العقاد، ومحمود عزمي ، والتي أغلقت بعد فترة اثر رفض الموزعين بيعها بسبب أزمة مؤسستها روز اليوسف مع حزب الوفد .

(٢) سورة الرعد (آية : ٢٨).

(٣) دفاع عن الإسلام ، مرجع سابق(ص: ٥ ـ ٦).

لقد قام مجلس المجمع الفقهي الذي يترأسه الشيخ ابن حميد - رحمه الله - بإخراج قرار في الشيوعية ببيان خطرها على الإسلام والمسلمين، ومكافحة خطرها بوسائل معينة؛ وهذا نصه:

(إن مجلس المجمع الفقهي يرى لفت نظر دول وشعوب العالم الإسلامي إلى أنه من المسلّم به يقيناً أن الشيوعية منافية للإسلام، وأن اعتناقها كفر بالدين الذي ارتضاه الله لعباده، وهي هدم للمثل الإنسانية، والقيم الأخلاقية، وانحلال للمجتمعات البشرية، ... لذا فإن المجلس يوصي الدول والشعوب الإسلامية أن تتنبه إلى وجوب مكافحة هذا الخطر الداهم بالوسائل المختلفة، ومنها الأمور الآتية:

١- إعادة النظر بأقصى السرعة في جميع برامج ومناهج التعليم المطبقة حالياً فيها بعد أن تبين أنه قد تسرب إلى بعض هذه البرامج والمناهج أفكار إلحادية وشيوعية مسمومة مدسوسة، تحارب الدول الإسلامية في عقر دارها، وعلى يد نفر من أبنائها من معلمين، ومؤلفين، وغيرهم.

٢- إعادة النظر وبأقصى السرعة في جميع الأجهزة في الدول الإسلامية، وبخاصة في دوائر الإعلام، والاقتصاد، والتجارة الداخلية، والخارجية، وأجهزة الإدارات المحلية؛ من أجل تنقيتها وتقويمها، ووضع أسسها على القواعد الإسلامية، وإنقاذ المجتمعات من الحقد والبغضاء، وتنشر بينهم روح الأخوة، والتعاون، والصفاء.

٣- الإهابة بالدول والشعوب الإسلامية أن تعمل على إعداد مدارس متخصصة وتكوين دعاة أمناء؛ من أجل الاستعداد لمحاربة هذا الغزو بشتى صوره، ومقابلته بدراسات عميقة ميسرة لكل راغب، بالاطلاع على حقيقة الغزو الأجنبي، ومخاطره من جهة، وعلى حقائق الإسلام وكنوزه من جهة ثانية، ومن ثم فإن هذه المدارس، وأولئك الدعاة كلما تكاثروا في أي بلد إسلامي يرجى أن يقضوا على هذه الأفكار المنحرفة الغريبة، وبذلك يقوم صف علمي عملي منظم واقعي؛ من أجل التحصن ضد جميع التيارات التي تستهدف هذه البقية الباقية من مقومات الإسلام في نفوس الناس.

كما يهيب المجلس بعلماء المسلمين في كل مكان، وبالمنظمات والهيآت الإسلامية في العالم أن يقوموا بمحاربة هذه الأفكار الإلحادية الخطيرة، التي تستهدف دينهم وعقائدهم وشريعتهم، وتريد القضاء عليهم، وعلى أوطانهم، وأن يوضحوا للناس حقيقة الاشتراكية والشيوعية، وأنهما حرب على الإسلام)[1].

---

(1) قرارات مجلس المجمع الفقهي المنعقد في مكة المكرمة في الفترة من ١٠شعبان ١٣٩٨هـ ـ إلى ١٧ شعبان ١٣٩٨هـ (ص: ٣٤ ـ ٣٥)، انظر فتاوى المجامع الفقهية، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السنة الثالثة، العدد الثاني عشر ، ١٤١٢هـ، حكم الشيوعية والانتماء إليها(ص١٦٩- ١٧١)، ومجلة المجمع الفقهي الإسلامي، السنة الثانية عشرة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، مختارات من قرارات المجمع الفقهي الإسلامي ، العدد الرابع عشر(ص٣٧٧- ٣٨٠).

المبحث الرابع:

جهود الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ

في الرد على الرأسمالية.

وفيه تهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول: تعريف المال لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: نشأة الرأسمالية.

المطلب الثالث: أسس وخصائص ومساوئ النظام الاقتصادي الرأسمالي.

المطلب الرابع: جهود الشيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ في الرد على دعاة الرأسمالية.

المبحث الثاني:

جهود الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في الرد على الرأسمالية،

تمهيد:

إن الناس في أوروبا وأمريكا يؤمنون بالرأسمالية، كعقيدة ونظام للحياة، بمعنى أنها صارت ديناً ينتحله النصارى، ورأوا في العقيدة الرأسمالية أنها جاءت ناسخة لدين السيد المسيح ـ عليه السلام ـ [(١)].

ومفهوم العقيدة أنها وجهة نظر كلية في الكون والإنسان والحياة، والرأسمالية كذلك؛ لأنها تقوم على الإيمان المطلق بفصل الدين عن الحياة، فالدين ساعة من نهار يوم الأحد فحسب، أما أن يمتد سلطان الدين النصراني إلى الحياة فيضع لها الأنظمة، فإن ذلك جزء من الماضي الغابر[(٢)].

أما اليوم فلا دخل للدين بالسياسة، ولا دخل له بالنظام الاقتصادي، ولا بأي نظام من أنظمة الفرد أو الجماعة أو الدولة، فما لقيصر لقيصر وما لله لله، الدين لله والوطن للجميع. والأصل في نشوء هذا المبدأ أن القياصرة والملوك في أوروبا وروسيا، كانوا يتخذون الدين وسيلة لاستغلال الشعوب وظلمها ومص دمائها، وكانوا يتخذون رجال الدين مطية لذلك، فنشأ عن هذا صراع رهيب قام أثناءه فلاسفة ومفكرون، منهم من أنكر الدين مطلقاً[(٣)].

ومنهم من اعترف بالدين، ولكنه نادى بفصل الدين عن الحياة، حتى استقر الرأي عند جمهرة الفلاسفة والمفكرين على فكرة واحدة هي، فصل الدين عن واقع الحياة، ونتج عن ذلك طبيعياً فصل الدين عن الدولة[(٤)].

---

(١) الاقتصاد الرأسمالي في مرآة الإسلام، الدكتور محمود الخولي، دار الجيل ، بيروت، ص١٨.

(٢) راجع: الرأسمالية الناشئة، أحمد جامع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.

(٣) أمثال، مكيافيللي، وآدم سميث وريكاردو.

(٤) راجع: خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي ، محمود أبو السعود، (ص٦- ٩)، وانظر: النظام الاقتصادي في الإسلام. د. العسال وزميله، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٧٧م، ص١٧.

وكانت هذه العقيدة.. عقيدة فصل الدين عن واقع الحياة، هي العقيدة التي اعتنقها الغرب قاطبة، وصارت هذه العقيدة هي القاعدة الفكرية التي تُبنى عليها جميع الأفكار، والتي يُدعى إليها في العالم(١).

والرأسمالية مبدأ فردي، يرى أن المجتمع مكون من أفراد، ولا يعير الجماعة إلا نظرة ثانوية، مركزاً فكرته وجهوده على الفرد كفرد، فضمنت الرأسمالية بذلك للفرد الحريات المطلقة عن أي قيد من دين، أو نظام، أو عرف، أو قيم، أو مثل عليا، أو أي أمر آخر.

لذلك كانت حرية العقيدة مقدسة، وكانت الحرية الاقتصادية أكثر قداسة، فلا تقيد العلاقات الاقتصادية بناءً على العقيدة الرأسمالية، ومن هنا برزت فكرة دعه يعمل، دعه يمر كيف شاء، ومتى شاء، بعيداً عن أي قيد من جهة الدين على السلوك والعلاقات والنظم(٢).

إن حاجة الإنسان الطبيعية الدائمة إلى المطعم، والمشرب، والملبس، والمسكن، وأدوات السعي لهذه ولغيرها من المنافع إلى تملك هذه الأشياء، والاستئثار بها دون غيره من الناس لنفسه أولاً ولنفسه ولأسرته بعد أن اقتضى الحال وجود نظام الأسرة، وهكذا وُجد نظام الملكية الفردية، كما وُجد نظام الأسرة. أوجدتهما طبيعة الإنسان وطبيعة الأشياء، وسيظل كلاهما قائماً ما لم تتغير طبائع البشروطبائع الأشياء، ولن تتغير حتى تبدل الأرض غير الأرض والسموات(٣).

وإذا كانت المبادئ الاشتراكية والشيوعية تحبذ الملكية الجماعية وتؤثرها على الملكية الفردية، فإن غلاة المعتنقين لهذه المبادئ لم يقولوا بإلغاء الملكية الفردية إلغاء مطلقاً؛ لأن هناك من الملكيات الفردية ما تقتضي الطبيعة وجوده والمحافظة عليه، فكل إنسان يجب أن يملك طعامه وكساءه ومسكنه وأداة عمله وإلا استحالت عليه الحياة(٤).

---

(١) راجع: تاريخ الفكر الاقتصادي، إريك رول، ترجمة الدكتور راشد البرواوي، (ص٣٩وما بعدها)، وانظر: المدخل إلى النظرية الاقتصادية الإسلامية، وأحمد النجار، (ص٦٩، ٧٠)

(٢) انظر: المدخل إلى النظرية الاقتصادية، د. أحمد النجار، (ص٦٧).

(٣) التشريع الجنائي في الإسلام، عبد القادر عودة(١٧٤/٢).

(٤) المرجع السابق(١٧٤/٢).

وقد اقتضى نظام الأسرة ونظام الملكية الفردية الاعتراف بشخصية الفرد وحريته وحقه في حماية نفسه وأسرته وملكه، ولكن ضعف الفرد وكثرة حاجاته وقلة وسائله وحاجاته إلى التعاون مع غيره كل ذلك دعا إلى تكوين الجماعة.

وتكوين الجماعة يقتضي بطبيعته أن يكون للجماعة نظام اجتماعي تقوم الجماعة على مبادئه ويبين حقوق الأفراد وواجباتهم. والنظام الاجتماعي للجماعة يختلف باختلاف الجماعات، فالجماعات الإسلامية نظامها الاجتماعي يقوم على مبادئ الإسلام، والجماعات غير الإسلامية يقوم نظامها الاجتماعي على أساس الإشتراكية أو الشيوعية أو الرأسمالية أو غير ذلك من الأنظمة الاجتماعية.

كذلك اقتضى تكوين الجماعة أن يقوم فيها نظام للحكم يصرف شئونها ويسهل على مصالحها ونظامها الاجتماعي ويوفر الأمن لها في الدخل والخارج. ونظام الحكم يختلف باختلاف البلاد، ففي بعض البلاد يكون الحكم جمهورياً وفي بعضها ملكياً إلى غير ذلك، وهكذا وجد نظام الحكم وكان وجوده نتيجة ضرورية لوجود الجماعة نفسها.

هذه هي الأنظمة الأربعة التي يقوم عليها كيان المجتمع، كل مساس بها يمس المجتمع في أصل وجوده ويهدم أهم مقوماته، ولذلك حرصت الشريعة الإسلامية على أن تحمي هذه النظم من كل اعتداء؛ لأن في حمايتها بقاء الجماعة وصلاحيتها للبقاء، ولأن كل تهاون في احتياطها وحمايتها يؤدي إلى انحلال الجماعة وسقوطها.

وقد تقصت الشريعة الاعتداءات الخطيرة التي يمكن أن تمس هذه الأنظمة فوجدتها تنحصر في جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية، وهي: الزنا، والقذف، وشرب الخمر، والسرقة، والحرابة، والردة، والبغي، والقتل والجرح في حالتي العمد والخطأ.

فالزنا اعتداء على نظام الأسرة، ولو لم يعاقب عليه لكان لكل امرئ أن يشارك الآخر في أي امرأة شاء، وأن يدعي من شاء أو يتنصل ممن شاء من الأبناء؛ وأخيراً فإن إباحة الزنا معناها الاستغناء عن نظام الأسرة وهدم الدعامة الأولى من الدعائم التي تقوم عليها الجماعة[1].

---

(١) التشريع الجنائي في الإسلام، عبد القادر عودة(١٧٥/٢).

والسرقة اعتداء على نظام الملكية الفردية، ولو لم يعاقب عليها لكان لكل امرئ أن يشارك غيره وطعامه وشرابه وكسائه ومسكنه وأداة عمله، وكانت الغلبة آخر الأمر للأقوياء، وكان الجوع والعري والحرمان للضعفاء، فإباحة السرقة معناها الاستغناء عن نظام الملكية الفردية، وعجز الأفراد عن الحصول على ضروريات الحياة، وسقوط الجماعة بعد سقوط أهم الدعامات التي قامت عليها.

والردة اعتداء على النظام الاجتماعي للجماعة؛ لأن النظام الاجتماعي لكل جماعة إسلامية هو الإسلام، ولأن الردة معناها الكفر بالإسلام والخروج على مبادئه والتشكيك في صحته، ولا يمكن أن يستقيم أمر الجماعة إذا وضع نظامها الاجتماعي موضع التشكيك والطعن؛ لأن ذلك قد يؤدي في النهاية إلى هدم هذا النظام.

والبغي اعتداء على نظام الحكم في الجماعة؛ لأن جريمة البغي تعني الخروج على الحكام ومعصيتهم، أو تعني طلب تغييرهم نظام الحكم نفسه، وإباحة مثل هذه الجريمة يؤدي إلى إشاعة الخلاف والاضطراب في صفوف الجماعة، ويقسمها شيعاً وأحزاباً تتقابل وتتناحر في سبيل الحكم، كما يؤدي إلى اختلاف الأمن والنظام وسقوط الجماعة وانحطاطها[١].

وجرائم القتل والجرح اعتداء من ناحية على حياة الأفراد المكونين للجماعة، وهي من ناحية أخرى اعتداء على النظام الاجتماعي ونظام الحكم في الجماعة؛ لأن هذه الجرائم تمس حياة الأفراد وأبدانهم، والنظام الاجتماعي يقتضي حماية الأفراد وعصمة أنفسهم وأموالهم، كما أن نظام الحكم وجد لإقامة النظام الاجتماعي وتوفير الأمن للجماعة، فالتساهل في محاربة هذه الجرائم يؤدي إلى تحكم الأقوياء في الضعفاء، وصرف الأفراد عن العمل المنتج وانصرافهم إلى التنازع والتناحر، واستنباط الوسائل لحماية أرواحهم وأنفسهم، وهذا يؤدي بالتالي إلى تفكك الجماعة وانحلالها. وقد حرصت الشريعة على أن لا يصل الجماعة لهذه الحالة فقررت عقوبة القصاص في حالة العمد والدية في حالة الخطأ، وهي عقوبات رادعة قصد منها حماية الأفراد المكونين للجماعة، وبث الأمن بينهم، وتوفير الطمأنينة في نفوسهم.

---

(١) التشريع الجنائي في الإسلام، عبد القادر عودة(١٧٦/٢).

وجريمة القذف اعتداء على نظام الأسرة؛ لأن القذف في الشريعة قاصر على ما يمس الأعراض، ولأن القذف الماس بالأعراض هو تشكيك في صحة نظام الأسرة. فمن يقذف شخصاً فإنما ينسبه لغير أبيه وبالتالي لغير أسرته، وإذا ضعف الإيمان بنظام الأسرة فقد ضعف الإيمان بالجماعة تقوم على هذا النظام.

وجريمة الشرب تؤدي إلى فقدان الشعور، وإذا فقد شارب الخمر شعوره فقد أصبح على استعداد لارتكاب السرقة والقذف والزنا وغير ذلك من الجرائم، فضلاً عن أن شرب الخمر يضيع المال ويفسد الصحة ويضعف النسل ويذهب العقل، والنظام الإسلامي يحرم شرب الخمر تحريماً قاطعاً، فإتيان هذه الجريمة اعتداء من كل وجه على الجماعة، وهدم للنظم التي تقوم عليها الجماعة[١].

المطلب الأول: تعريف المال لغةً واصطلاحاً:

تعريف المال في اللغة : مول: الميم والواو واللام كلمة واحدة[٢]، وهو ما ملكته من جميع الأشياء[٣] وجمعه أموال.

وكان في الأصل ما يملك من الذهب والفضة ثم أطلق على كل ما يقتنى، ويملك من الأعيان، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل[٤]، لأنها كانت أكثر أموالهم.

قال الخليل بن أحمد[٥]: "المال معروف، وجمعه أموال، وكانت أموال العرب أنعامهم"[٦].

---

(١) التشريع الجنائي في الإسلام، عبد القادر عودة(١٧٧/٢).

(٢)معجم مقاييس اللغة، (٥/ ٢٨٥).

(٣) لسان العرب، (١١/ ٦٣٥- ٦٣٦).

(٤)النهاية عن غريب الحديث والأثر، ٣٧٣/٤.

(٥) هو : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، ولد سنة ١٠٠هـ، كان إماماً في النحو، وهو الذي استنبط علم العروض، ألف "العين"، و"العروض"، و"الشواهد"، توفي سنة ١٧٠هـ تقريباً، انظر طبقات النحويين واللغويين (٤٨ /٥١)، غاية النهايات في طبقات القراء ٢٧٥/١ (١٢٤٢)، وفيات الأعيان ٢٤٤/٢ (٢٢٠).

(٦) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، (٣٤٤/٨)، تحقيق د. مهدي المخزومي وآخرون، مطبعة دار الحرية بغداد طبعة سنة ١٤٠٦هـ.

وتبع الخليل في قوله "المال معروف" معظم أصحاب المعاجم اللغوية[١]، والمراد أن العربي حينما يسمع كلمة "مال" يفهم المراد منها.

مفهوم المال في الفقه: عرف الفقه الإسلامي منهجين رئيسين في تعريف المال، مثل الأول مدرسة الحنفية، ومثل الثاني مدرسة الجمهور (المالكية والشافعية والحنابلة) [٢].

قال الحنفية: المال هو "اسم لما هو مخلوق لإقامة مصالحنا به، ولكن باعتبار صفة التمور، والإحراز"[٣].

وقالوا في تعريفه كذلك: هو "ما من شأنه أن يدخر للانتفاع به وقت الحاجة"(٤).

وقيل هو: "اسم لغير الآدمي خلق لمصالح الآدمي، وأمكن إحرازه والتصرف فيه على وجه الاختيار"[٥].

قال صاحب التعريف الأخير: "... والعبد وإن كان فيه معنى المالية، ولكن ليس بمال حقيقة، حتى لا يجوز قتله، وإهلاكه"[٦].

وتعقبه ابن عابدين[٧] قائلاً: "...قلت وفيه نظر لأن المال هو المنتفع به في التصرف على وجه الاختيار، والقتل، والإهلاك ليس بانتفاع، ولأن الانتفاع بالمال يعتبر في كل شيء

---

(١) انظر على سبيل المثال: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، (١٨٢١/٥)، تحقيق أحمد عطار، مطبعة دار العلم للملايين، ط٢، سنة ١٣٩٩هـ، وابن منظور، المرجع السابق، (٦٣٥/١١).

(٢) حماية المال العام في الفقه الإسلامي، نذير بن محمد الطيب أوهاب، ط١، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، (ص١٣).

(٣) السرخسي، المبسوط، (٧٩/٧)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، بدون تاريخ.

(٤) سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، التلويح على التوضيح، (١٧١/١)، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت، بدون رقم السنة والطبع.

(٥) ابن نجيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، (٢٥٧/٥)، الناشر امج يايم سعد كراتشي، بدون رقم الطبع والسنة نقلاً عن الحاوي القدسي.

(٦) المرجع السابق(٢٥٧/٥).

(٧) هو: محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز المشهور بابن عابدين، ولد بدمشق سنة ١١٩٨هـ، تعلم عن الشيخ سعد الحموي، ومحمد السالمي، ومحمد الكزبري، وعنه الميداني، وحسن البيطار، وغيرهما. ألف "العقود الدرية"، و"رد المحتار على الدر المختار"، وله حواش، وفتاوى كثيرة توفي في ٢١ربيع الآخر سنة ١٢٥٢هـ، انظر: الأعلام(٤٢/٦)، سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة(١٥٠/١).

بما يصلح له، ولا يجوز إهلاك شيء من المال بلا انتفاع أصلاً كقتل الدابة بلا سبب موجب"[١].

وقد اختار الشيخ أبو زهرة هذا التعريف وقال: "وهذا التعريف كامل صحيح ، وإن كان فيه نقص فهو أنه لم يشمل الإنسان المسترق، وهو نقص فيه كمال؛ لأن الإنسان لا يعتبر مالاً في أصله، والمالية أمر عارض للعبيد، ويحسن رفعها ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلاً، وهذا أمر مقرر في الإسلام"[٢].

وعرفه البعض بأنه: "ما يميل إليه الطبع ويجري فيه البذل والمنع"[٣].

وقيل هو: "ما يميل إليه الطبع، ويمكن ادخاره لوقت الحاجة"[٤].

والذي استقرت عليه مجلة الأحكام العدلية هو التعريف الأخير، مع بعض الزيادة فقالت: "ما يميل إليه طبع الإنسان، ويمكن ادخاره إلى وقت الحاجة منقولاً كان أو غير منقول"[٥].

والتعريفات السالفة الذكر وإن اختلفت في بعض صياغتها فهي متقاربة في مفهومها، وتربط حقيقة إخراج المنافع من مسمى "المال".

وهي في جملتها غير جامعة، لخروج أصناف من الأموال، معدودة في الفقه الحنفي كذلك ومنها:

- أن من الأموال ما لا يميل إليه الطبع، بل يعافه، ولا يقبله، كالأدوية الكريهة، وهي أموال ثمينة لا يشملها التعريف، إلا أن يراد بالميل ميل الإرادة لا الطبع.

---

(١) محمد بن أمين بن عمر بن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، (٤/٥٠٢)، مطبعة دار إحياء التراث العربي بيروت سنة ١٤٠٧هـ.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة، الملكية، ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية، (ص٥٢)، مطبعة دار الفكر العربي، بدون رقم السنة والطبع.

(٣) علاء الدين الحصكفي ،دار المختار، المطبوع مع الرد المختار(٤/٣، ١٠٠).

(٤) ابن عابدين، المرجع السابق، (٤/٣، ١٠٠)نقلاً عن الكشف الكبير، وانظر ابن نجيم، المرجع السابق، (٥/٢٥٦).

(٥) مجلة الأحكام العدلية م (١٢٦).

- أن من الأموال ما لا يمكن ادخارها كالخضروات، والثمار الطازجة، مع أنها أموال هامة بين الناس.

-أن المباحات الطبيعية جميعاً قبل إحرازها قد عدوها أموالاً في ذاتها، كالسمك في الماء، والطير في الهواء، والوحش في البراري.. الخ، ومن هذه المباحات ما لا يمكن ادخاره إلى وقت الحاجة لعدم القدرة عليه قبل الإحراز كالصيد بأنواعه[١].

ولما كانت هذه التعريفات لا تعبر عن حقيقة المال في المذهب الحنفي، انبرى بعض متأخري علماء الحنفية لتعريف المال بما يتفق مع وجهة نظر المذهب.

فعرفه الأستاذ علي الخفيف -رحمه الله- بقوله: "المال هو "كل ما يمكن حيازته، وإحرازه، والانتفاع به في العادة"[٢].

قال معقباً على تعريفه: "... سواء أكان محرزاً، ومنتفعاً به فعلاً، كجميع الأشياء التي تملكها؛ من أرض، أو متاع، وحيوان، ونقود، أم غير محرز، ولا منتفع به، ولكن من الممكن أن يتحقق فيه ذلك، كجميع المباح من الأعيان، مثل السمك في البحر، والطير في الجو، والصيد في الفلوات، والشجر في الغابات، إذ من الممكن أن يحاز كل ذلك، وينتفع به"[٣].

أو هو: "هو كل عين ذات قيمة مادية بين الناس"[٤].

وشرح تعريفه قائلاً: - فالعين خرجت المنافع، والحقوق المحضة، مما عدوه ملكاً لا مالاً.

- وبالقيمة المادية خرجت الأعيان التي لا قيمة لها بين الناس كحبة القمح، والجيفة...الخ[٥].

مفهوم المال في النظام: تدور تعريفات رجال القانون للمال حول التعريف الوارد في المذكرة التوضيحية للمشروع التمهيدي للقانون المدني المصري الجديد؛ حيث نصت على أن

---

(١) انظر: الشيخ محمد أبو زهرة، المرجع السابق، (٥١- ٥٢)، ومصطفى أحمد الزرقاء، المدخل الفقهي العام (المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي) (٣/١٣٢)، مطبعة الحياة دمشق، طبعة سنة ١٣٨٣هـ.

(٢) علي الخفيف، أحكام المعاملات الشرعية، (ص ٢٥)، مطبعة دار الفكر العربي بيروت، ط٣، بدون تاريخ.

(٣) علي الخفيف، المرجع السابق، (ص٢٥).

(٤) أحمد الزرقاء، المرجع السابق، (٣/١٣٦).

(٥) أحمد الزرقاء، المرجع السابق، (٣/١٣٦).

المال في عرف القانون هو الحق، ذو القيمة المالية، أياً كان هذا الحق سواء أكان عيناً، أم شخصاً ، أم حقاً من حقوق الملكية الأدبية، أو الفنية، أو الصناعية[١] **...إلخ.**

فقد عرف بأنه : " الدلالة على الحق ذي القيمة المالية أياً كان نوعه، وأياً كان محله شيئاً، أو عملاً"، ثم يضيف: "وبذلك يعتبر مالاً الحق العيني، والحق الذهني في وجهه المالي، وحق الدائنية"[٢].

وهناك تعريف آخر هو: " الحق ذو القيمة المالية"، وفسره بأنه "الذي يقدّر بالنقود"[٣] أو هو: : "كل حق له قيمة يمكن تقديرها بمبلغ من النقود"[٤].

أو هو: "بأنه الحق الذي يرد على الشيء"[٥].

وجدير بالذكر أن القانونيين يوردون تعريف المال بصدد حديثهم عن الأشياء، مؤكدين على الفرق الجوهري بينهما، وذلك للخلط الذي جرى في مفهوم كل منهما، والذي لم يسلم منه حتى واضعي الأنظمة أنفسهم، وكان مصدر هذا الخلط هو القانون الروماني، ثم انتقل إلى الأجيال اللاحقة[٦].

تعريف الرأسمالية :

(الرأسمالية): نظام اقتصادي يقوم على الملكية الخاصة لموارد الثروة [٧].

---

(١) المذكرة التوضيحية (٤٥٨/١).

(٢) حسن كيرة، المدخل إلى القانون، ص٧٠٥، الناشر منشأة المعارف الإسكندرية، طبع سنة ١٩٧١م.

(٣) عبدالفتاح عبد الباقي ، نظرية الحق (ص٢٠٤)، مطبعة النهضة العربية القاهرة، ط٢، ١٩٦٥م.

(٤) سليمان مرقس، شرح القانون المدني (المدخل للعلوم القانونية) (ص٦٥٨)، المطبعة العالمية القاهرة، طبع سنة ١٩٦٧م.

(٥) عبدالرزاق السنهوري، الوسيط في القانون المدني، (٦/٨)، مطبعة النهضة العربية القاهرة، طبع سنة ١٩٦٥م، وانظر عبد المنعم فرج صدة ،الحقوق العينية الأصلية، (ص٣)، مطبعة النهضة العربية بيروت طبع سنة ١٩٧٢م.

(٦) انظر: عبدالفتاح عبد الباقي، المرجع السابق، (٢٠٤- ٢٠٥)، وعبد الرزاق السنهوري، المرجع السابق، (٦/٨- ٩)، ود. سليمان مرقس، المرجع السابق، (٦٥٨)، حسن كيرة، المرجع السابق، (ص٧٠٤).

(٧) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة ، تحقيق مجمع اللغة العربية ،(٣١٩/١)

والنظام الرأسمالي: نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس إطلاق الحرية الشخصية للفرد فيما يعمل وفيما يكسب، وفيما يملك، وفيما ينفق دون حدود أو قيود، ومن غير مراعاة لدين أو خلق[١].

وقد ذكر علماء الاقتصاد تعريفات أخرى للرأسمالية منها[٢]:

§ هي: ملكية الفرد لأدوات الإنتاج العامة، أو ملكية عدد قليل من الأفراد لهذه الأدوات.

§ هي: النظام الفردي الذي يسعى فيه كل فرد لتحقيق أرباحه في ظل منافسة حرة وحرية اقتصادية تامة.

§ هي: النظام الذي يتم فيه الإنتاج للتبادل في السوق البعيدة بواسطة تاجر الجملة الذي يستخدم أمواله في شراء السلعة وتخزينها، واختيار الزمان والمكان لبيعها حتى تتحقق أعلى الأرباح.

§ هي: في رأي ماركس: نظام يجعل قوة العمل سلعة ككل السلع تباع وتشترى في السوق، والشرط التاريخي لذلك هو تجميع وسائل الإنتاج في أيد قليلة، وإضرار من لا يملكون هذه الوسائل إلى بيع قوة عملهم لمالكيها، فالإنتاج هذا النظام يجعل "عقد العمل" أساساً له.

§ هي: نظام المشروع الفردي الخاص، النظام الذي تسوده المنافسة الحرة بين الأفراد في سبيل تنمية ثرائهم.

فالملكية المطلقة لوسائل الإنتاج الثلاث وهي: الأرض ورأس المال والعمل، أساس مميز في النظام الرأسمالي، والمجتمع ضحايا مستمرة في سبيل الحفاظ على حق الملكية المقدس[٣].

ولا يعترف النظام الرأسمالي بالملكية العامة إلا حين تدعو إلى ذلك الضرورة[٤].

ولقد ذاق العالم بسبب هذا النظام ويلات كثيرة، وما تزال الرأسمالية تمارس ضغوطها وتداخلها السياسي والاجتماعي والثقافي وترمي بثقلها على مختلف شعوب الأرض[١].

---

(١) انظر في هذا: الغزو الفكري والاتجاهات المعاصرة، وموقف الإسلام منها (٣)، الرأسمالية وموقف الإسلام منها، د/حمود أحمد الرحيلي، دار العاصمة للنشر والتوزيع، (ص١٥)، والاتجاهات الفكرية المعاصرة للدكتور جمعة الخولي، ص١٥٧، من مبادئ النظام الاقتصادي لمحمود الخطيب، (ص٢١).

(٢) انظر: النظم الاقتصادية في العالم لأحمد شلبي، (ص٤١).

(٣) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، لجمعة الخولي (ص١٥٧).

(٤) من مبادئ الاقتصاد الإسلامي، لمحمود الخطيب (ص٢١).

المطلب الثاني : نشأة الرأسمالية :

ظهر النظام الرأسمالي نتيجة للظروف الاجتماعية والاقتصادية التي سادت المجتمع الأوروبي في القرون الوسطى وكان أهم سمات ذلك المجتمع قبل ظهور الرأسمالية ما يلي :

(١) سيطرة النظام الإقطاعي على المجتمع ، فكانت هناك طبقة المالكين الأغنياء وطبقة الفقراء ، وقد كانت الطبقة الأولى تستغل الطبقة الثانية بكل ما أوتيت من قوة لمصالحها الخاصة.

(٢) سيطرة الكنيسة على المجتمع بمختلف الصور ، فقد منعت الناس حرية التفكير فسلبتهم بذلك إرادتهم وحريتهم[٢].

في ظل هذا التحكم المزدوج ظهرت دعوات للحرية الفردية[٣].

والرأسمالية وثيقة الصلة بالثورة الصناعية التي حدثت في إنجلترا وبلاد أوروبا الغربية منذ أواخر القرن الثامن عشر ، فقد تركت هذه الثورة أثراً عميقاً في أساليب الإنتاج ، مما أدى إلى قيام الإنتاج الآلي في مشروعات ضخمة مقام الإنتاج اليدوي في مشروعات صغيرة ، وساعد هذا على تأكيد معالم الرأسمالية.

وقد تطور النظام الرأسمالي تطوراً بعيد المدى ، واقترن بسياسة الحرية وابتعاد الدولة عن التدخل في الحياة الاقتصادية ، ويعرف ذلك بسياسة "دع الأمور تجري في أعنتها" ، التي بلغت أوجها حوالي منتصف القرن التاسع عشر[٤].

وقد ساعد على التعجيل بنجاح فكرة الحرية الفردية التي هي أساس الفكر عدة عوامل منها[٥] :

---

(١) انظر : الغزو الفكري والاتجاهات المعاصرة ، وموقف الإسلام منها ، الرأسمالية وموقف الإسلام منها ، د/حمود أحمد الرحيلي ، دار العاصمة للنشر والتوزيع(ص١٧).

(٢) انظر : النظام الاقتصادي في الإسلام لمحمود الخطيب (ص٤٣- ٤٤).

(٣) النظم الإسلامية والمذاهب المعاصرة ، د. حسن عبد الحميد (ص٢٨- ٣٠).

(٤) انظر : الموسوعة العربية الميسرة(١/٨٥٣) ، مذاهب فكرية معاصرة ، لمحمد قطب (ص٢٠٤).

(٥) انظر : النظام الاقتصادي في الإسلام لمحمود الخطيب (ص٤٤- ٤٥) ، وانظر : من مبادئ الاقتصاد الإسلامي لمحمود الخطيب أيضاً ، (ص٢٨).

(١) ظهور الدولة القومية وخاصة في غرب أوروبا.

(٢) زيادة عدد السكان ولاسيما سكان المدينة.

(٣) مطالبة المدن باستقلالها عن نفوذ سادة الإقطاع.

(٤) نشاط حركة الكشف الجغرافي البحري.

(٥) النهضة العلمية والفكرية وحركة الإصلاح الديني.

(٦) تكاتف طبقة التجار مع الملوك القوميين الجدد.

(٧) الثورة الصناعية التي انفجرت في بريطانيا وامتدت إلى بقية البلدان الأوروبية، وما رافق هذه الثورة من تقدم الزراعة، واستخدام النقود في المعاملات.

(٨) ضعف نظام الإقطاع بهروب رقيق الأرض إلى المدن.

وكان من نتيجة الحرية وابتعاد الدولة عن التدخل في الحياة الاقتصادية أن حدث ما يلي:

(١) انخفاض الأجور.

(٢) سوء ظروف العمل.

(٣) تشغيل النساء والأطفال دون رقابة.

(٤) تكدس الثروات، وسوء توزيع الدخل.

(٥) سيطرة المشروعات التي تتمتع بسلطة احتكارية، أو شبه احتكارية[1].

المطلب الثالث: أسس وخصائص ومساوئ النظام الاقتصادي الرأسمالي:

تعتبر الحرية الاقتصادية والملكية الفردية وحافز الربح من أبرز أسس وخصائص النظام الرأسمالي، وفيما يلي نناقش ذلك بالتفصيل:

(١) **الحرية الاقتصادية:** يكفل النظام الرأسمالي الحرية الاقتصادية للفرد، سواء من حيث النشاط الاقتصادي الذي يزاوله أو من حيث الاستهلاك الذي يرغبه، أو من حيث الإنفاق، أو الاستثمار الذي يناسبه، فليس للدولة في المجتمع الذي يسوده النظام

(١) انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١/٨٥٣).

الرأسمالي حق التدخل، ووضع القيود والعراقيل أمام الفرد، عندما يقوم بأي تصرف من التصرفات السابقة، فالقرارات الخاصة بالعمل والإنتاج والاستهلاك والادخار والاستثمار يتخذها الفرد بنفسه، وفي ضوء ما يراه مناسباً له[(١)].

(٢) **الملكية الخاصة:** تعتبر الملكية الخاصة حجز الزاوية في النظام الرأسمالي، الذي يعطي الفرد الحق في تملك أموال الاستهلاك والإنتاج، وأي شيء ذي أهمية اقتصادية، وبالطرق القانونية، حتى أضحت المشروعات الغالبة في النظام الرأسمالي هي المشروعات الخاصة[(٢)].

ولا يعزب عن البال أن الملكية الخاصة في النظام الرأسمالي أسهمت في زيادة الإنتاج، وفي تشجيع جمع وتراكم الثروة والمحافظة عليها، إلا أن الملكية الخاصة المطلقة لها مساوئها، إذ إنها تؤدي إلى الفوارق الكبيرة في الثروات والدخول بين أفراد المجتمع إذا ما تركت بدون قيود.

كما هو الحال في النظام الرأسمالي، الأمر الذي جعل الحياة الرأسمالية ميدان سباق، مسعور ومحموم، بين فئة تملك أدوات الإنتاج، ولا يهمها إلا جمع المال من كل السبل ولو أضرت بالآخرين، وأخرى محرومة لا تملك بل تظل تبحث عن المقومات الأساسية لحياتها، دون أن يشملها شيء من التراحم، والتكافل، والتعاطف المتبادل.

ولا يعني هذا أن الاقتصاد الإسلامي ينكر مبدأ الملكية الخاصة والتفاوت في الدخول الفردية، بل إنه يقر هذا المبدأ، طالما أنه تم بالطرق المشروعة والمباحة التي لا تضر بالآخرين، لقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: **M وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِ L**[(٣)]، وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: **M نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي µ بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ L**[(٤)].

---

(١) محمد حمدي النشار، النظم الاقتصادية، الناشر: جامعة أسيوط، ١٩٦٥م، (ص٣٣).

(٢) النظام الاقتصادي في الإسلام، تأليف: د.عمر بن فيحان المرزوقي، وآخرون، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، (ص٤٣).

(٣) سورة النحل (آية: ٧١).

(٤) سورة الزخرف (آية: ٣٢).

إلا أن الاقتصاد الإسلامي،وهو يقر هذا التفاوت ولا ينكره، فـــ M ٱللَّهُ يَبْسُطُ ´ µ ¶ ¸ L[١]، فإنه في نفس الوقت يسعى إلى تضييقه وعدم اتساعه؛ لأن هذا التفـــاوت وهذه الفروق إذا تركت وشأنها دون التخفيف من اتساعها وحدتها،أصبحت عوامل للهـــدم، ووسائل للتحطيم كما هو الحال المشاهد في الرأسمالية[٢].

وهذا ما أدركه التشريع الإسلامي منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، فعندما اعترف الملكية الفردية جعل فيها وظيفة اجتماعية، أو بمعنى آخر فرض عليها التزامات وواجبات، لصالح الفئة المحرومة أو الفقيرة في المجتمع، الأمر الذي يسهم في النهاية في التقريب بين المتفاوتين فلا يكون هناك غنى مطغي ولا فقر منسي، في المجتمع الذي يتبع شريعة الإسلام[٣].

(٣) **حافز الربح:** يعتبر البحث عن أكبر ربح ممكن غاية النظام الرأسمالي، إذ أنه هو المحرك الرئيسي لأي نشاط اقتصادي، إلى درجة أصبح الفرد في ظل النظام الرأسمالي يتجه إلى الإنتاج مسترشداً باعتبارات أكبر ربح ممكن، لا باعتبارات إشباع الحاجات الأساسية أو الضرورية للبشر[٤]، لأنه لم تعد تحركه سوى الأثمان السوقية والاعتبارات الاقتصادية البحتة.

وإن ترتب على ذلك إهدار للقيم الروحية، أو الأخلاقية في المجتمع، حيث يظل محكوماً ومعتمداً على قرار السوق وحجم الطلب، فإذا كان هناك طلب على ناد للقمار مثلاً، فإنه يسارع في إنشائه، وإذا كان هناك طلب على الخمر، فإنه يسارع كذلك إلى إنشاء البارات، وتوظيف الأموال في إنتاجه وتسويقه، إلى درجة أن البحث عن الربح بشتى الطرق

---

(١) سورة الرعد (آية : ٢٦).

(٢) عمر المرزوقي، اقتصاديات الغنى في الإسلام، (ص٥٨).

(٣) محمد أبو زهرة، في المجتمع الإسلامي، (ص٤).

(٤) رفعت المحجوب، النظم الاقتصادية، (ص٥٦).

والأساليب، يجعل المنتج أو المستثمر في ظل النظام الرأسمالي لا يميز بين السلع الطيبة والسلع الخبيثة[١].

وليس معنى ذلك أن الاقتصاد الإسلامي ينكر مبدأ حافز الربح، أو يتجاهل جهاز الثمن، وإنما ينكر استخدام الوسائل الضارة لتحقيق هذا الربح، كما ينكر أيضاً إنتاج السلع الضارة التي لا يترتب عليها منفعة حقيقية للمجتمع.

باعتبار أن أوجه النشاط الاقتصادي في الإسلام محكومة بقاعدة الحلال والحرام، وهي القاعدة التي تسد كل منافذ الشهوات، وأنواع السلوك غير السوي أو الضارة التي تبدد جانباً مهماً من موارد المجتمع[٢]، فقد قال ـ ﷻ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾[٣].

مساوئ النظام الاقتصادي الرأسمالي

على الرغم مما يتضمنه النظام الرأسمالي من مجموعة الأسس والخصائص والتي تبدو في ظاهرها صالحة ومغرية للفطرة البشرية كالملكية الفردية والحرية الاقتصادية وحافز الربح إلا أن له مساوئ عديدة أهمها ما يلي[٤]:

- إهمال الجوانب الأخلاقية والدينية والإنسانية في النظام الرأسمالي إلى درجة أنه يؤثر الكسب الاقتصادي ولو على حساب الأخلاق ومقتضيات الإيمان وحياة الإنسان.
- يؤدي إلى التفاوت الكبير في الداخل والثروة وتركزها في يد فئة قليلة.

---

(١) الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، الموسوعة العلمية والعملية للبنوك الإسلامية، (ج٦، ص٩٥).

(٢) شوقي دنيا، تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي، ص٩٤، د. عمر المرزوقي، الاستثمار الأجنبي المباشر من منظور إسلامي، (ص٣٢).

(٣) سورة البقرة (آية :١٦٨).

(٤) النظام الاقتصادي في الإسلام، تأليف: د.عمر بن فيحان المرزوقي، وآخرون، مكتبة الرشد ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، (ص٤٥).

§ يؤدي إلى فرض السيطرة الاحتكارية في السوق، إلى درجة أن الإنتاج في المجتمعات الرأسمالية يسيطر عليه عدد محدود من الشركات الاحتكارية الكبرى مما يعطيها القدرة على فرض الأسعار والهيمنة على الاقتصاد.

§ من الانتقادات الرئيسة لهذا النظام أنه دائم التعرض للتقلبات الاقتصادية الحادة وظهور مشكلات البطالة والتضخم والمديونية، الأمر الذي يؤثر بشكل مباشر على العديد من أفراد المجتمع خاصة أولئك الذين لا يملكون إلا خدمة العمل[1].

المطلب الرابع : جهود الشيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ في الرد على دعاة الرأسمالية :

لم أجد للشيخ تقريراً مفصلاً، أو مجملاً لهذا الموضوع على حسب ما توفر لديّ من وسائل البحث من رسائل وتسجيلات صوتية مفرغة، وكتب، ولكن مواقف الشيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ من العلمانية بكافة صورها، وأشكالها، وتنظيماتها، ومؤسساتها ــ هي مواقف معروفة ، وقد سبق الكلام عنها ، وسبق نقل الكثير من كلام وأقوال الشيخ ـ رحمه الله ـ عنها، بما يوضح موقفه الرافض لأي آراء، أو مذاهب، أو فلسفات ــ تتناقض مع تعاليم الإسلام. ولأن الشيخ ابن حميد ـ رحمه الله ــ يقف موقفاً مناوئاً لكل المذاهب الفكرية، والسياسية، والعرقية، والاقتصادية، والثقافية ـ التي لا تنتهج الإسلام منهج حياة، ومنطلقاً تستمد منه أفكارها، ومبادءها ـ فمن هنا نستنتج ـ بداهةً ـ أن الشيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ قد وقف موقفاً مناهضاً من الرأسمالية كمذهب اقتصادي غربي لاينبع من الإسلام، ولا يستقي مبادؤه منه.

ولما كانت الرأسمالية بالمفهوم الغربي ــ تفتح الباب أمام سيادة رأس المال، وأمام الاحتكار الاقتصادي، وزيادة الأغنياء غنىً والفقراء فقراً . كما تؤدي لانتشار وزيادة الطبقية في المجتمع، وتخلي الأغنياء عن مسؤولياتهم تجاه الفقراء. وكما يعرف كل إنسان ، فإن الآثار السيئة للمنهج الرأسمالي الغربي على حياة الناس في الغرب ــ واضحة للعيان، من وجود

(١)خالد المقرن، الأسس النظرية للاقتصاد الإسلامي، (ص٦٩).

تفاوت هائل بين طبقات المجتمع، وطغيان للنزعة المادية على حساب القيم والمبادئ والمثل العليا التي نادت بها الشرائع المساوية، ودعت إليها، وعلى حساب مبادئ الاحسان إلى الفقراء، والتعاون على البر والتقوى، وتغليب جانب البذل والعطاء على جانب الأنانية والأثرة.

ولعل الشيخ ابن حميد - رحمه الله - قد أشار إلى هذا الجانب في قوله :

"وقد جعل الإسلام للفقراء حظا في مال الأغنياء بالزكوات، والكفارات، لطفاً بهم وإحسانا إليهم، ورحمة بالأغنياء، وتكرمة لهم، وتحصيناً لأموالهم ، وشرع الإسلام الحج ؛ ليشهدوا منافع لهم، فتتوافد إليه سائر الأمم الإسلامية ؛ ليحصل اجتماع عام لسائر الأمم التي تدين به ؛ لينتفع بعضهم من بعض من علومهم، وأحوالهم، ويحصل بذلك التعارف، والتعاون، والتآخي، ولما في ذلك من إعانة أهل الحرمين الشريفين ؛ ليكونا مركزين عظيمين للإسلام، وهذا بعض من مقاصد الحج . كما قد شرع الإسلام اجتماعات أخرى أصغر، وأيسر في الجمع والأعياد . وبين أحكام المعاملات من بيع، وربا، ورهن، وقرض، وإجارة، وشركات، ووكالات، وحوالة، وعارية، وغيرها من المعاملات المالية التي تقتضيها القاعدة التي عليها مبنى علم الاجتماع البشري"(١).

وهكذا يشير الشيخ - رحمه الله - إلى أن الاسلام وإن كان قد حفظ حق الملكية الفردية، وأباح التلك بضوابطه المشروعة، لكنه حفظ كذلك حق الفقراء في مال الأغنياء، وذلك بالزكاة الواجبة، والصدقات المندوبة، فإن كل هذا مما يقوي مشاعر الود بين الفقراء والأغنياء، ويقوي روابط المحبة بين المسلمين ؛ لأن هذه امشاعر هي ضمانة للمحافظة على مال الأغنياء، والقضاء على المشاعر السلبية بين الفقراء والأغنياء، ونزعة الحسد والحقد والتي يمكن أن تقوى وتترعرع في نفوس الفقراء وتزيد الأنانية من الأغنياء.

---

(١) من رسالة «توجيهات إسلامية» لفضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد - رحمه الله - (ص: ١٨- ٢١).

وكذلك أشار الشيخ ابن حميد - رحمه الله - إلى أن حرص الإسلام على المساواة بين الناس، وحفظ حقوق الفقراء كان له أثر كبير في انتشار الإسلام في أصقاع العالم، فقال - رحمه الله -: "وما دخلت الأمم الكثيرة في الإسلام أفواجاً أفواجاً ، واتسعت دائرة الإسلام ، فانتشرت الأمة الإسلامية مادةً جناحيها من نهر الفاتح شرقاً إلى أفريقيا، ثم إلى أواسط أوروبا في زمن قليل - إلا باحترام الحقوق، والعمل بقواعد الإسلام ، والتسوية بين طبقات المسلمين، ملكهم وصعلوكهم، وصغيرهم وكبيرهم فيه على السواء، ..."

وهكذا نرى أن الشيخ ابن حميد - رحمه الله - وإن كان لم يذكر الرأسمالية باسمها، لكنه بكلامه الذي سبق ذكره يعارض مبادءها، ويحذر من نتائجها الوخيمة، ويذكر بمبادئ الإسلام، فيما يتعلق بالناحية الاقتصادية، وآثارها على الأحوال الاجتماعية.

ومن هنا يمكننا القول بأن الشيخ ابن حميد - رحمه الله - قد ناهض الاشتراكية بمفهومها السائد في الدول الشيوعية، كما ناهض الرأسمالية بمفهومها الغربي. لكنه كان يدعو إلى مبادئ الاسلام، مبادئ العدل والرحمة، والرفق والاحسان، والمساواة، وأداء الحقوق المتبادلة بين الأغنياء والفقراء؛ ليسود جو الوئام والود، والأُخُوَّة في المجتمعات الاسلامية.